أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

د. يعقوب الغنيم يكتب عن:
شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ

العدد (٥٤٣) ذو القعدة ١٤٣١هـ ـ أكتوبر- نوفمبر ٢٠١٠م

الرياضة بين المسموح والممنوع

د. مازن المبارك
وحديث الذكريات

النيابة عن الغير في
أداء فريضة الحج

حياتنا الفكرية بين النقل الحرفي والنقد الغائب

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

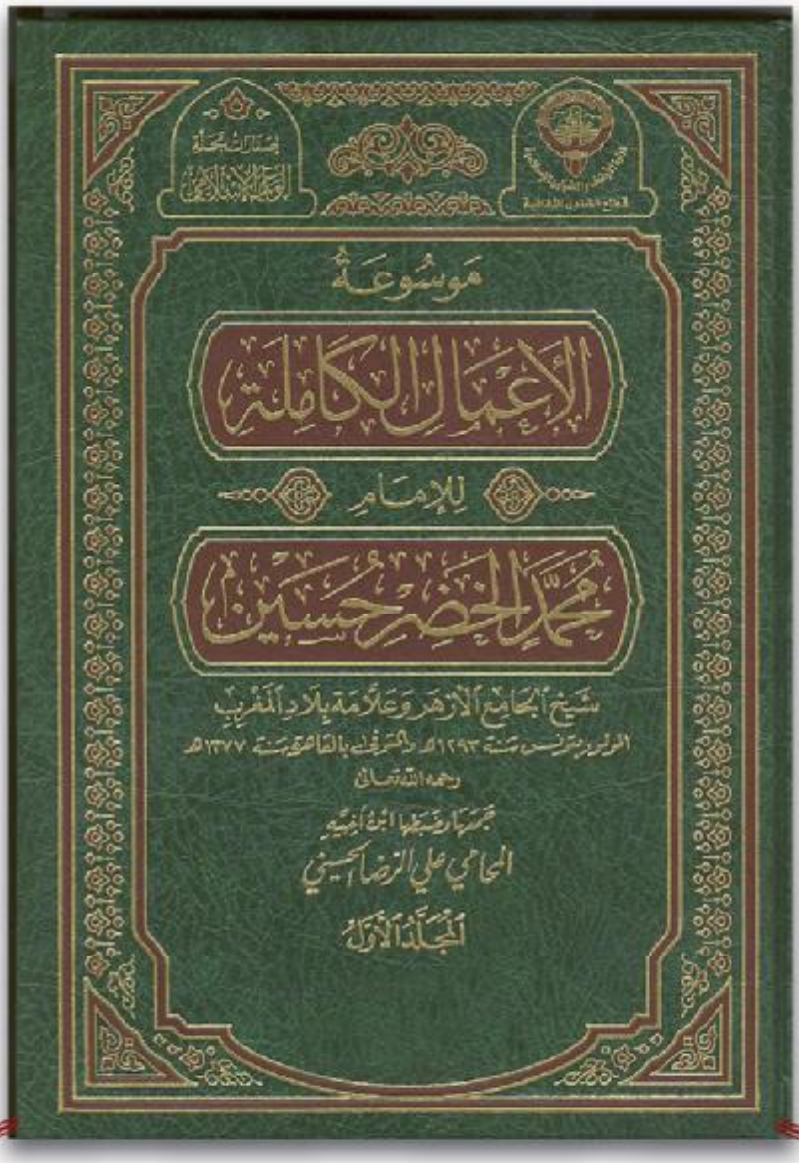

المجموعة العلمية النادرة لنابغة المغرب العربي وشيخ الأزهر الراحل الإمام العلامة / محمد الخضر حسين رحمه الله تقدمها الوعي الإسلامي في هذا الإصدار الجديد في (١٥) مجلداً وهي المحتوية على جميع آثاره العلمية

الافتتاحية

حرفة الوعظ

لقد شاع في البلاد واشتهر فيما بين العباد والعُبّاد اتخاذ الدعوة إلى الله حرفة ومكسبًا لجمع الدنيا وسبيلًا، يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهم كحاطب ليل، لا يفرقون بين نفع وضر.

تعيب دنيا وناسًا راغبين لها ... وأنتِ أكثر منهم رغبة فيها

فالواجب على العاقل ألا يكون مفرطًا في الحرص على الدنيا فيصبح مذمومًا في الدارين، بل يكون قصده إقامة فرائض الله، ويكون لبغيته نهاية يرجع إليها، لأن من لم يكن لقصده منها نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه.

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مضر منك بالدين

فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يُعْم بصره الطمع، ومن أحب أن يكون حرًا فلا يهوى ما ليس له، لأنّ الطمع فقر، كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذَلّ وخضع، كما أن من قنع عف واستغنى.

ولا تطلب عوضًا على عمل لست له فاعلًا، ويكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلًا، لأن الذي يسَّرَ لك هذا العمل هو الله «والله خلقكم وما تعملون».

كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟ أم كيف تطلب الجزاء على صِدقٍ هو مهديه إليك؟ «وما بكم من نعمة فمن الله».

والذي يدفعني إلى الحوار بهذه المشكاة ما يلقاه الإسلام اليوم من هزائم متتابعة لضعف المتحدثين عنه وكثرة الآكلين به والمرائين، نخاف على ديننا من متحدث جاهل، أو منافق عليم اللسان، أو سياسي يتخذ إلهه هواه!

«من كان يريد حرث الآخرة»، أي كسب الآخرة، والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة «نزد له في حرثه» أي بالتضعيف، ونزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات له،«ومن كان يريد حرث الدنيا» يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرًا لها على الآخرة «نؤته منها» أي ما قدر وقسم منها «وما له في الآخرة من نصيب» يعني لأنه لم يعمل لها.

وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يريد به غيره، وهذا هو الإخلاص، وتارة يكون لطلب المكافأة وأخرى لطلب الحمد من الناس، وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى، لأن فيهما شركًا ورياءً، فنفوا ذلك عنهم بقولهم «إنما نطعمكم لوجه الله».

أين الصحابة من أصحابنا؟ هيهات ما القوم من أضرابنا، ولا ثوابهم في الأخرى مثل ثوابنا، آثر الصحابة الفقر والمجاعة، واشتغلوا عن الدنيا بالطاعة، أفينا مثل أبي حنيفة ومالك أو كالشافعي الهادي إلى السالك؟ أفينا أعلى من الحسن وأنبل، أو ابن سيرين الذي بالورع تُقبِّل، أو كأحمد الذي بذل نفسه وسبّل؟

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، أي يريدونه بأعمالهم، كانوا يصبرون على المجاعة، ويخلصون الطاعة، ولا يضيعون ساعة، فيا فخرهم إذا قامت الساعة!

وكان المنصور يعظم عمرو بن عبيد- لنا زهده وإخلاصه- فقال له عظني فوعظه، ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: لا تبعث إلي فقال المنصور يعظمه:

كلكم يمشي رويد ... كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

وقال عبدالله بن المبارك واعظًا ابن عُلَيَّة:

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونًا بها بعدما ... كنت دواء المجانين

وأنت تدرك أن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا لم يكن الداعية والواعظ موصولًا بالله فإن دعوته إلى الله لا تثمر ولا تنفع وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، لابد أن يكون فعلًا عاشقًا لدينه ولربه ولنبيه، ومحبًا لنقل الخير إلى الناس بعشق ورغبة شديدة، وأما الصناعة فإنها قد تصلح في كل شيء إلا في الدعوة إلى الله.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

د.مازن المبارك وحديث الذكريات ٨

الرياضة في ميزان الإسلام ١٩

النيابة عن الغير في الحج ٤٠

نزار قباني في مدح الرسول ﷺ ٥٤

الانترنت خطر يتهدد المجتمع ٧٢

دار الحديث بتلمسان منارة دعوية ٨١

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٣

العام السابع والأربعون

ذو القعدة ١٤٣١ هـ

أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)

• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر

• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف

إذا كانت رياضة الجسد قد أخذت بعدًا كبيرًا في مجتمعاتنا المعاصرة وتركت في كثير من الأحيان سلبيات لا تعد ولا تحصى، فإن رياضة الإيمان والروح إذا ما اقترنت برياضة الجسد أعطت الإنسان طاقة إيجابية نافعة لصالح المجتمعات الإنسانية كافة.

داخل العدد

فضل السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ٦
أحكام وضوابط ممارسة النساء للرياضة ٣٠
شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ ٥٨
الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام أمران مختلفان ٦٤
الداعية المسلم بين العاطفة والعقل ٧٨
صحة غدة البروستاتا ٨٧

كلمة العدد

خير جليس

تسعى إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» من خلال إصداراتها التراثية والفكرية إلى ترسيخ وتأصيل دور الكتاب كمنهل من مناهل المعرفة، والفكر والعلوم والآداب على مر العصور، وفي هذا السياق أصدرت الإدارة على سبيل المثال لا الحصر عددًا من الكتب التراثية والمتخصصة نذكر منها: رياض الأفهام في عمدة الأحكام (خمسة مجلدات)، الأعمال الكاملة لشيخ الأزهر السابق محمد الخضر حسين (خمسة عشر مجلدًا)، لا إنكار في مسائل الاجتهاد، التجديد في التفسير، المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح، مجموعة مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز، مجموعة مقالات الشيخ محمد الغزالي.

إننا ونحن نكشف إصدارتنا التراثية نعلم علم اليقين أن عالم اليوم يتعرض لسيل إعلامي جارف وزخم ثقافي هائل يحمل في طياته شتى صنوف المعرفة وذلك عبر الفضائيات والشبكة العنكبوتية وغيرها، وهو ما أثر بلاشك على دور الكتاب المعرفي، لكن على الرغم من ذلك فلايزال الكتاب خير جليس عند شريحة كبيرة من العلماء والمفكرين والباحثين حيث يغوصون في أعماقه ويبحرون بين سطوره وينهلون من درره ولآلئه، بينما تكون حالهم مع وسائل المعرفة الحديثة أقل تفاعلًا ومتابعة مما يضفى على الكتاب متعة لا تضاهى، وصدق الشاعر إذ يقول:

أعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الأنام كتاب

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم

التحرير

هي اختيار العظيم العلي للنبي ﷺ، ومذ طفولتها تعرف بالعز الأبي، ولها عقل الكبار في سن الصبي، وهل يضرها قول الجهول الغبي، أو يقدح في ريح المسك الذكي إلا بهيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما تزوج الرسول ﷺ بكرًا سواها، ولا أحب زوجة كحبه إياها، جاء بها الملك في سَرقة فجلاها، وتكلم الله ببراءتها سبحان من أعطاها، وما يرمي الأصحاء بالسقم إلا سقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

واعجبًا لمبغضيها! مَن هم؟ إن فهمت قولي قلت إن هم، ضرهم والله ما صدر عنهم، خفت والله عقولهم والآفة تهيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما خفي على حسادها طهارة ذيلها، غير أن الطباع الردية في ميلها، هجمت عليها الأحزان برجلها وخيلها، فكانت طول نهارها وليلها تبكي بكاء اليتيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

مدوا أبواعهم إلى عرضها فما نالوا، وأكثروا القول ظاهرًا وباطنًا واحتالوا، ونوعوا أسباب القذف وتكلموا وأطالوا، وهي على طهارتها مما قالوا في مقعد مقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

تكلموا فيها بترهات، ورامو ذم السماء وهيهات، يا عائبها إن عرفت عيبًا فهات، كفانا الله شر عقوق الأمهات، فإنه قبيح ذميم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما كان سوى غيم ثم تجلى، وانصرف الحزن وتولى بالفرح الذي تولى، ولبس الممدوح أحسن الحلى وتحلى، وحمل القاذف إثمًا وكلًا، أيقدح العقلاء في أمهاتهم، القاذفون كلا هي منهم عقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

حُوشيت من ريب أو فجور، إنما زيدت بما جرى في الأجور، تنزهت أم العُدول أن تجور، إنما وقعت في أغباش ليل ظلام دَيْجور، ثم بان النورُ في سورة النور، فنزل في الكلام القديم: ﴿والذي تولَّى كِبْره منهم له عذاب عظيم﴾.

من « التبصرة» لابن الجوزي

الصّدّيقة المبرّأة

وَحَقِّ مَنْ بَعْلُهَا النَّبِّي وَمَنْ
وَالِدُهَا المُرْتَضَى أَبُوبَكْرِ
لا حُلْتُ عن مِدْحَتِي لَهَا أَبَدًا
حَتَّى أُوَارَى فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ
قَد تَيَقَّنْتُ أَنَّ وَالِدَهَا
يَشْفَعُ فِيَّ صَبِيحَةَ الحَشْرِ
طَاهِرَةٌ تَنْتَمِي إِلَى نَسَبٍ
شَرَّفَهُ اللّهُ مِنه بِالفَخْرِ
لَمَّا رَمَوْهَا لَا دَرَّ دَرُّهُمُ
بِالزُّورِ والإِفْكِ عُصْبَةُ الشَّرِّ
بَرَّأَهَا اللّهُ مِنْ مَقَالَتِهِمْ
بِغَيْرِ شَكٍّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وَكَمْ لَهَا مِنْ فَضِيلَةٍ نَطَقَتْ
بِهَا وذِكْرٍ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
فَلَا رَعَى اللّهُ مَنْ تَنَقَّصَهَا
فَمَا لَهُ فِي المَعَادِ مِنْ عُذْرِ
وَأَيُّ عُذْرٍ لِمُبْدِعِ رِجْسٍ
مَذْهَبُهُ شَتْمُ زَوْجَةِ الطُّهْرِ

حصان رزان ما تزن بريبة

حصانٌ رزانٌ ما تزنُّ بريبة
وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغوافلِ
حليلة خير الناس دينًا ومنصبًا
نبيِّ الهدُى والمَكرُماتِ الفَوَاضلِ
عقيلةُ حيٍّ من لؤيِّ بنِ غالبٍ
كرامِ المساعي مجدها غيرُ زائلِ
مهذبةٌ قد طيبَ اللهُ خيمها
وطهّرها من كل سوءٍ و باطل
فإن كنتُ قد قلت الذي قد زعمتمُ
فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أناملي
وإن الذي قد قيلَ ليسَ بلائطٍ
بها الدهرَ بل قولُ امرئٍ بيَ ماحلِ
فكَيْفَ وَوُدّي ما حَييتُ ونُصرَتي
لآلِ نبيّ اللهِ زينِ المحافلِ
لهُ رتبٌ عالٍ على الناسِ كلهم
تقاصرُ عنهُ سَورةُ المتطاول
رأيتكِ، وليغفر لكِ اللهُ، حرةً
مِنَ المُحصَناتِ غيرَ ذاتِ غوائلِ

من ديوان حسان بن ثابت

العلامة د.مازن المبارك في حديث الذكريات لـ«الوعي الإسلامي»:

ناصرت الرافعي أمام طه حسين في الدراسات العليا (١-٢)

حوار: د.محمد حسان الطيان

الأستاذ الدكتور مازن المبارك أحد أعلام العربية المعاصرين، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، يمثل تاريخًا طويلًا في الجهاد في سبيل العربية وتحت رايتها، علمًا وتعليمًا وتأليفًا وتحقيقًا ومشاركة فعالة في مختلف أوجه النشاط المعرفي، وهو إلى هذا وذاك من أقدم كتّاب مجلة «الوعي الإسلامي». وانطلاقًا من حرص المجلة على تقدير العلماء والمفكرين والمثقفين التقت بـ«المبارك» في دمشق للحديث عن الذكريات بأشكالها المختلفة لتكون دروسًا وعبرًا للأجيال.. وإليكم نص الحوار:

■ بداية أين كانت النشأة؟ وما تأثيرها في تكوينكم العلمي؟

كانت النشأة في بيت والدي الشيخ عبدالقادر المبارك، وهو أحد مؤسسي مجمع اللغة العربية بدمشق، وأحد أساطين اللغة وأعاجيبها ونوادرها في النصف الأول من القرن العشرين، وقد توفي سنة ١٩٤٥م وعمري لا يتجاوز الخامسة عشرة، فتولى رعايتي وتعليمي أخي الشيخ محمد المبارك. وكان لهذه النشأة أثر بالغ في إرشادي وتعليمي، كما أن الأيام الأولى التي أدركتها كان فيها عدد كبير من المعلمين الذين يعدون الطلاب أبناءهم.. فيشرفون على تربيتهم، ويولونهم رعايتهم من جميع النواحي، وكان من لطف الله بي أني أدركت نفرًا من هؤلاء المعلمين في كل مرحلة من مراحل تعليمي، يعني مثلًا الأستاذ الأفغاني درسني في المدرسة الإعدادية ثم درسني في الجامعة. وفي الإعدادي، في الصفين السابع والثامن، وكان يدور بي على الشُعب التي يدرسها لأقرأ لهم النص الذي يريد تدريسه إياهم وهو يقول: انتبهوا إلى مخارج زميلكم مازن، فلفت نظري إلى استمرار العناية بمخارج الحروف. وسبب إتقاني مخارج الحروف أن والدي، يرحمه الله، كان قد عين لنا أستاذًا يقرئنا القرآن فجر كل يوم صيفًا وشتاء، يأتي معه بعد صلاة الفجر ونجلس بين يديه واحدًا واحدًا وواحدةً واحدةً ذكورًا وإناثًا، كان شيخا ضريرًا من حفاظ القرآن ومجوديه، لكل منا صفحة واحدة في اليوم، من أخي محمد المبارك إلى أصغر إخوتي. وممن درسني في الجامعة شقيقي الأستاذ محمد المبارك، والأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، والأستاذ الشيخ بهجت البيطار، والدكتور أمجد الطرابلسي، والأستاذ شفيق جبري. هؤلاء كلهم ممن نعمت بالتلمذة عليهم في الجامعة.

■ يقودني هذا السؤال إلى سؤال آخر يتعلق بأعلام كبار لقيتموهم أو أخذتم عنهم.. راجيًا إيجاز انطباعاتكم عنهم بدءًا من الشاعر محمد البزم.

محمد البزم عرفته وأنا صغير؛ لأنه كان زميلًا لوالدي، وكانا يحضران في بعض المجالسات والمذاكرات العلمية.

■ إذن.. فهو صديق الوالد؟

زميل وليس صديقًا؛ لأنني لم أره في بيتنا ولم أر والدي في بيته، ولكنهما كانا يذهبان معًا إلى كثير من الجلسات العلمية كجلسة الأمير طاهر الجزائري- هذا غير الشيخ طاهر- في زقاق النقيب في حي العمارة، حيث كانت له جلسة أسبوعية، وهي جلسة مذاكرة علمية كثيرًا ما كان يحضرها الأستاذ البزم، وحدثت بيني وبينه صلة قوية حين أوفد أحد الأساتذة من ثانوية جودت الهاشمي فكلف الأستاذ البزم تدريسنا الأدب في صف الكفاءة، وكان آخر عهده بالتدريس، فكنت أساعده في وضع الدرجات التي يمليها عليّ؛ لأنه كان قد قل نظره وتعذرت عليه الكتابة، فكان يسأل الطلاب ويقدِّر العلامة ويقول لي: ضع لأخينا علامة كذا فأضع له.

وبعد مدة وجدته في الطريق بحالة سيئة فكتبت مقالة بعنوان «كتاب مفتوح إلى وزير المعارف» طلبت فيه أن يعين أستاذنا البزم مفتيًا لغويًا للإذاعة بحيث يبقى في بيته لعجزه عن السير والذهاب، والمذيع يتصل به هاتفيًا ليسأله عن الكلمات التي ستمر في نشرة الأخبار، أو أن يقرأ عليه نشرة الأخبار وبذلك تكون الإذاعة أستاذًا لغويًا لكل السامعين، ويكون مصدرها اللغوي ثقة هو الأستاذ محمد البزم.

■ الله اكبر.. والله إنها خطة عظيمة جدًا ما أحوجنا إليها اليوم!

اليوم.. نحن اليوم أشد حاجة إليها، المهم أنه استدعاني حين قرأ المقالة فذهبت مع ابنه إلى بيته، وكانت أول مقابلة شخصية خارجة عن نطاق الدرس. قال: ما دعاك إلى ما كتبت؟ قلت له: إني رأيتك في الطريق وأنت أستاذي فكتبتها. قال: هل دفع بك أحد إلى ذلك؟ قلت: لا. قال: أتعرف الصلة التي كانت بيني وبين أبيك؟ قلت: لا أعرف سوى شيء واحد. قال: ما هو؟ قلت له: حين جئتنا أستاذًا في صف الكفاءة في ثانوية جودت الهاشمي ذهبت إلى والدي وقلت له: ذهب أستاذ اللغة العربية وجاءنا أستاذ جديد، قال: من الذي جاءكم؟ قلت له: اسمه محمد البزم، قال لي: يا مازن أخبر زملاءك أن هذا عالم حاولوا أن تستفيدوا منه ما استطعتم. قال لي: أهكذا قال أبوك؟ قلت له: اي والله يا أستاذ. قال لي: هل تعلم ما كان بيني وبين أخيك؟ قلت له: أعلم أنك اعترضت على إحدى اللجان التي كان فيها ثلاثة أساتذة عادوا حديثًا من فرنسا، فجعلوهم مفتشين أو أساتذة للغة العربية، ووضعوا اسمك معهم فرفضت، وعددتهم شبانًا ناشئين، فاستجابت الوزارة بحذف اثنين منهم وأبقت أخي معك فوافقت، هذا الذي أعرفه. قال: أنا أشكرك على ما كتبت، ولكني ما كنت أنتظر الوفاء من أحد من هذه الأمة وخاصة من هذه

ما وجدت في حياتي رجلاً بعد والدي دخلت اللغة دمه وفهم أسرارها وأسرار التعبير فيها وفهم نصوصها كما يريد أصحابها مثل محمود شاكر

العائلة. قلت له: يا أستاذ، هل جئت بي لتشكرني أم لتشتمني؟ فضحك وقال: لا تثريب عليك، ماذا تدرس؟ قلت له أدرس في كلية الآداب، وسأتخصص في النحو. قال: إذا شئت أن تقرأ علي كتاب المغني فإنك تستطيع أن تبدأ ذلك من الغد. قلت له: والله هذا شرف عظيم وفرصة سأغتنمها، لكن اسمح لي أن أتأخر شهرًا حتى أنتهي من امتحانات الإجازة- وكنت في السنة الرابعة في كلية الآداب وأنا أريد أن انتهي من الكلية- قال: حسنًا، اتصل بعد الإجازة. وحين سألت بعد الإجازة قالوا لي إن الرئيس الشيشكلي نقله حين سمع بمرضه إلى المستشفى العسكري، وبقي فيه إلى أن توفي رحمة الله عليه.

وأذكر أنه حدثني في تلك الجلسة عن كتابه «في الجحيم» الذي ما زال ضائعًا إلى اليوم، ما خرج إلى النور ولا نعلم أين بقي.

■ الأستاذ علي الطنطاوي:

عرفته منذ كنت صغيرًا جدًا، كان يزورنا مع أنور العطار، الشاعر الشامي المعروف، وكانا يجلسان طويلًا عند والدي، واستمرت صلتي به إلى ما قبل وفاته بسنة أو سنتين، حيث زرته في المملكة السعودية، وسهرت عنده سهرة طويلة ذكّرته فيها بأيام طفولتي وأيام شبابه عليه رحمة الله. وما رأيت أشد عصبية منه، ولا أكثر ذكاءً ولا أوسع ثقافةً، كان رجلًا عجيبًا في فطنته وذكائه ووفائه وأدبه رحمه الله تعالى. وهذا يحتاج إلى كتاب كالكتاب الذي أخرجته عن أستاذي سعيد الأفغاني.

■ الأستاذ عزالدين التنوخي:

عزالدين التنوخي كان يلفت نظري في ارتجاله الشعر، وفي كل مناسبة، ولو كنت واعيًا في تلك الأيام التي كان يحضر فيها عند والدي، أو في بيت الأستاذ الشيخ بهجت البيطار، وأحيانًا عندنا في البيت، وأحيانًا في مجمع اللغة العربية- وكان اسمه المجمع العلمي العربي- لو كنت واعيًا لتلك الجلسات التي حضرت فيها مع والدي لسجلت له أشعارًا رائعة. ثم حظيت به أستاذًا للبلاغة في كلية الآداب، درّسنا تهذيب الإيضاح بأجزائه الثلاثة، وكان من أصفى الناس قلبًا، لا يحقد على إنسان، ورافقته في رحلة إلى تركيا أيام الرئيس حسني الزعيم، إذ أحب أن يقرب المسافة بين السوريين والأتراك، فألغى مخافر الحدود، وجلب ضباطًا أتراكًا لتدريب الجيش السوري، وطلب إلى جامعة دمشق أن ترسل بعثة إلى تركيا، فاختارت عشرين طالبًا كنت واحدًا منهم، وكان على رأس هذه البعثة الأستاذ عزالدين التنوخي، ورافقنا فيها الأستاذ سعيد الأفغاني والدكتور عبدالكريم اليافي.

■ الدكتور طه حسين:

الدكتور طه حسين بقيت على صلة به مدة سنتين تقريبًا، وفي إحدى السنتين كنت أحضر له أسبوعيًا حين كان يدرس طلاب الدراسات العليا، وكنت أنا الذي أقرأ في الكتاب الذي يحضره إلى القاعة، وهو الذي يشرح ما أقرأ، يعطيني مرافقه- كان اسمه الدكتور فريد شحاتة تقريبا- كان يعطيني الكتاب ويعين لي المكان وأنا أقرأ سطرين أو ثلاثة أسطر حتى يدق الدكتور على المنصة فأسكت، فيشرح، وإذا انتهى شرحًا يقول: تابع، كان يعرفني من صوتي فبمجرد أن أتحدث إليه أو ألقي السلام عليه يقول: مَن؟

الطالب الشامي؟

وكان من أجمل الناس أسلوبا، ومن أجمل الناسِ موسيقى كلام، ومن أكثر الناس حفظًا، يلقي المحاضرة ساعة وأحيانا ساعة ونصف الساعة، وأحيانا ساعتين، يستريح بينهما خمس دقائق، لا يتلجلج ولا يتردد ولا يقف عند استشهاد ببيت من أبيات الشعر من أي عصر من العصور، لم أعثر له على لحن واحد، يعني كنا نتلذذ بأسلوبه والاستماع إليه، وفي مقابل ذلك كان شديد الجبر، يعني إذا استشعر أن سؤالك له فيه شيء من الاعتراض أو التردد في قبول ما يلقيه فالويل لك، وقد حدث بيني وبينه شيء من هذا القبيل، حين تعرض للمنفلوطي وللرافعي، وهاجم الرافعي هجوما شنيعًا ومدح المنفلوطي، فقلبت الآية أنا بأسلوب سؤال، وقلت له: عفوًا دكتور، أتعني أن الذي أخذ عن الغرب وفهم ما أخذ وتمثل ما أخذ وأفهم ما فهم و... إلى آخره هو الرافعي، وأن الذي لم يفهم هو المنفلوطي؟ فضحك وأضحك الناس عليّ، وقال أهكذا فهمت؟ قلت له: نعم، قال: من أين؟ قلت: مما قرأت. وبدأ يحاورني إلى أن غضب حين شعر بأنني أناصر الرافعي، وكأن الرافعي انتصب من قبره أمامه، وقطع الدرس، وقال: أتحداك وأتحدى من تُبَلِّغه وأتحدى من يسمع هذا الكلام- وكان المدرج ممتلئا إذ كانت الأساتذة تحضر معنا مع أن عددنا معشر طلاب الدراسات العليا كان قليلًا- فتحدى الجميع أن يلخصوا له كتابا واحدا من آثار الرافعي. قلت له: حاضر، قال: موعدنا الأربعاء القادم- لأن درسه كان كل أربعاء- لخص لي «أوراق الورد» أو «رسائل الأحزان»، قلت له: عفوًا يا دكتور هذه رسائل وجدانية لا تلخص، ولكني ألخص لك «تحت راية القرآن»، فقال: لخص ما شئت، ثم ضرب على المنصة ونهض وخرج من القاعة، فلحقني الطلاب وبشروني بأني سأكون خارج الجامعة، وسأرجع إلى بلدي عن قريب، ولا يمكن لي أن أتابع الدراسة لأنني ورطت نفسي، ولم يكن قد مضى على وجودي في مصر شهر، يعني أني لا أعرف كل هذا الجو- وكان هذا سنة ١٩٥٥م- فأسرعت إليه في رئاسة القسم حيث يجلس يشرب القهوة بين الدرسين، قلت له: السلام عليكم. فلم يرد، بل قال: مَن؟ الطالب الشامي؟ قلت له: نعم، أنا يا دكتور جئت أسأل ولم أقف لأعترض، أنا تلميذكم قبل أن أصل إلى مصر، أنا قرأت كل ما كتب الدكتور طه حسين قبل أن آتي إلى مصر، وأنا الآن جئت لأستزيد ولم أجئ لأردد ما قرأت، ولذلك فأنا أعتذر عن محاضرة الأسبوع القادم، وأرجو أن ننسى ما حصل، وأن كذا وأن كذا، قال: لا بأس، لك ما شئت. قلت له: السلام عليكم فلم يرد.

الدكتور أمجد الطرابلسي كان الأستاذ الذي أثبت لنا في بواكير حياتنا أن الفصحى كن أن تكون لغة الدرس ولغة الحديث اليومي

ووقع في المحظور زميل مصري اسمه عبدالمحسن طه بدر فلخص رسالة ليست للرافعي، وإنما في موضوع آخر لا علاقة له بالرافعي، ومع ذلك فقد كنا في درس الأربعاء نضحك في أثناء إلقائه لكثرة ما كان يعلق الدكتور طه من تعليقات مضحكة.

وفي إحدى المرات سألني ماذا تدرس؟ قلت له: أدرس النحو، قال: هل اطلعت على «إحياء النحو»- وهو كتاب لإبراهيم مصطفى- قلت له: إذا سمح أستاذنا أقول له رأيي فيما جاء في مقدمة الكتاب- والذي كتب المقدمة هو طه حسين طبعا- فقد بالغ الكاتب جدًا في إصراره على تسمية الكتاب «إحياء النحو» والكتاب جيد ولكنه ليس إحياءً، ولو اطلع صاحبه على كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي لوجد غير ذلك، طبعا أنا كنت قد بدأت بدراسة الإيضاح- وهو موضوع دراستي للماجستير- فقال لي الدكتور طه، رحمة الله عليه: والله يا بني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لتركت كثيرًا مما كتبت، ولبدأت بكتابة النحو من الصفر.

■ الأستاذ محمود محمد شاكر:

هي كلمة واحدة: ما وجدت في حياتي رجلًا بعد والدي دخلت اللغة دمه وفهم أسرارها وأسرار التعبير فيها، وفهم نصوصها كما يريد أصحابها مثل محمود شاكر. كانت لنا حلقة نحرص عليها يحضرها أحيانا الدكتور ناصرالدين الأسد ويحضرها الأستاذ فرحان الفرحان والدكتور يعقوب الغنيم والدكتور خالد جمعة والأستاذ راتب النفاخ. درسنا عليه بعض قصائد المفضليات فكنا كمن يسبح فوق الماء وكان هو الغواص الذي يعطينا ما كنا لا ندركه إلا بسباحته هو وبغوصه، واستمرت صلتي به وصلته بي، وكان يزورني في دمشق وفي الدوحة، وزارني بدبي حين أرسلت له دعوة فاعتذر، فقلت له: لابد أن تأتي، قال لي: أنت في دبي، قلت له: نعم، قال أنا سأذهب إلى الكويت، قلت له: متى وصلت إلى الكويت خبرني كي نستقبلك بعدها، واستقبلناه بدعوة من السيد جمعة الماجد، وبقي عندنا أسبوعا زار الكلية وزار المركز الثقافي، وكان في غاية السرور، وكان في تلك الفترة على كرسي رافقته ابنته الآنسة «زلفى» وتمتعنا معه أسبوعا لا ننساه.

حياتنا الفكرية بين النقل الحرفي والنقد الغائب

د. غازي التوبة

تتّسم حياتنا الفكرية بشكل عام- ما عدا بعض الاستثناءات- بالنقل الحرفي عن الحضارة الغربية، ومحدودية النقد- إن لم يكن غيابه فيما يتعلق بواقعنا الفكري، وولّد هذا الوضع فقرًا ثقافيًا وعدم إبداع، ويمكن أن نمثّل لذلك بأدلّة من التيارات القومية والليبرالية والشيوعية والإسلامية.

بدأ الفكر القومي العربي نشاطه في القرن التاسع عشر، وأشعل الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦، وكان الأصل في قيام عدّة دول بعد الحرب العالمية الأولى، وقد اعتبر الأمّة العربية تقوم على عنصري اللغة والتاريخ، وهو في هذا ينقل ما قرّرته المدرسة الألمانية في بناء الأمّة وتكوّنها، لذلك تنكّر الفكر القومي العربي للدين كما تنكّرت القومية الأوروبية للدين، وهو لم يقم بدراسة الواقع العربي الذي يؤكّد أنّ الدين الإسلامي عنصر أساسي في بناء هذه الأمّة وتكوينها، ويدخل بشكل واضح في بناء العادات والتقاليد والثقافة، والآمال والتطلّعات، ويدخل في بناء النفس والعقل والتفكير والوجدان... إلخ.

إن النقل الحرفي للفكر القومي الأوروبي بشكل عام والألماني بشكل خاص، وإسقاطه على واقع أمّتنا دون أدنى محاولة لتمحيص هذا المفهوم، ورؤية المباينات بين الواقعين العربي والألماني أثّر تأثيرًا كبيرًا على تأخير قيام نهضتنا، عدا أنه قام بدور تخريبي في بناء الأمّة الثقافي والاجتماعي والاقتصادي... إلخ.

وتواجد التيار الليبرالي في عالمنا العربي منذ القرن التاسع عشر، ودعا إليه بعض الكتّاب والمفكّرين، ثم حكم التيار الليبرالي عددًا من الدول العربية بعد الحرب العالمية الأولى بدء من العراق، ومرورًا بمصر وسورية ولبنان والأردن، وانتهاء بتونس. وقد قامت في هذه الدول نُظم ديموقراطية، وضعت الدساتير التي تنص على فصل السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وأُجريت الانتخابات، وقامت الأحزاب، وصدرت الصُحُف، وأقرّت الحريات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، وكان كل هذا تقليدًا لتجارب أوروبا الليبرالية ونسخًا عنها، وبلغت ذروة النقل للتجربة الليبرالية في دعوة طه حسين إلى أخذ الحضارة الغربية.. حلوها ومرّها دون أدنى تمييز، واعتباره أنّ هذا هو طريق النهضة والتقدّم والنور والخير، وحاول أن يجد لذلك مبرّرات من مثل اعتباره أنّ العقل المصري عقل أوروبي، وأنّ مصر جزء من الغرب باستمرار.

يجد المتابع لتجربة التيار الليبرالي في منطقتنا، أنها تجربة نقل حرفي لما كانت عليه الليبرالية في أوروبا والغرب، ولم ينظر التيار الليبرالي إلى ظروف المنطقة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ، كما لم يراع ظروف أبنائها النفسية والثقافية والعقلية... إلخ، كما لم ينظر إلى بعض المشاكل والأزمات التي تعاني منها، إنّ هذا النقل الحرفي لليبرالية كان أحد العوامل في عدم تجذّرها في المنطقة، وانزياحها- بعد ذلك- بسهولة عن ساحة الأحداث بعد الحرب العالمية الثانية.

تشكّلت الأحزاب الشيوعية في معظم البلدان العربية بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧، ودعت إلى تطبيق الماركسية والشيوعية، ثم أقامت مصر العلاقات مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٥، واشترت سلاحًا منه، ثم طبّقت مصر القوانين الاشتراكية في الستينيات، وانتقلت هذه الصورة من التطبيقات الاشتراكية إلى عدد من الدول العربية وهي سوريا، والعراق، والجزائر، وليبيا، والسودان، وعدن، والصومال، واليمن... إلخ.

والجدير بالملاحظة أنّ كل الدعوات الاشتراكية التي قامت في العالم العربي نقلت أقوال الاشتراكية العلمية وتطبيقاتها بشكل حرفي دون أدنى مراعاة لظروف

مفكر فلسطيني

المنطقة وتطوّراتها التاريخية ومشكلاتها، لذلك ارتفعت وتيرة المجاهرة بمعاداة الدين والدعوة إلى المادية والاستهزاء بالغيب، واعتباره أساس التخلف كما كان واقعًا في الغرب في العصور الوسطى، كما ارتفعت وتيرة الدعوة إلى العنف الثوري، وإلى استئصال الطبقة البرجوازية والإقطاعية، لأنهما أصل الرجعية والتخلّف والعمالة للأجنبي، كما سادت الدعوة إلى تأميم كل الشركات، وإلغاء القطاع الخاص وتحويله إلى قطاع عام، لاشك أنّ هذه الدعوات والتطبيقات تركت أسوأ الأثر في بناء الأمّة، فازدادت مساحة الفقر، وتدهور الاقتصاد، وتخلّف الإنتاج.

وقد نتج كل ذلك بسبب النقل الحرفي لمقولات الاشتراكية العلمية دون أدنى إبداع في النظر إلى الواقع المطبّق، مع أنّ النظر إلى الواقع يدعونا إلى القول بأنّ الدين الإسلامي لم يكن في يوم من الأيام «أفيونًا» للشعب كما طرحت الاشتراكية العلمية، بل كان الدين عنصرًا من عناصر التعبئة الثورية في أكثر من مكان في العالم الإسلامي، وقد كان الأصل في تثوير الجماهير ضدّ الاستعمار، وكان المحرك الأساسي في استقلالها.

ولم تكن لدينا طبقة برجوازية وإقطاعية بالمعنى الذي طرحته الاشتراكية العلمية، لذلك لم يكن هناك داعٍ للدعوة إلى العنف الثوري والصراع الطبقي، وكان يمكن تحقيق العدالة الاقتصادية بدماء أقل. ولم تكن لدينا شركات رأسمالية بالمعنى الذي طرحته الاشتراكية العلمية، وحتى ماركس اعتبر أنّ هناك نموذجًا آخر في المنطقة الآسيوية هو النموذج الآسيوي للإنتاج لم تعرفه أوروبا، ومع ذلك لم يسع الاشتراكيين في العالم العربي ما وسع ماركس، بل أصرّوا على تطبيق مقولات الاشتراكية العلمية بصورة حرفية مما أدّى إلى خلخلة في البناء الثقافي،

المتابع لتجربة التيار الليبرالي في منطقتنا يجد أنها نقل حرفي لما عليه الليبرالية الأوروبية

وفوضى في الأخلاق، واضطراب في القِيَم، وتأخّر في الاقتصاد... إلخ.

تشكّل تيار إسلامي بعد الحرب العالمية الأولى ذو ملامح خاصة مرتبطة بالظروف المحيطة به من مثل سقوط الخلافة العثمانية، وتجزئة البلاد العربية، وقيام السيطرة الاستعمارية، ووجود الغزو الفكري من قِبَل الحضارة الغربية لثقافة أمّتنا... إلخ، وقد احتوى هذا التيّار عدّة حركات في أقطار مختلفة، فكان الإخوان المسلمون بقيادة حسن البنّا في مصر، وكان حزب التحرير بقيادة تقي الدين النبهاني في فلسطين، وكانت جماعة النور التابعة لمحمد سعيد النورسي في تركيا، وكانت الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي في باكستان، وهناك جماعات أخرى في الهند وإندونيسيا والجزائر... إلخ.

لم تستطع أيّ حركة من الحركات الإسلامية أن تنجح في تحقيق الأهداف التي كانت تتشدها الأمّة من قيامها، وهي ترسيخ مشروع حضاري إسلامي من خلال دولة إسلامية فاعلة ذات قيادة سياسية رائدة.

وأعتقد أنّ هناك أسباباً عدة وراء هذا الفشل، لكنّ أبرزها هو محدودية النقد لأعمالها وللواقع المحيط بها، إن لم يكن غياب هذا النقد في بعض الأحيان، ووجود هذا النقد يشير إلى الفاعلية العقلية التي هي من أهم العناصر التي نحتاجها في بناء أوضاعنا الحالية، وغيابه يدل على غياب الفاعلية العقلية التي تعني الجمود والركود والتأخّر والفقر الثقافي... إلخ، وأحبّ أن أنبّه منذ البداية على أمرين:

الأول: إنّ النقد الذي أتحدّث عنه لا يعني المدح أو القدح في المنقود، لكنه يعني النظر العلمي الموضوعي إلى ما هو منقود، وتقويمه وتوضيح ما فيه من إيجابيات وسلبيات، وإلى تحليله والتمييز بين العناصر الجديدة المضافة والعناصر القديمة المنقولة عن غيره، وإلى مدى قيمة هذا المنقود وفائدته للأمّة والأفراد، وإلى فرز ما هو منقود وترتيبه حسب الأهمية، وإلى الترجيح بينه وبين مشابهاته... إلخ.

الثاني: إنّ النقد منهج قرآني أصيل، فقد انتقد القرآن الكريم تصرّفات الصحابة- رضي الله عنهم- في بعض الغزوات ووجّههم إلى ما هو أصوب، فانتقد في غزوة بدر اختلافهم على الأنفال، وردّها إلى الله والرسول، فقال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (الأنفال:١)، ثم انتقد رغبتهم في غير ذات الشوكة، لكنّ الله أمضى إرادته ومشيئته فكانت غزوة بدر، فقال تعالى: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (الأنفال: ٧)، وإذا تتبعنا بقيّة الأحداث والغزوات التي حدثت في حياة الرسول ﷺ كغزوات أُحُد والأحزاب وحُنَيْن وبني المصطلق وجيش العُسْرَة وفتح مكّة... إلخ، فسنجد مئات الآيات التي توجّه الصحابة، وتقوّم تصرّفاتهم وتعلّمهم، وتأمرهم وتنهاهم، وتخفض بعض الأخلاق وترفع بعضها الآخر.

وما حفل القرآن الكريم بهذا النقد والتقويم والتوجيه الحفول الكبير إلا ليُرسّخ هذه القيمة في حياة المسلمين، ويعلّمهم أهمية النقد والمراجعة والتمحيص والتقويم في حياتهم

المستقبلية، وأنه يجب أن يكون مرادفًا لوجودهم.

وقد استوعب المسلمون هذا الدرس في العصور السابقة، فانتقد الشافعي مالكًا، وهو أستاذه، ودَوّنَ «اختلاف مالك» في كتاب «الأُمّ»، وانتقد موقفه من حديث الآحاد، كما انتقد الأشعري الذين عاصروه والذين سبقوه، وقس على ذلك الجُوَيْني والغزالي وابن تيمية والعزّ بن عبدالسلام، والشاطبي... إلخ، فستجد كتبهم مملوءة بنقد ما هو سابق سواء أكانوا أشخاصًا أم كانوا مناهج وأفكارًا.

لكنّ المسلمين للأسف نسوا هذا الدرس خلال المائة سنة الماضية، فنجد أنّ هناك حركات متعدّدة تشكّلت، وتجارب قامت، وأفكارًا كثيرة طُرحت، وعلماء كثيرين نهضوا وتحدّثوا وكتبوا، ولكن بالمقابل نجد نقدًا محدودًا لهذه الحركات والتجارب والأفكار والعلماء، فلو أردت أن تحصي الكتب التي تحدّثت عن الحركات الإسلامية، وعن إيجابيّاتها وسلبيّاتها من مثل حركات الإخوان المسلمين، وحزب التحرير، والجماعة الإسلامية في باكستان، وجماعة النور في تركيا... إلخ، فستجد بعض الكتب المحدودة، هذا إذا وجدت بُغيتك، وستجد بعضها لا قيمة له ولا فائدة منه.

وإذا أردت أن تحصي الكتب التي قوّمت ونقدت أعمال العلماء والكتّاب والمفكّرين المعاصرين من أمثال محمد البهي والبهي الخولي وعبدالقادر عودة ومحمد الغزالي وسعيد حوّى ومصطفى السباعي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبد الله دراز ومحمد عزة دروزة وعلاّل الفاسي ومحمد فريد وجدي... إلخ، ستجد حينًا نقدًا محدودًا، وحينًا آخر نقدًا لا غناء فيه، وحينًا ثالثًا لا تجد أيّ نقد.

وإذا أردت أن تحصي الدراسات التي نقدت وقوّمت التجارب المعاصرة التي كان التيار الإسلامي وقودًا لها من مثل الثورة

في سوريا عام ١٩٨١، وتجربة الحكم الإسلامي للسودان عام ١٩٨٩ وأسباب تعثّرها، وتجربة الثورة الإسلامية في الفلبين بقيادة جبهة تحرير مورو... إلخ فلن تجد شيئًا ذا قيمة.

ويمكن أن أنتقل من التعميم إلى التخصيص من خلال مثالين:

الأول، الفكر القومي العربي وساطع الحصري:

حكم الفكر القومي العربي المنطقة خلال المائة سنة الماضية، وكان له أثر كبير في توجيه المنطقة وصياغتها والتأثير فيها، ويعتبر ساطع الحصري من أبرز أعلامه إن لم يكن أبرزهم وأغزرهم إنتاجًا، وأعمقهم على الإطلاق، فلو تساءلنا: أين الكتابات الإسلامية التي تناولت الفكر القومي العربي وساطع الحصري بمنظار إسلامي وبرؤية إسلامية؟ لا تجد شيئًا. لكنك ستجد بعض الدراسات التي تناولت ساطع الحصري بعيون ماركسية، كما فعل إلياس مرقص في نقده لساطع الحصري في كتاب «نقد الفكر القومي»، وستجد بعض الدراسات التي تناولت ساطع الحصري من منظار قومي أيضًا.

الثاني، تجربة الجهاد الأفغاني التي وقعت بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٢:

ساهمت معظم الحركات الإسلامية، والعلماء المسلمون، وجمهور المسلمين في الجهاد الأفغاني، وقدّمت الأمّة الإسلامية الدماء والأموال والجهود في سبيل دحض الشيوعية، وكانت تجربة غنية، فلو تساءلنا: أين الدراسات التي رصدت تلك التجربة بكل تفاصيلها: المالية، والإدارية، والقتالية؟ وأين التقويم لهذه التجربة؟ وما نتائجها على الأمّة؟ وأين النجاح وأين كان الفشل؟ أين الكتابات التي رصدت كل ذلك؟ لا تجد أي كتابات ذات قيمة بمنظار إسلامي، وإنما تجد بعض الكتابات المحدودة التي تتناول أجزاء متفرّقة من هذه التجربة. مع أنه يفترض أن نجد عشرات المؤلّفات التي تتناول التجربة بكل تفصيلاتها لأنها كانت منعطفًا في حياة الأمّة، وفي آثارها عليها.

الخلاصة

إنّ الركود الذي تعانيه الأمّة، وإنّ النهضة التي لم تتحقّق، لم يأتيا من فراغ إنما جاءا نتيجة غلبة النقل الحرفي لمعطيات الحضارة الغربية إلى واقعنا دون اجتهاد في مراعاة الواقع الموضوعي للأمّة عند الأخذ بهذه المعطيات، وإلى محدودية النقد والتقويم عند التيار الإسلامي لعشرات التجارب والحركات المعاصرة، ولمئات الكتّاب والعلماء المعاصرين إن لم نقل غياب هذا النقد والتقويم.

مفهوم الأمية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام (٢-٢)

د. رفيق حسن الحليمي
أكاديمي فلسطيني

تأسيسًا على ما كنا طرحناه في مقالنا الأول عن الاعتقاد الخاطئ السائد بأن وصف العرب بالأمية يلزم منه الجهالة والتخلف والنعت بأسوأ الأوصاف، نواصل اليوم حديثنا عن مظاهر التمدين في العرب ورجوعه إلى تاريخ قديم جدًا.

مدى انتشار الكتابة في الجاهلية

يقول أحد الباحثين: «الكتابة العربية- ولا ريب- وليدة الكتابة النبطية التي كانت في شمال الحجاز وجنوبي بلاد الشام في القرون الأولى من الميلاد، تلك الكتابة المتفرعة عن الخط الآرامي في القرن الأول قبل الميلاد، وقد أخذت هذه الكتابة تتطور تطورًا سريعًا وتأخذ مسحتها النبطية في الزوال وتصطبغ بالصبغة العربية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، وفي القرن الخامس والسادس من الميلاد انمحت الكتابة النبطية وزالت تمامًا، ولكنها بعثت في صورة أخرى هي الكتابة العربية» (١)، ومن المؤكد أن مجرد التفكير في استعارة الكتابة النبطية في وقت مبكر، ومحاولة توطينها في بلادهم، ثم تطويرها ذلك التطوير السريع وصبغها بالصبغة العربية لا يتم إلا في بيئة تتقبل الكتابة وتدرك أثرها ومبلغ أهميتها في الحياة العملية، ومن المعروف «أن الكتابة من الأشياء الضرورية للتجارة، وأهل الحجاز قوام حياتهم التجارة، وهي مورد رزقهم الأول» (٢)، وقد ذكر القرآن ما كان للعرب من رحلتين تجاريتين (رحلة الشتاء والصيف)، والتاجر بحاجة إلى معرفة الكتابة وتدوين ما لديه وما له وما عليه من دراهم ودنانير، ومعرفة نصيبه منها، كما يحتاج إلى إبرام العقود والمعاهدات وكتابة الصكوك مع الآخرين، داخل بلاد العرب وخارجها (٣)، «ولم يقتصر أمر ظهور الكتابة على هذه المواطن المتحضرة، بل تسربت إلى البادية نفسها» (٤)، فقد أخذها طلاب العلم عن معلمين «كانوا منقطعين إلى تعليمها في أماكن خاصة أعدت لتلقي هذه الضروب من المعرفة (...)، وقد عقدت بعض المصادر العربية فصلا خاصًا أثبتت فيه جريدة بأسماء المعلمين في الجاهلية (٥)، وقد تجاوز نفر من العرب معرفة الكتابة العربية إلى معرفة أنواع أخرى من الكتابات مثل: الحميرية والنبطية والفارسية والرومانية والحبشية (٦).

مجالات الكتابة

يذهب باحثون إلى أن الكتابة امتدت إلى تدوين أفضل ما كان لديهم من الشعر (المعلقات)، وكتابته بماء الذهب وتعليقه على جدران الكعبة، قال ابن الكلبي: «أول شعر علق أيام المواسم شعر امرئ القيس، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم، ثم أحدر (أسقط) فعلقت الشعراء ذلك بعده، وكان ذلك فخر العرب في الجاهلية» (٧).

ولا يغب عنا أن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانت كتبهم مدونة بين أيديهم يتلونها (٨)، ومن العرب من شاركهم في كتابة شيء منها، كما هي عند ورقة بن نوفل الذي كان «يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب» (٩).

وإلى جانب ذلك ما كان يقوم به بعض العرب من كتابة العهود والمواثيق وكتب الأمان والرسائل القصيرة (١٠).

الكتابة والتدوين في صدر الإسلام

كان ذلك كله مما أشرنا إليه اختصارًا في العصر الجاهلي ولا نكاد نصل إلى بداية الدعوة حتى نجد أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾ (العلق: ١-٤)، مع أن النبي ﷺ وهو ما اقتضته العناية الإلهية كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب (١١)، وقد كان لهذا الأمر الإلهي (اقرأ... اقرأ) دلالة كبيرة وأثر بالغ الأهمية في حياة المسلمين، فقد دفعهم إلى تعلم القراءة والكتابة (والتعلم بالقلم) حفاظًا على كتاب الله وسنة نبيه أينما حلوا وأينما ارتحلوا، ولابد من التذكير بأن بداية الدعوة ارتبطت بحركة «تدوين» ما كان ينزل منجمًا من القرآن، وفي مرحلة مبكرة جدًا، أقول: ومنذ أن كانت الدعوة سرًا بين السابقين، يستدل على هذا بقصة إسلام عمر ابن الخطاب، فقد دخل مغاضبًا دار أخته فاطمة وزوجها سعيد بعد أن علم بإسلامهما، وكان خباب بن الأرت- كما تقول الرواية- يقرأ عليهما من «صحيفة» كتب فيها آيات من سورة سبأ ومن سورة طه، فأخفت أخته الصحيفة عنه... وبعد أن سكت عنه الغضب كان ما قرأه من تلك الصحيفة سببًا في إسلامه (١٢)،

اتهام العرب في الجاهلية بأنهم أمة أمية هو اتهام بلا دليل

ويستدل من هذه القصة أن المسلمين الأوائل ومنذ أن كانت الدعو سرا شرعوا في تدوين ما كان يتنزل من القرآن.

كانت مكة تمثل المركز التجاري للجزيرة قد تهيأت من كل جانت تحتاج إليه عملية التدوين بما يسمح بكتابة ما كان يوحى إلى النبي ﷺ، وما هي إلا فترة بُعَيْد الهجرة إلى المدينة حتى أخذت الكتابة تتسع يوما بعد يوم وتزداد الحاجة إلى تعلمها وطلب أدواتها ومختلف وسائلها في ظل حكومة إسلامية ناشئة أصبحت بأمس الحاجة إلى الكتابة والتدوين والمكاتبات، ولعلنا نذكر جميعًا موقف الرسول من أسرى معركة بدر فقد جعل تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة مقابل الفدية، ولا تحتاج عملية تعلم الكتابة آنذاك إلى وقت طويل، فربما تتم في بعض ساعات لمعرفة الرموز الكتابية فقط، والعربي لا يحتاج إلى تعلم اللغة لانها لغته، بل كان بحاجة إلى معرفة الحروف الدالة على الأصوات اللغوية، ثم ينطلق بعدها تدريجيًا وذاتيًا في القراءة والكتابة.. وفي القرآن آيات تحث على تعلم الكتابة (آية الدين) كما هي الحال في بعض الأحاديث، فقد أثر عن النبي قوله: «قيدوا العلم بالكتابة» (١٣).

وفي المدينة ظهر ما يسمى بكُتّاب الوحي وهم جماعة من الصحابة انقطعوا وتفرغوا لكتابة كل ما يوحى إلى النبي ﷺ بأمر منه، فضلاً عن جماعة أخرى كانوا يكتبون ما يريد النبي ﷺ كتابته من رسائل عهود، ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على كتاب المصاحف لندرك

كثرة تلك المصاحف ومدى انتشارها في حياة النبي ﷺ أو بُعَيْد التحاقه بالرفيق الأعلى بوقت قصير، ولنتصور معها مدى انتشار الكتابة.

أنواع الخطوط العربية

تجدر الاشارة إلى أن عملية التدوين في أكثر من حاضرة من حواضر المسلمين قد رافقها ظهور أنواع مختلفة من الخطوط العربية صليبة، فقد عرف الخط المكي والخط المدني والخط الكوفي والخط البصري، وقد عرف العرب بعض هذه الخطوط قبل الإسلام، وبعضها عرفوه بعد الإسلام ، وهذا الأمر بالنسبة إلى مواطن الخطوط، واما بالنسبة إلى أشكالها فهناك خط النسخ والرقعة والثلث والريحاني والديواني والطومار، ونال الخط العربي قسطًا من التجويد والابتداع فيه، واهتم الأمويون في الشام بالكتابة العربية اهتمامًا فائقًا (١٥)، بحيث يمكن أن نستدل من كثرة تلك الخطوط على قيام ما يشبه المدارس في الخطوط العربية تلازمت ونافست، وعبرت كل واحدة من تلكم المدارس على مرحلة تاريخية بعينها ساد فيها نوع منها أكثر من غيرها.

أبَعْدَ هذا يتهم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام بأنهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب؟! ويكفي أنهم استوطنوا الكتابة النبطية وطوروها وصبغوها بالصبغة العربية قبل قرنين أو أكثر من البعثة النبوية.

الهوامش

١- حسين نصار، نشأة الكتابة العربية ص١٩.
وانظر: ناصرالدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص٣٨.
٢- نشأة الكتابة (الموضع السابق)
٣- نفسه ص ٢٠-٢١.
٤- نشأة الكتابة ص٢٣.
٥- مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٠.
٦- نشأة الكتابة ص٢٥، مصادر الشعر الجاهلي ص٦١.
وجاء فيه «أن بعض العرب كانوا يكتبون بالعبرانية والسريانية».
٧- الأنباري شرح القصائد السبع المطولات (مقدمة المحقق ص١١).
٨- مصادر الشعر ص٦١.
٩- نفسه ص٥٥.
١٠- انظر تفصيل ذلك في: مصادر الشعر الجاهلي ص٦٦ وما بعدها.
١١- القراءة: تكون اما بالنطق بألفاظها عن نظر العين كأن نقرأ من كتاب أو من صحيفة، واما عن حفظ من الذاكرة او عن اعادة لما يقوله الآخر، وهي بخلاف المحادثة والحوار (قاموس).
١٢- الباقلاني، اعجاز القرآن ص٢٧.
١٣- السيوطي، المزهر ج٢ ص٣٠٣.
١٤- ابوداود السجستاني، المصاحف ص٥٠-٨٨.
١٥- الموسوعة العربية ص٧٥٨.

تزكية

التواضع.. وسيلة التقرب إلى الحق والخلق

التواضع هو التذلل، عكسُه التكبّر، ويمكن أن نعرّفه أيضًا بأنه شعور الإنسان بموقعه الحقيقي أمام الحق سبحانه، وتقييم مكانته لدى الخلق من زاوية هذا الفهم، وعدّ نفسه كأحد من الناس، أو كأي جزء من أجزاء الوجود. وأيًا كان التعريف فمتى ما تقبل الإنسان- بروح متواضعة- أن تكون نفسُه عتبة الباب، موطئ البيت، حجر الرصيف، حصاة الجداول، تبن السنابل، تمكّن أن يعبّر كما عبّر «الإمام الوارلي»:

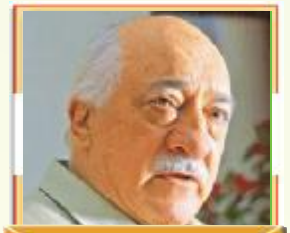

فتح الله كولن

الكلّ حسنٌ إلاّ أنا

الكلّ قمح والتبن أنا

فيكون مرفوع الرأس، مرموقًا مقبولًا لدى أسمى المقامات من أهل الأرض والسموات، أمَا يقول الصادق المصدّق ﷺ في حديثه الطيب الجميل المسند إليه «مَنْ تَواضَع لله رَفَعَه اللهُ ومَن تَكّبر وَضَعه الله»(١) بمعنى أن الكبير والمتكبر والمتواضع والوضيع يتناسبان تناسبا عكسيًا.

ويرى البعض أن التواضع هو ألا يرى الإنسان في نفسه قيمة، ويقول البعض الآخر: هو احترام الناس بما يليق بإنسانيتهم ومعاملتهم بإنكار الذات، وآخرون: أن يعدّ نفسه أشرّ الناس ما لم يتغمده الله بعنايته سبحانه عناية فائقة، وآخرون: اتخاذ موقف تجاه أي نأمة داخلية للأنانية في نفسه صغيرة كانت أم كبيرة، وبذل الجهد لخنقها في موضعها. فكل واحد من هؤلاء له فهمه وطرز تلقيه الخاص، بيد أن الأخير يتعلق بالمقربين والمخلصين أكثر.

قال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا، فقال- من نصب خباءته في مقام القرب: لمّا أتتني الوفود بالسمع والطاعة، دخلتْ في نفسي نخوة- حاشاه أن تكون نخوة كما نفهمها نحن نوعًا من الكدورة- فأحببتُ أن أكسرها، ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.(٢) وكذا حمله الدقيق على ظهره. ولوم نفسه على المنبر(٣) وسكوته عمّن عاتبه(٤).. كل ذلك من قبيل كسر النفس والتواضع.

إن من يستمع إلى كتاب الله الجليل والسنة المطهرة لا تبقى لديه أي شبهة من أن العبودية الحقة هي التواضع والمحوية لكثرة حثهما على التواضع، فقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٣) صوت خالص زكيّ لهم، و﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:٥٤) نَفَسٌ رقيق لطيف تفجّر في قلوبهم وانعكس على سلوكهم. وأيضًا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح:٢٩) التفاتة وتكرمة لهم تفوق التصور.

وينثر المثل الكامل للإنسان ﷺ درراً نفيسة أمام أنظار قلوبنا، منها:

١- «إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».(٥)

٢- «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ».(٦)

٣- «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ».(٧)

٤- «اللّهمّ اجعلني شَكورًا واجعَلني صَبورًا واجعلني في عَيني صغيرًا وفي أعيُن الناس كبيرًا».(٨)

وأمثال هذه الدرر كثيرة وكثيرة، أمَا قضى ﷺ حياته المباركة على هذا النمط؟ فلنذكر نتفا منها:

أ- كان ﷺ يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم.(٩)

ب- وكانت الأمَةُ تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.(١٠)

جـ- وكان ﷺ في بيته في خدمة أهله.(١١)

د- ويشترك في العمل مع الآخرين.(١٢)

هـ- وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة، ويعلف البعير.(١٣)

و- وكان يأكل مع الخادم.(١٤)

ز- ويجالس المساكين.(١٥)

حـ- ويمشي مع الأرامل(١٦) والأيتام (١٧) في حاجاتهم.

ط- ويعود المريض، ويشيّع الجنائز، ويجيب دعوة العبد.(١٨)

فبدءً بالرسول الكريم ﷺ إلى سيدنا عمر وسيدنا عمر بن عبدالعزيز ثم إلى الآلاف ومئات الآلاف من الأولياء والأصفياء والأبرار والمقربين، وأرباب القلوب العظام في هذا العصر.. كلهم

مفكر تركي

ساروا على النهج نفسه.. وأقروا: «إن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع. أما الناقصون القاصرون فميزان الصغر فيهم هو التكبر»(١٩) وبينوا الطريق إلى الإنسان الكامل لمن لم يفقدوا مواهبهم الفطرية.

إن التواضع الحق هو أن يحدّد المرء موقعه تجاه عظمة الحق تعالى ولا تناهيه، بأنه «صفر» ولا شيء إلى المطلق غير المحدود، ويملّك ذاته هذا المعنى. فالكاملون الذين توغل هذا الفكر في طبعهم، وبه بلغوا فطرة ثانية، هم متواضعون في علاقاتهم مع الناس وفي محويّة معهم مع الرزانة التامة. أجل، إن الذين حدّدوا موقعهم أمام الله سبحانه، هم في توازن دائمي سواء في حياتهم الدينية أو في علاقاتهم ومعاملاتهم مع الناس أو في مراقباتهم النفسية الخاصة بهم:

١- فهم في تواضع ومحويّة تجاه الدين، فلا إشكال لهم، لا بمنقوله ولا بمعقوله. لأنهم في استسلام تام له وإذعان بكل ما ثبت بالبيان القرآني النير والسنة الصحيحة والحسنة، لا يعارضون ما بلّغه الرسول ﷺ ولاسيما ما ثبت من أفعاله، حتى لو رأوا ما يخالف العقل والقياس والذوق والسياسة. علمًا أنه ليس في روح الدين ما يخالف العقل القويم والقياس الصحيح والذوق السليم والسياسة الشرعية.

٢- وهم كذلك يعتقدون أنه لا سماح حتى لأصغر البدائل في تمثيل ما عُرّف بالتبليغ؛ لذا فهم منغلقون كليًا على ما هو خارج عن بيان الشارع الجليل. وإذا ما عرضت لأذواقهم ومداركهم ملاحظات مختلفة يؤوّلونها بقصر باعهم في الأمر ويجابهونها:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا
وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ(٢٠)

٣- وهم كذلك مدركون تمام الإدراك أنه لا خلاص في السبل المخالفة للكتاب والسنة، ويجدون أعظم منابع قوتهم في العبودية لله، وفي الحقيقة لن يكون العبد عبدًا لله حقًا ويكون لما سواه مسترقًا، فالذين لا يستطيعون النجاة من ذل العبودية لغير الله لا يُنتظر منهم العبودية الخالصة لله. وما أجمل ما قاله بديع الزمان النورسي: «أيها الإنسان! إن من دساتير القرآن الكريم وأحكامه الثابتة ألا تحسبنَّ ما سوى الله تعالى أعظمَ منك فترفعَه إلى مرتبة العبادة، ولا تحَسبنَّ أنك أعظم من شيء من الأشياء بحيث تتكبّر عليه، إذ يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن المعبودية وفي نسبة المخلوقية».(٢١)

٤- إنهم لا يكلون ثمرات سعيهم إلى أنفسهم قطعًا، ولا يعدّون ما تفضل الله عليهم من قدم للامتحان تقدمًا على غيرهم، ولا يجعلون بذل الجهد- بأية نية كانت- وسيلةً للتكبّر على الآخرين، ولا يعتمدون على حُسن ظن الناس بهم وتوجّههم إليهم ولا ينتظرون العِوَض، بل يعدّون حبّ الناس وتوقيرهم لهم ابتلاء من الله، فلا يستغلون إحسان الحق عليهم وسيلة تحكّم بالناس، لما يرون من أن ألطاف الله بهم وسائل منّة وأذى بمن حولهم.

الخلاصة

إن التواضع هو الباب الرئيس لقَصر خُلُق الله، فهو أيضًا في مقدمة الوسائل للتقرب إلى الحق وإلى الخلق، فالوَردُ ينبت في التراب، والإنسان محصول الأرض لا السماء، والمؤمن أقرب ما يكون إلى الله في السجود عندما يكون الرأس والقدم معًا في موضع واحد.(٢٢)

الهوامش

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ١٤٠/٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ٣٥٢/١٠. وانظر: أحاديث مشابهة في المسند للإمام أحمد، ٧٦/٣؛ كتاب الزهد لابن أبي عاصم، ١٥٦؛ المسند لأبي يعلى، ٣٥٨/٢.

(٢) الرسالة للقشيري، ص:٢٤٤.

(٣) «روي أن عمر بن الخطاب رقى المنبر وجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس لقد رأيتني وما لي من أكال يأكله الناس إلا أنَّ لي خالات من بني مخزوم فكنتُ أستعذبُ لهن الماءَ فيُقبِّضْنَ لي القبضات من الزبيب. قال ثم نزل عن المنبر فقيل له ما أردتَ إلى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال إني وجدتُ في نفسي شيئًا فأردت أن أطأطئ منها». (الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٩٣/٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٤/٦؛ مجمع الزوائد للهيثمي ٢٨٤/٤.

(٥) مسلم، الجنة ٦٤؛ أبوداود، الأدب ٤٨؛ ابن ماجة، الزهد ١٦.

(٦) الترمذي، صفة القيامة ٤٥.

(٧) المسند للإمام أحمد، رقم الحديث: ١١٢٩٩.

(٨) المسند للديلمي، ٤٧٣/١؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ١٨١/١٠.

(٩) «عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وقال كان النبي ﷺ يَفْعَلُهُ». (البخاري، الاستئذان ١٥؛ مسلم، السلام ١٥).

(١٠) الشفا للقاضي عياض، ١٣١/١، ١٣٣.

(١١) «عن الأسود بن يزيد سألتُ عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يَصنَعُ في البَيْتِ قالتْ: كان يكون في مِهْنَةِ أَهْلِه فإذا سمعَ الأذانَ خَرَجَ». (البخاري، النفقات ٨، الأدب ٤٠؛ الترمذي، صفات القيامة ٤٥).

(١٢) المسند للإمام أحمد، ٣٨٣/٢؛ السيرة النبوية لابن هشام، ٢٤/٢.

(١٣) الترمذي، الشمائل ٧٨؛ المسند للإمام أحمد، ٢٥٦/٦.

(١٤) «عن النبي ﷺ قال: إذا أتَى أحدَكُم خَادِمُه بطعامه فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاجَهُ». (البخاري، الأطعمة ٥٥؛ مسلم، الإيمان ٤٢).

(١٥) الشفا للقاضي عياض، ١٣١/١.

(١٦) «عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ والمسكين كَالمُجاهد في سبيل الله أو القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ». (البخاري، النفقات؛ مسلم، الزهد ٤١).

(١٧) «قال رسول الله ﷺ: أنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفَرَّجَ بينهما شيئًا». (البخاري، الطلاق ٢٥؛ مسلم، الزهد ٤٢).

(١٨) البخاري، تفسير سورة التوبة ١٢؛ مسلم، المنافقين ٣.

(١٩) الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي، اللوامع.

(٢٠) المتنبي في ديوانه، ٢٤٦/٤.

(٢١) اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الثانية.

(٢٢) انظر: مسلم، الصلاة ٢١٥؛ النسائي، التطبيق ٧٨؛ المسند للإمام أحمد ٤٢١/٢.

الرياضة في الإسلام.. أهـ

رشيد ناجي الحسن

الرِّياضة لغة: مَصدر راضَ، يقال: راضَ المُهر يَروضُه رياضًا ورياضةً فهو مروّض أي ذَلّله وأسلسَ قِيادَه، ورياضة البدن معالجتُه بألوان من الحركة لتهيئة أعضائه لأداء وظائفها بسهولة.

وقد عرّف السعدي، رحمه الله، الرياضة بأجمل تعريف فقال: هي التمرن والتمرين على الأمور التي تنفع في العاجل والآجل، والتدريبُ على سلوك الوسائل النافعة التي تُدرك بها المقاصد الجليلة.

ودون الدخول في أهمية الرياضة وفوائدها على كل الأصعدة، والتي لا يختلف فيها اثنان، وآدابها وأخلاقها التي يجب التزامُها، والتي يتردد بين الناس أنّ الرياضة أخلاق، مع أنّ الأخلاقَ هي التي تقود الرياضة، وهي التي توجهها نحو هدفها الصحيح أو الخاطئ. دون الدخول في كل ذلك لابد لي من خلال هذا البحث المتواضع من بيان نظرة الإسلام إلى الرياضة، وما حكمها؟ وهل شجع الدين على ممارستها للجنسين معًا أم لا؟ وهل وضع لممارستها ضوابط؟ وما هي؟

من المسلَّم أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل شريعته رحمة بعباده شاملة لجميع مناحي الحياة، واستوعبت أحكامُها حاجات الإنسان كلّها، وأولت عناية كبيرة للإنسان بدنًا وروحًا وعقلًا، ليتسنى له الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والقيامُ بمهمة الاستخلاف في الأرض كما اقتضت المشيئة الإلهية، ولاشكّ أنّ أداءَ هذه المهمة على الوجه الصحيح يحتاج إلى إمكانات وطاقات عقلية وجسدية مميزة.

من هنا نرى الإسلام أعطى للرياضة عناية خاصة باعتبارها مظهرًا وسلوكًا لازمًا للإنسان منذ نشأته، حيث دعت آيات كثيرة من القرآن الكريم إلى تحصيل القوة البدنية وغير البدنية، فقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ (الأنفال ٦٠)، كما امتنّ الله عز وجل على عبده الصالح (طالوت) الذي بعثه ملكا على بني إسرائيل إذ وهبه مع العلم بُنية جسمية قوية، فقال سبحانه: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة ٢٤٧)، وقد أثنى رسولَ الله ﷺ على المؤمن القوي فقال: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير» (رواه مسلم)، والمقصود بالقوة هنا معناها الواسعُ وهو قوة الهمة والإرادة والشخصية، ومعها القوة الجسدية الضرورية للقيام بمتطلبات العبادة والجهاد. وقد كان ﷺ نفسُه ذا جسم متكامل وقوي وضخم، فقد جاء في كتب السنة أنه ﷺ كان قويّ البنية، عظيمَ الصدر، عريضَ المنكبين، ضخمَ العظام، قويّ العضدين والذراعين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ومن الطريف أن نلاحظ

باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

الرِّياضة الهادفة

أقرّ الإسلامُ الرِّياضةَ الهادفةَ النَّظيفة، بل حضّ عليها ورغّب فيها، بشرط أن تكون وسيلة لا غاية، وعندما تبتغى وسيلة للمسلم المتميّز بجسْمه القويّ، وخُلقه الكريم، وعقْله الوقّاد، وعليه فلا حرجَ في الاستمتاع بالرياضة، ما لم تكن تعصّبًا أو همجية أو تخلّفًا عن واجبات شرعيّة أو اجتماعية أهمّ وأولى.

ولاشكّ أنّ من طرائق اكتساب القوة البدنية، مزاولة بعض الرّياضات النافعة، كالرماية، والسّباحة، والمصارعة، والعدْو، وغيرها.. فهذه ألوانٌ من الرّياضة النزيهة كانتْ معروفةً من أيام الجاهلية، فلما جاء الإسلام أقرها، بل رغّب المسلمين في مُزاولتها أو مشاهدتها، لأنها تهيّئ النّفوسَ للإقبال على العبادات والواجبات الأخْرَى، إذ النفوس إذا كلّت من العمل مَلّتْه.

وإنّما المحظور الواقع في بعض أنواع الرياضات اليوم ما يشوبها من المحظورات الشرعية؛ فرياضة المصارعة جائزة، فإذا تحوّلت إلى استعراض للعُري والابتذال، حرُمت؛ لضرورة سَتْر الأجْساد.

وسباقُ الخيل من أجود الرياضات وأليقها بالرّجال، ولكن عندما تصبح هذه المنافسات مجالا خصبًا للمراهنات والمقامرات، فإنها تدخل دائرة الميْسر والقمار المحرّم.

والملاحظ أنّ الرياضة- وبخاصّة كرة القدم- صارتْ بلاءً حين انحرفتْ عن طريقها المقبول، وزادتْ عن حدّها المعقول، فالجماهيرُ تتْرُك أعمالَها وأوجبَ واجباتها من أجلها، والألوف تتابعها بحرْص وشغَف، وضجيج وصياح، وسَبّ وتنابُز، وتعصّب مقيت، يجرّ في كثير من الأحيان إلى خلافات عنيفة، وخصومات هائجة، بين الأصدقاء والمعارف، بل بين الأزواج والزّوْجات، وبين الأبناء والآباء!

فلينظر محبّ الرياضة لنفسه، هل هو في دائرة المباح منها أم في الدائرة الأخرى؟!

ـــميتها.. حكمها.. ضوابطها

أن هذه الأجزاءَ من الجسم هي التي تقاس اليوم بدقة واهتمام في بطولات كمال الأجسام، فمن كان جسمه بهذه الأوصاف، كان صاحبها البطل.

ثم إنَ الملاحظ أنّ معظمَ العبادات التي شرعها الله في الإسلام تعدُّ ضربًا من ضروب الرياضة البدنية، فالصلاة بحركاتها وسكناتها رياضة تحرك الأعضاء، وتحرر المفاصل، وتنشط الجسم، وفي الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس، ما لا يدفعه صحيحُ الفطرة، والحجُّ أشبهُ ما يكون بدورة رياضية سنوية منظمة، فالطوافُ حول الكعبة، والسعيُ بين الصفا والمروة، والوقوفُ بعرفة، ثم الإفاضة منها إلى المشعر الحرام في مزدلفة، ومنها إلى منى.. كل تلك ممارسات رياضية تنشط الجسم وتقوّيه، فوق أنها قربة إلى الله عز وجل، كما زاد ابن القيم، رحمه الله، علاوة على ذلك: المشيَ في الحوائج، وإلى الإخوان، وقضاء حقوقهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، والمشي إلى المساجد للجمعات والجماعات، وحركة الوضوء والاغتسال وغير ذلك.

إذن فالرياضة في الإسلام ليست تسلية أو عبثًا كما هي حال كثير من الرياضات المستحدثة اليوم، بل هي قوة دافعة موجهة للخير.

كما كان ﷺ يحثُّ أصحابه على بعض أنواع الرياضة، لعلّ أهمها الرميُ والتصويب واللعب بالسهام والنبال. فقد صح أنّ النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي (التصويب) فيشجعهم

ويقول: «ارموا وأنا معكم» (رواه البخاري).

وقال في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ «ألا إنّ القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (رواه مسلم).

غير أنه ﷺ حذر اللاعبين من أن يتخذوا من الدواجن ونحوها من الأحياء غرضًا لتصويبهم وتدريبهم. كما حثّ ﷺ على رياضة الفروسية وهي القدرة على ركوب وترويض الجواد والتحكم في حركاته والقدرة على التجانس معه في وحدة متناسقة من الحركات، ففي الصحيحين أنه ﷺ سابق بين الخيل، بل وأعطى السابق منهم، أي كافأه، كما في مسند أحمد، وإنما شجع الإسلام على هذه الرياضة، ورفع من شأنها، لارتباطها بالجهاد في سبيل الله، وفي إعداد القوة والمنعة للدفاع عن الأمة والوطن.

وكذلك حثّ ﷺ على السباحة على الرغم من عدم وجود بحار أو أنهار في مكة والمدينة أو حولهما، وهي رياضة تعتبر الأكثر نفعًا للجسم دون غيرها من الرياضات. لأنها تقوّي الجملة العصبية، وتنمّي العضلات، قال ﷺ: «كلُّ شيء ليس من ذكر الله عز وجل، فهو لغو ولهو، أو سهو، إلا أربعَ خصال: مشي الرجل بين الغرضين (أي للرمي والتصويب) وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة». (رواه النسائي بإسناد صحيح).

ومما حثّ عليه أيضا: المبارزة واللعب بالسيوف، حيث سمح ﷺ للأحباش أن يلعبوا بحرابهم في مسجده ﷺ، كما صحّ في الحديث.

ومن الرياضات التي مارسها ﷺ رياضة المشي حتى إنّ أبا هريرة رضي الله عنه وصفه فقال: «ما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ لكأنما تطوى له الأرض، وكنا إذا مشينا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.. وفي رواية وإنا لنجهد أنفسنا ولا يبدو عليه الجهد». وقد ذهب ﷺ من مكة إلى الطائف والتي تبعد حوالى (١١٠) كم، ماشيًا على قدميه.

كما شارك ﷺ في المسابقات الرياضية التي كان أصحابه يمارسونها، وقد اشتهر منهم في لعبة الرمي كثيرون، كان في طليعتهم حمزة رضي الله عنه عمُّ النبي ﷺ وعديُّ بنُ حاتم رضي الله عنهما وغيرهما. وفي العدْو كان عليٌّ رضي الله عنه عَدّاءً سريعَ العدو، وكذلك كان سلمةُ بنُ الأكوع وغيرُه من الصحابة.

إذن فالرياضة في الإسلام موجهة نحو غاية، تهدف إلى القوة، وهي في نظر المشرّع سبحانه وسيلة لتحقيق الصحة والقوة البدنية لأفراد الأمة، وذلك حتى تكون الأمة المحمدية مرهوبة الجانب، منيعة محمية عزيزة كريمة.

أما حكم الألعاب الرياضية في الإسلام: فإنّا نرى أنّ مَنْ نظر في النصوص الجزئية للشريعة لا يجد في مُحْكم القرآن الكريم، ولا في صحيح السنة النبوية، ما يحظر اللهو واللعب، إلا ما صاحبَه أمر محرم شرعًا، أو أدّى إلى مفسدة محققة أو مرجّحة.

وقد نظر الإسلام على أنه إذا كان الغرض من الرياضة هو إعداد الجسم ليكون صالحًا لأداء فريضة الجهاد، قادرًا على إعلاء كلمة الله، فالرياضة مطلوبة، ولذا ندب الإسلام إلى القيام بأنواع من اللعب لما فيها من فوائد، وإذا كان الغرض هو الترويح عن النفس ونحو ذلك، فالرياضة مباحة، وإذا اشتملت على محرم كتضييع الصلاة، أو كشف العورات أو اختلاط بالنساء ونحو ذلك كانت حرامًا. وقد تكره أو تحرم أنواع أخرى حسب ما يقترن بها من أفعال مكروهة أو محرمة، أو لأن صورة ممارستها مكروهة أو محرمة شرعًا.

فَمِنَ اللَّعِبِ الْمُبَاحِ (١) الْمُسَابَقَةُ الْمَشْرُوعَةُ عَلَى الأقدامِ والخيل وَنَحْوِ ذَلِك. ويدخل تحت الألعاب المباحة أيضًا ألعاب القوى كالمشي والجري والقفز والوثب والرماية ورفع الأثقال وغيرها، وكذا الألعاب الكروية ككرة القدم والسلة ونحوهما. ولكنّ المباحات في الإسلام لها ضوابطها التي تتقيد بها، فلا يجوز لها أن تخرج عنها، ومنها عدم الإسراف والمبالغة فيها، كما قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف:٣١). فالإسراف في المباح يجعله حرامًا، أو يقربه إلى دائرة الحرام.

ومِنَ اللعب المستحب: الْمُنَاضَلَةُ عَلَى السِّهَامِ وَالرِّمَاحِ، والفروسية، والسباحة،

وَكُل نَافِعٍ فِي الْحَرْبِ.

ومِنَ المكروه: اللَّعِبُ بالطير والحمام لأَنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِأَصْحَابِ المروءات، وربما يكون حرامًا؛ لما رواه أحمد وأبوداود أن النبي ﷺ رأى رجلًا يتبع حمامة، فقال: «شيطان يتبع شيطانة»، وكذا يُلحق بالمكروه كلُّ لهو غير نافع، لما فيه من تضييع الوقت والانشغال عن ذكر الله وعن الصلاة (٢).

وَمِنَ اللَّعِبِ الْمُحَرَّمِ: كلُّ لعبة فيها قمار، وهو أن يغنم أحدهما، ويغرم الآخر، لأنه من الميسر أي القمار الذي أمر الله باجتنابه. ومن الألعاب المحرمة كذلك المصارعة الحرة والملاكمة، وتحريش الديكة على بعضها، ودفع المواشي إلى التناطح ومصارعة الثيران ونحوها، وذلك لما تحدثه من أضرار في حياة الإنسان أو الحيوان، فإن لم يكن في الملاكمة أو المصارعة ضرر بأحد الطرفين كانت مباحة، وكذلك تباح إن كان فيها تعويد الإنسان على القوة والقتال والدفاع عن النفس، وقد صارع رسول الله ﷺ ركانة وغلبه.

ومن الألعاب- بل كثير منها- ما يكون جائزًا، وقد يرتقي إلى الكراهة، أو إلى التحريم كالصيد، فالصيد لحاجة جائز، وأما الصيد الذي ليس فيه إلا اللهو واللعب فمكروه، أمّا إنْ كان فيه ظلم للناس بالعدوان على زرعهم وأموالهم، أو إسراف مبين فحرام. وقد حذر النبي ﷺ من العبث في الصيد فقال: «ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عنها. قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها» (رواه النسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي)، وقال: «من قتل عصفورًا عبثًا عَجّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة» (رواه النسائي وابن حبان في صحيحه). وعجّ: رفع صوته.

وأما الاحتراف: وهو ممارسة الشخص للرياضة باعتبارها حرفة، بصفة مستمرة ومنتظمة، على أن يكون العائد الذي يتحقق من هذا النشاط هو مصدر رزقه الأساسي.. فقد اختلفت أقوال العلماء المعاصرين فيه على ثلاثة أقوال، التحريم مطلقا، الجواز مع الكراهة، الجواز بالشروط وبالضوابط.

هذا، وإنّ تنوعَ الرياضات في عصرنا هذا، ودخولَ الكثير من المخالفات الشرعية فيها، إمّا في نظام الرياضة ذاتها، أو في كيفية أدائها استدعى معرفة الضوابط الشرعية اللازمة في ممارستها، والتي استنبطها الفقهاء من كتاب الله عز وجل، وأقوال النبي ﷺ، ومن مقاصد الشريعة. ولعلّ خير من توسع في ذكر تلك الضوابط هو ابن القيم، رحمه الله، حيث قال في كتاب (الذرائع، ١/٨٥): وَالْمَقْصُودُ أَنَّه مَتَى شَغَلَ اللهو عَمّا يَجِبُ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا فهو

حَرَامٌ باتّفاق الْعُلَمَاء. وَكَذَلِكَ لَوْ شَغَلَ عَنْ وَاجِبٍ مِنْ غَيْرِ الصَّلَاةِ مِنْ مَصْلَحَةِ النَّفْسِ أَوْ الْأَهْلِ، أَوْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ صِلَةِ الرَّحِمِ أَوْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ مِنْ نَظَرٍ فِي وِلَايَةٍ أَوْ إمَامَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ وَكَذَلِكَ إذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى مُحَرَّمٍ أَوْ اسْتَلْزَمَتْ مُحَرَّمًا. فَإِنَّهَا تَحْرُمُ بِالِاتِّفَاقِ، مِثْلَ اشْتِمَالِهَا عَلَى الْكَذِبِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ وَكَذَلِكَ إذَا قُدِّرَ أَنَّهَا مُسْتَلْزِمَةٌ فَسَادًا غَيْرَ ذَلِكَ مِثْلَ اجْتِمَاعٍ عَلَى مُقَدِّمَاتِ الْفَوَاحِشِ، أَوْ التَّعَاوُنِ عَلَى الْعُدْوَانِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ مِثْلَ أَنْ يُفْضِيَ اللَّعِبُ بِهَا إلَى الْكَثْرَةِ وَالظُّهُورِ الَّذِي يُشْتَمَلُ مَعَهُ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ، فَهَذِهِ الصُّوَرُ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يَتَّفِقُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهَا فِيهَا.

ويقول ابن حجر في فتح الباري، ٩١/١١: إذا شُغل اللاهي بأمر عن طاعة الله، كمن التهى بشيء من الأشياء مطلقًا سواء كان مأذونًا في فعله أو منهيًّا عنه، كمن اشتغل بصلاة نافلة أو بتلاوة أو ذكر أو تفكر في معاني القرآن مثلًا، حتى خرج وقتُ الصلاة المفروضة عمدًا فإنه يدخل تحت هذا الضابط وإذا كان هذا في الأشياء المرغّب فيها المطلوب فعلُها فكيف حال ما دونها.

ومن الضوابط أيضا: مراعاة المقاصد الحسنة (الشرعية) عند مزاولة الرياضة حتى يُؤجَر المرء في ذلك، لأنّ الأمور بمقاصدها، ولذا تُعَدّ الرياضة من الأمور التي يثاب عليها المسلم إذا استحضر نيته، يقول الإمام النووي رحمه الله: إنّ الأمرَ المباحَ إذا قُصد به وجهُ الله تعالى صار طاعة، ويُثاب عليه، وقد نبّه النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك صدقة» (البخاري).

ومنها: المحافظة على ستر العورات المحظور كشفها.

الرياضة في الإسلام ليست تسلية أو عبثاً بل هي قوة دافعة موجهة للخير

وأشد من ذلك وأغلظ ما يتعلق بعورات النساء.

ومنها: ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة بسبب تلك المسابقات، فإنّ الموالاة والمعاداة إنما تكون لله وفي الله فقط، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة:٧١). قال القرطبي: أي قلوبهم متحدة في التوادِّ والتحاب والتعاطف.

ومنها: عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب الظن، فإن كانت الرياضة خطرة، أو يغلب على الظن أنها خطرة، سواء أكان هذا الأذى والضرر يلحق باللاعب، أو يلحقه هو بغيره، فإنها ممنوعة، لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر. وقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥). وقال ﷺ: «لا ضرر، ولا ضرار» (البيهقي).

ومنها: وجوبُ الابتعاد عن الاختلاط في ممارسة الرياضة، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» (البخاري).

ومنها: البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة، خصوصًا وأنّ أكثر أنواع سباقات الخيل اليوم فيها قمار، ومراهنات ممنوعة.

ومنها: ألا يستخدمها إلا في طاعة الله، ومساعدة الآخرين، ونصرة الحق، ولذلك قال الله تعالى عن موسى: ﴿قال ربِّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين﴾ (القصص: ١٧)، فهو عليه السلام يريد لما يمده الله به من نعم أن تكون مسخرة في الدفاع عن المظلومين ونصرة الحق، وليس آلة بيد الظالمين.

ومنها: عدم إيقاع الأذى المقصود بالمخلوقات من الناس أو الحيوانات، كاتخاذ الطيور أهدافًا للتدريب على الرماية، أو تعذيب الحيوان، أو التحريش بين الطيور والحيوانات بقصد اللهو كمصارعة الثيران.

ومنها: أن تعود فائدة ممارسة الرياضة بالخير على الأمة المسلمة بكل ما ينفعها، وإلا كانت عبثًا، وقد قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون: ١١٥). وقال عن نفسه: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (الدخان: ٣٨).

ومنها: ممارسة الرياضة بالقدر المعتدل، إذ مما يلاحظ اليوم ولع الكثير من شبابنا وفتياتنا بالرياضة، ما وصل إلى حد الإسراف في ذلك مما هو ممقوت شرعًا، والذي يؤدي بدوره إلى تخلف الأمة وضعفها.

شاب الصبا والتصابي لم يشب
وضاع وقتك بين اللهو واللعب

وأما عن حكم ممارسة المرأة للرياضة فلابدّ لي من القول أولًا بأنّ المرأة أكثرُ احتياجًا للرياضة من الرجل، وذلك بحكم قلة حركتها وطبيعة عملها، ثم إنّ طبيعة الحياة

الفسيولوجية عند المرأة والمتمثلة بالحمل والولادة وظروف ما بعد الحمل والدورة الشهرية، كلّ ذلك يجعلها بحاجة ماسة إلى الرياضة. ثمّ إنّ الملاحظ أنّ المرأة الرياضية الرشيقة، هي المفضلة اليوم عند الرجل على غيرها من صاحباتها. والمرأة أصلًا مأمورة بالمحافظة على نفسها وجسمها، من باب قوله ﷺ: «إذا نظر إليها سرته، وان أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله» (أبوداود).

ولطالما أنّ الأصلَ عمومُ الأحكام الشرعية للرجال والنساء جميعًا، إلاّ ما قام الدليل على تخصيص الرجال أو النساء به، وأنّ الأصلَ في الرياضة الجواز، لذا يمكن القولُ بجواز ممارسة المرأة للرياضة، لكن بشروط وضوابط، وقد صحّ أنّ النبيّ ﷺ سابق زوجه عائشة، أكثرَ من مرة، بل إنّ النصوصَ الشرعية التي تحدثت عن فضل الإعداد بالقوة عامة لكل المسلمين، رجالًا ونساءً، كلٌّ بحسبه، والمرأة شقيقة الرجال، تحتاج مثلهم إلى بناء جسمها، لتقوم بأداء واجباتها تجاه ربها، وأسرتها، ومجتمعها، وهي داخلة في عموم النصوص الشرعية

ديننا فيه فسحة لكن احذروا نسيان الغرض الشريف الذي شُرعت الرياضة لأجله

المذكورة، وقد صحّ أنّ كثيرًا من النساء في العصر النبوي وغيره شاركن في الجهاد كنسيبة بنت كعب التي رمت بالنبل لحماية النبي ﷺ، وخولة بنت الأزور أيام معركة اليرموك التي طاردت شجعان الروم حتى سقط سيفها فقاتلت بعصي الخيمة وفكت أسر المسلمين، أو الخنساء يوم القادسية وغيرهن من نساء المسلمات ممن خدمن أزواجهن أيضًا داخل البيت وخارجه، كفاطمة رضي الله عنها، وأسماء بنت أبي بكر، التي كانت تحمل النوى من بساتين الزبير إلى علف حيواناته، وكانت تقوم على خيله.

ولاشك بأن الأوْلى والأفضلَ للمرأة أنْ تمارس الرياضة المناسبة لها في بيتها، أما إن احتاجت إلى ممارسة الرياضة خارج البيت فلابد من مراعاة الضوابط الشرعية في ذلك، وقد ذكرتُ بعضا منها سابقًا، ويزيد النساء عليها بما يلي

- أن يكون المكان الذي تمارس فيه المرأة الرياضة خاليًا من الرجال ومستورًا عن الأعين، ولا حتى من يعملون معهن من عمالة، وألا يكون هناك خلوة مع الأجانب، وأن يُتأكد من عدم تركيب كاميرات تصوير ولذلك نلاحظ أن النبي ﷺ عندما تسابق مع السيدة عائشة- رضي الله عنها- قدّم الرجال وأخّر عائشة عنهم، وهذا يدلّ على أمرين مهمين، الأول: مشروعية الرياضة للنساء، والثاني: الضوابط الشرعية وخصوصية النساء في هذا المجال.

- الاحتشام بارتداء الزي الإسلامي، وعدم كشف ما لا يحلّ كشفه من العورات، وأنْ تكون الملابس التي يرتدينها فضفاضة، حتى ولو كنّ نساء مع بعضهن البعض.

- أن تمارس المرأة الرياضات المناسبة لتكوينها وطبيعتها الفطرية والنفسية، بعيدًا عن أية رياضة عنيفة كرياضة الوثب، أو كمال الأجسام، أو رفع الأثقال، التي قد تضر بجسدها، وربما تفقدها بعض الخصائص التي أودعها الله فيها.

- أن يقوم على هذه الأماكن الرياضية نساء مؤمنات ثقات حازمات ذكيات، حتى ينتبهن إلى أية مخالفة.

- ألا تشغلها الرياضة عما خلقت من أجله، كعبادة الله سبحانه، وحفظ حق الزوج، وحسن تربية أولادها، وخدمة دينها.

أما عن مشاركة المرأة في البطولات الرياضية في الخارج فلابد من القول بأنّ تلك البطولات تكتنفها محاذير كثيرة تضع إشارات الاستفهام والتعجب، فهل هذه البطولات نقية من الاختلاط؟ أو التصوير؟ أو البث الحي الذي ينقل للناس ما يحدث في الداخل؟ مؤكد أنّ هذا مستحيل، لأنّ البطولات الدولية لها قوانينها الخاصة، ومنها ما يعارض

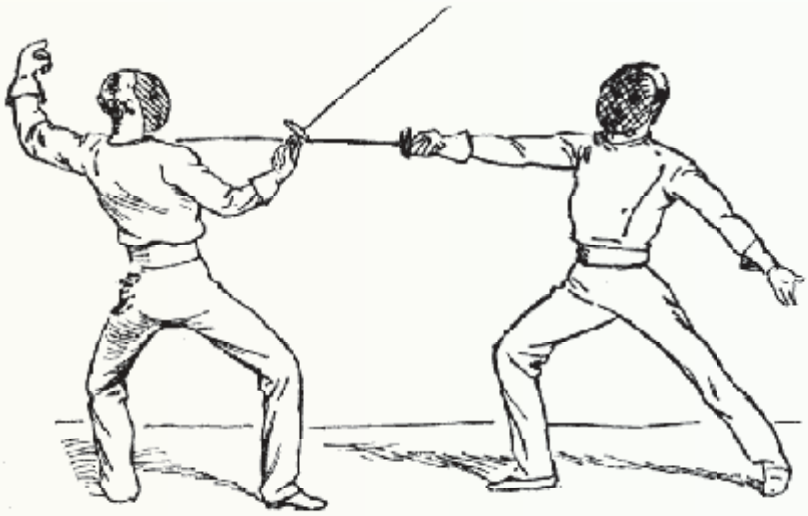

شريعتنا الإسلامية، وفيها اختلاط شديد للرجال مع النساء، وفيها من التعري ما الله به عليم، وكذا التصوير الواسع، لذا وبناء على اعتبار فقه المآلات في المسألة، يمكن القول بأنه لا يجوز للمسلمة والحالة هذه المشاركة في هذه المسابقات.

ومن المفاسد في ذلك أيضا: كثرة خروج المرأة من بيتها بحجة الرياضة، وعدم قرارها في بيتها. والله قد أمرها بالقرار في بيتها وعدم الخروج إلا لحاجة.

ومنها: بقاء البيت بلا راعٍ يقوم بشؤونه وشؤون الأولاد.

وأما مشاهدة المباريات، فليس حكمها داخلًا في الرياضة، بل في حكم النظر، والصحيح في حكمها أنها جائزة ما لم يكن هناك تكشف للعورات، أو إدمان للمشاهدة كحال بعض الشباب اليوم، بل إنّ جداول الاختبارات والامتحانات الدراسية في بعض دولنا الإسلامية تأثرت بجداول المباريات، وكذا أوقاتُ الدوام والأشغال، ومن شروط جواز المشاهدة أيضا ألا يكون هناك تعصب ممقوت قد يؤدي بدوره إلى فتنة عمياء، ولن ينسى التاريخ بأن حربًا قامت واستمرت ١٠٠ ساعة بين دولتين جارتين في أميركا الوسطى هما هندوراس والسلفادور وانتهت بكارثة، أكثر من ٤٠٠٠ قتيل، ومعهم ١٠ آلاف مشوّه، و١٢٠ ألف مشرد، ودمار مئات البيوت والمنشآت التي تزيد قيمتها اليوم على ثمانية مليارات دولار، وبرأيي ليس عيبا أن تخسر مباراة، لكن العيب أن تخسر مبادئك ومثاليتك وتاريخًا صُنع في سنين.

ناشدتكم بالله والقرآن يا جيل الكرة
أعلمتم أن اليهود على الديار معسكرة
أيسجل التاريخ أنا أمة مستهترة
شهدت سقوط بلادها وعيونها فوق الكرة

وهل المرأة كالرجال في حكم مشاهدة المباريات؟ أجاب الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله، في فتاوى المرأة المسلمة ٢/٩٧٣، فقال: النظرة المجردة التي لا شهوة فيها ولا تمتع، لا شيء فيها على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي جائزة لما ثبت في الصحيحين «أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وكان النبيُّ ﷺ يسترها عنهم»، وأقرّها على ذلك. ولأنّ النساءَ يمشين في الأسواق، وينظرن إلى الرجال وإنْ كنّ محتجبات، فالمرأة تنظر إلى الرجل، وإن كان هو لا ينظرها، بشرط ألا تكون هناك شهوة وفتنة فإن كانت شهوة أو فتنة، فالنظرة محرمة في التلفزيون وغيره. ويضاف إلى ذلك شرط مهم أيضا وهو ألا يكون النظر إلى عورة.

وأخيرا أتوجه بالحديث إلى شبابنا وفتياتنا فأقول لهم: روّحوا عن أنفسكم بما هو مباح في الرياضة بالقدر المطلوب، فديننا فيه فسحة، لكن احذروا نسيان الغرض الشريف الذي شُرعت الرياضة لأجله، وهو التقوّي على الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل في الأرض، وذلك بأن يُعبدَ اللهُ وحده، ويُستقامَ على شرعه، حتى يسعدَ الناسُ في دنياهم وأخراهم، ولتكن الرياضة زيادة في حسناتكم لا نقصًا من درجاتكم وثوابكم.

المراجع

١- مغني المحتاج ٤/ ٣١١، ٤٢٨، المغني ٨/ ٦٥١ وما بعدها و٩/ ١٧٠ وما بعدها، القوانين الفقهية ص١٥٤، بدائع الصنائع ٦/ ٢٠٦.
٢- بدائع الصنائع ٦/ ٢٦٩، الخرشي ٧/ ١٧٧، شرح الزرقاني ٧/ ١٥٩، مغني المحتاج ٤/ ٤٢٨، ٤٣٢، المغني ٩/ ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، كشاف القناع ٦/ ٤٢٣.
٣- الألعاب الرياضية، علي حسين أمين يونس، الأردن، ١٤٢٣هـ.
٤- الرياضات المسنونة وأثرها في صحة الفرد والمجتمع، د محمد نزار الدقر.
٥- فقه اللهو والترويح، د يوسف القرضاوي.
٦- الصلاة والرياضة والبدن، عدنان الطرشة.
٧- الرياضة والمجتمع، د.أمين أنور الخولي.
٨- رياضة المرأة..دراسة فقهية معاصرة شاملة، رسالة ماجستير، نهلة الرديني.

المنافسات الرياضية.. الفوز والهزيمة في ميزان الإسلام

كمال عبدالمنعم خليل

الرياضة البدنية لها أهميتها في الإسلام من منطلق قول الله عز وجل: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠). وقول الرسول ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، والرياضة باب من أبواب الترويح عن النفس، فالنفس تكل وتمل، ولابد لها من فترات تجدد فيها نشاطها وتستعيد فيها قوتها، وقد قيل: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت»، وعلى الرغم من أهمية ممارسة الرياضة البدنية، فإنها قد تجر صاحبها إلى كثير من المخالفات الشرعية، فكان لابد من تحديد الضوابط الشرعية التي تحكم ممارستها، وتبعد صاحبها عن كل ما فيه إثم ومضرة في الدين والدنيا والآخرة.

لقد عرفت الرياضة البدنية منذ الأزمنة الأولى لبني البشر، والذي يؤكد ذلك ما وجده العلماء من رسومات وحفريات على جدران الآثار القديمة الموجودة منذ آلاف السنين، ولاشك أن هذه الرياضات تنوعت وتعددت وتطورت حتى وصلت إلى ما نراه اليوم، فقد وصلت أنواعها إلى أكثر من ألف نوع، منها ما هو شائع ومعروف لدى كل الأقطار، ومنها ما تقتصر ممارسته على بلد ما. ومنها ما هو رسمي تقام فيه المسابقات، ومنها ما هو غير رسمي، ولكننا إذا أردنا أن نفاضل بين هذه الأنواع ونحدد أنفعها لوجدنا أن الرياضات التي كانت تمارس على عهد الرسول ﷺ، بل كان يمارسها بنفسه، ويشجع أصحابه على ممارستها وإتقانها هي أفضل أنواع الرياضات، ومن هذه الرياضات رياضة العدو (الجري)، وهي موجودة في كل المنافسات، بل هي من أشهرها، وقد قام المنظمون لمسابقات ألعاب القوى على المستوى الدولي بتقسيمها إلى عدة أنواع تبعًا للمسافات التي يتم قطعها، وقد مارس الرسول ﷺ رياضة العدو، وتسابق مع السيدة عائشة، رضي الله عنها، فسبقته مرة وسبقها الثانية، فقد

روى أحمد وأبوداود عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي: سمنت) فسابقني فسبقني فقال: هذه بتلك»، كذلك فإن رياضة المصارعة من الألعاب التي تقوي البدن والعزيمة شريطة أن تكون بعيدة عن الرغبة في الانتقام والقضاء على الخصم، وتروي كتب السيرة أن الرسول ﷺ صارع «ركانة» وكان يعرف بقوته، فصرعه الرسول ﷺ غير مرة، وفي غزوة أحد أمر الرسول ﷺ كلًا من سمرة بن جندب ورافع بن خديج أن يتصارعا أمامه ليجيز أقواهما لصغر سنهما فصرع سمرة رافعًا، فأجازه الرسول ﷺ للاشتراك في غزوة أحد لقوته، وأجاز رافعًا لمهارته في الرمي.

أما الرماية فهي من الرياضات التي أمر الإسلام بتعلمها لما لها من أهمية كبيرة في الحرب والسلم، فقد روى مسلم في صحيحه أن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠)، ثم قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»، وفي رواية «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا»، أو «فقد عصى»، وقد أتقنها أصحاب الرسول ﷺ نظرًا لظروف الجهاد في سبيل الله ضد الأعداء، حيث كان القتال رجلًا لرجل، والسيف أمام السيف، والرمح أمام الرمح، كما كان الرمي يستخدم بكثرة في الصيد البري، أما السباحة والفروسية فهما من الرياضات المفيدة للبدن والنافعة في كل الأحوال، وقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه القول: «علموا أبناءكم السباحة والرماية، ومروهم أن يثبوا على ظهور الخيل وثبا»، والذي يتابع البطولات والمسابقات الدولية والمحلية يجد كل هذه الرياضات أساسية فيها، ليتنافس فيها الكثير من مختلف الأقطار.

باحث شرعي

رياضات محرمة

رغم ما للرياضة من فوائد فإن هناك بعض هذه الرياضات تصل أضرارها إلى حد تعريض الحياة للموت في أي وقت وباحتمالات كبيرة، لذلك فإن الإسلام يرفض مثل هذه الألعاب، بل ويحرم ممارستها، ومن الألعاب الخطيرة الضارة ملاكمة المحترفين، حيث يسعى كل لاعب إلى القضاء على خصمه بضربة يسمونها «قاضية»، وإذا لم يمت اللاعب على حلبة الملاكمة، فإن أثر هذه اللكمات على الوجه والمخ يكون بالغا، وقد ظهرت إحصائية في أواخر الثمانينيات تقول: إن هناك ما يقرب من ثلاثمائة وستين ملاكما ماتوا في الخمس سنوات الأخيرة إما على الحلبة أو بتأثير الضربات التي وجهت إليهم، حيث تتسبب في حدوث ارتجاجات في المخ، يتوفون على إثرها، وقد نهى الإسلام عن الضرب على الوجه لأن فيه ذلة ومهانة.

ومثلها مصارعة المحترفين، حيث السعي إلى المال والشهرة والرغبة في الانتقام، وفي هذه الرياضة العنيفة يستخدم اللاعبون كل أساليب الضرب من لكم وركل وخنق وشنق بالأحبال الموجودة على جوانب الحلبة، وأظن أن أي عاقل يعلم بداهة أن الإسلام حرم هذا لأنه من باب الاعتداء الذي يؤدي إلى قتل النفس بغير حق، وقد جعل الإسلام من ضمن مقاصده العليا الحفاظ على النفس.

أما مصارعة الثيران المنتشرة في أوروبا خاصة في أسبانيا، فإن المصارع يواجه حيوانًا لا عقل له، ويعمل جاهدًا على قتله بغرس السهام في جسده، وهذه الرياضة محرمة من وجهين: الأول، تعرض المصارع لخطر القتل- وهو ما يحدث بكثرة- وقد نهى الإسلام عن قتل النفس

فقال تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم﴾ (النساء: ٢٩)، أما الوجه الثاني للتحريم فهو قتل الحيوان بغير جريرة، فقد نهى الإسلام عن اتخاذ الروح غرضا وهدفا لأجل اللعب واللهو، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه «مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا»، وفي هذه الرياضة يقتل الحيوان بطريقة يعذب فيها، وهو ما حرمه الإسلام أيضًا، فقد روى مسلم عن شداد بن أبوس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»، ثم إنه لا طائل من وراء ممارسة تلك الرياضة، وقد أفتى كثير من العلماء المعاصرين بحرمة ممارسة هذه الرياضة.

حينما أباح الإسلام أي رياضة أو تنافس حرم المقامرة فيها، وقد سمى النبي ﷺ الخيل المعد للقمار بغرس الشيطان، فقد روى المنذري في الترغيب والترهيب أن رسول الله ﷺ قال عن مثل هذه الخيول: «الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان... ثم قال: وأما فرس الشيطان فالذي يقامر عليه يراهن...»، وقد أباح الإسلام الرهان بين المتسابقين وهو جعل يبذل من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط، أما إذا بذل كل منهما جعلًا على أن يأخذ الفائز الجعلين فهذا هو القمار والميسر الذي نهى الله تعالى عنه، قال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة: ٩٠).

النساء وممارسة الرياضة

لم يمنع الإسلام النساء من ممارسة الرياضة، ولكن أحاطها بسياج من القواعد الشرعية والضوابط التي تحفظ للمرأة حياءها وأنوثتها، كما تبعدها عن غضب الله وسخطه، وممارسة النساء للرياضة لها أصل في السنة، وهو حديث عائشة المتقدم حيث كانت تمارس رياضة الجري وتسابق النبي ﷺ، إلا أننا لو نظرنا إلى الرياضات النسائية في الوقت الحالي لوجدنا الآتي:

أولًا: معظم الرياضات التي تمارسها النساء تكشف فيها العورات أمام الرجال بل أمام العالم أجمع عبر شاشات الفضائيات، وهو ما يتنافى مع الشرع الحنيف لأنه يثير الفتن، ويهيج الغرائز.

ثانيًا: الإجهاد البدني الغير عادي الذي لا يتناسب مع طبيعة المرأة وأنوثتها، وذلك يؤثر على الجوانب الأخرى في حياتها مثل الحمل والرضاعة وتربية الأبناء، وأثبتت الإحصاءات أن ٨٠٪ من النساء اللائي يمارسن الرياضة العنيفة لا يرغبن في الزواج، وان تزوجن لا يرغبن في الحمل والإنجاب، وقد يتعرض بعضهن للعقم بسبب ممارسة هذه الألعاب العنيفة والشاقة.

ثالثًا: اختلاط الرجال بالنساء هو

الشائع عند ممارسة النساء للرياضة، فهذه الفرقة النسائية تحتاج إلى مدرب رجل واى فريق إداري من الرجال، أو على أقل تقدير يدير المباراة رجل ويشاهدها المتفرجون من الجنسين، وهو باب عظيم من أبواب الشر والفساد، وقد حرم الله تعالى الاختلاط وحث على البعد عنه حتى عند أداء أعظم عبادة وهي الصلاة، فقد روى الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وشر صفوف النساء أولها، وخيرها آخرها»، إذا كان هذا في مجال العبادة، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق برياضات فيها الأجساد عارية، والعورات منكشفة؟

لم يمنع الإسلام النساء من ممارسة الرياضة لكن أحاطها بسياج من القواعد الشرعية

رابعًا: النساء عند ممارستهن للرياضة يتشبهن بالرجال في كل شيء.. في الزي الرياضي وفي نوع الرياضة وحتى في الحركات التي تحدث، وهذا منهي عنه، فقد روى أبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»، والغرب هم الذين يسعون إلى نشر الرياضة بين النساء بالأسلوب والكيفية التي نراها اليوم، وقد نجحوا في ذلك، فسار في ركابهم الكثير من الدول المسلمة، فشجعوا النساء على التبرج والسفور وكشف العورات والتشبه بالرجال في صورة من التقليد الأعمى المذموم، الذي يحرق الشرع الإسلامي الحنيف.

الرياضة فائز ومهزوم

نرى الكثير من الممارسات اللاأخلاقية في ميدان الرياضة في وقتنا هذا، ووصل الأمر في بعضها إلى حد إصدار البيانات الرسمية الرئاسية خاصة إذا تعلق الأمر بمكسب وخسارة، وفوز وهزيمة، وصعود وهبوط، ونرى أثر ذلك على الأفراد والمجتمعات والمصالح الاقتصادية، حيث تدمر المنشآت، وتخرب المدن ووسائل المواصلات بسبب خسارة فريق أمام آخر، بل يصل الأمر إلى الاصابات وأحيانا القتل بين جمهور الفريقين، والمتابع للأحداث الرياضية يتبين له هذه الأمور، وتعد إنجلترا أكثر الدول التي يحدث فيها ذلك، فالجمهور الإنجليزي من أعنف الجماهير، حيث يتعصب تعصبا أعمى لفريقه ولا يرضى له إلا الفوز، وللأسف فقد انتقلت هذه الممارسات الخاطئة إلى ملاعبنا نحن كمسلمين، فنرى الكثير من الأحداث المؤسفة التي لا يرضاها الإسلام، سواء كان ذلك بين الفرق وبعضها في البلد الواحد أو بين فرقة وأخرى على المستوى الدولي.

ولا يقتصر أضرار هذه السلوكيات على المشاركين فيها بل يتعدى إلى المشاهدين لها في المنازل، وذلك عندما تنهال السيول من السباب والشتائم على كل فريق من الجماهير المشاهدة في موقع الحدث، أو على الحكام الذين يديرون المباريات وتصل ألفاظها التي تخدش الحياء إلى مسامع المشاهدين، وقد نهى الإسلام عن السباب والشتائم، فقد روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وروى البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

الفائز والمهزوم في المنظور الإسلامي

بقي أن نوضح أخلاق الفائزين والمهزومين في الإطار الذي أمر به الإسلام وحث عليه الرسول الكريم ﷺ، وبداية يجب أن يعلم الممارسون للرياضة والمتنافسون في مجالاتها على المستوى المحلي أو الدولي أن أساس التعامل بينهما هو الأخوة الإسلامية أو الأخوة الإنسانية، والتي يقررها قول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة...﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا...﴾ (الحجرات: ١٣)، وقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه عن أنس رضي الله عنه)، كذلك يجب العلم بأن الحياة دول ولا تستقيم على حال، فمن فاز اليوم قد يخسر غدًا، ومن لم يوفق اليوم قد يحالفه الفوز غدا، المهم أن يحرص كل منهما على الخلق الحسن وصلاح ذات البين، وأن يعلم كل منهما أن الفوز والهزيمة من تقدير الله تعالى مهما كانت الأسباب والمعطيات، ونحن نجد ذلك ويتأكد لنا هذا الأمر فيما نتابعه من منافسات فقد يهزم فريق قوي من فريق ضعيف، وقد يهزم بطل العالم في لعبة ما على يد منافس مغمور غير مشهور، والفائز لابد أن يتخلق بالآتي:

- عدم التعالي والكبر وإظهار العجب خاصة أمام المهزوم، فالله تعالى يقول: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق

الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ (الإسراء: ٣٧)، ويقول سبحانه ﴿إن الله لايحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦)، فلا ينبغي للفائز أن يدفعه توفيق الله له إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، بل عليه أن يتواضع ويعترف بفضل الله عليه، وأن يسجد لله شكرًا، ونرى والحمد لله سجدات الشكر في كل ميادين الرياضة، ما دفع بعض الحاقدين إلى تقديم الشكاوى للمنظمات والهيئات الرياضية الدولية يطالبون فيها بمعاقبة من يسجد عقب الفوز أو عقب إحراز الهدف في مباريات كرة القدم، في الوقت الذي يغضون الطرف عن غير المسلمين حينما يعبرون عن فرحتهم بإشارات لها مدلول ديني وعقدي.

- ينبغي للفائز عدم إظهار الشماتة للمهزوم لأن ذلك يؤجج نار الحقد والبغض في الصدور، وقد نهى الإسلام عن هذا السلوك، فقد روى الترمذي عن وائلة بين الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك» قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا» (حزنا) أما المهزوم فعليه أن يلتزم الآتي:

- الصبر عند الهزيمة، لأن ما قدره الله كان، ولا فائدة في الجزع والسخط، والإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، فقد روى أحمد وأبوداود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تومن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار».

في المنافسات الرياضية نهى الإسلام عن إظهار الفائز الشماتة للمهزوم لأن ذلك يؤجج نار الحقد والباطل

- كظم الغيظ، وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٤)، والغيظ والغضب قد يؤديان بصاحبهما إلى التلفظ بما لا يرضاه الله ورسوله، فالمهزوم ينبغي عليه أن يضبط تصرفاته القولية والفعلية، حتى لا يتضاعف الضرر فيكون دنيويًا بالهزيمة في المنافسة، وأخرويًا بارتكاب الذنوب والآثام بسبب السب والقذف والضرب، وكثيرًا ما نصح الرسول ﷺ بعدم الغضب والانفعال لأبسط الأمور، فقال فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب فردد مرارًا قال: لا تغضب»، كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وفي رواية «ليس الشديد من غلب الناس، وإنما الشديد من غلب نفسه»، وغلب النفس قهرها وضبطها وكسر شهوتها للانتقام.

- الاستعداد لما هو آت، لأن ما فات انتهى أمره، فعليه أن يتدارك الأخطاء ويعمل على تجنبها أملًا في نصر قادم بإذن الله تعالى، وذلك يتم بحسن الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله تعالى.

إن الرياضة البدنية عند ممارستها ينبغي أن تحاط بقواعد تحكمها لتحقق الغرض منها في إطار من الشرع الإسلامي الذي يمدح كل خلق قويم كريم، فقد روى الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون (كثيرو الكلام تكلفًا)، والمتشدقون (الذين يظهرون التعاظم والعلو)، والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون».

فالرياضة ينبغي ان تبتعد عن كل ما يغضب الله تعالى، كما ينبغي القصد في الإنفاق على الأنشطة الرياضة، فالقصد في كل الأمور مطلوب، كذلك يجب ألا تكون ممارسة الرياضة ومتابعتها سببًا في ترك فرائض الله تعالى أو حتى التقصير في أدائها كالصلاة المفروضة، كذلك فإنه من الواجب على كل رياضي مسلم أن يظهر تفرده وتميزه رياضيا وبدنيا وقبل ذلك خلقًا ودينًا، فإن العالم ينظر إلى المسلم نظرة مختلفة خاصة في وقتنا الحالي بعدما زيفت الحقائق واختلطت الأمور، فلا يصح للمسلم أن يظهر في صورة تسيء إليه وإلى دينه الذي ينتمي إليه ويدين به.

وأخيرًا.. نقول للفائز: أبشر ولا تعجب أو تفخر، وللمهزوم: اصبر ولا تجزع أو تغضب، فهذه سنة الله في خلقه، أن تكون أحوالهم متقلبة دائمًا، هدانا الله جميعًا إلى سواء السبيل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الرياضة وأثرها في شخصية المسلم

محمد عبدالرؤوف عثمان

نالت الرياضة مكانة مرموقة في حضارات قديمة كاليونانية والرومانية وغيرها، كما حظيت باهتمام كبير من قبل المسلمين حيث التدربُ على الفروسية وقتال السيف وما يتطلبانه من أجسام قوية مرنة ماهرة.

وقد حثت تعاليم الإسلام على كل ما من شأنه أن يعمل على تنمية شخصية المسلم حتى يصبحَ قادرًا على تحمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه، والقيام بمهمة الخلافة في الأرض، ولهذا فقد حضت التربيةُ النبوية الكريمة الفردَ المسلمَ على بناء حياته على أساس من القوة على الصعد كافة، ومما لاشك فيه أن الرياضة بشتى صورها إذا مُورسَتْ وفق الضوابط الشرعية المحددة فإنها تلعب دورًا بارزًا في تكامل بناء شخصية الإنسان جسدًا وروحًا وعقلاً.

أولًا: أثر الرياضة على الناحية البدنية

تعمل الرياضة في الإسلام على توجيه النمو الجسدي ليأخذ منحى الصحة والقوة والمهارة، فتزداد مقاومته للأمراض وتزداد قدرته على ممارسة الأنشطة والأعمال التي تعتمد على القوة الجسدية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الأمة المحمدية أن تعد العدة لتكون أمة منيعة محمية كريمة مهيبة الجانب فقال سبحانه ﴿وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠) والتهيؤ البدني داخل تحت عموم الأمر في هذه الآية.

وقد مدح الله جل جلاله الملك صاحب الجسد القوي القادر على تحمل الشدائد والمصاعب وجعل موهبته من العلم والقوة سببًا لترشحه للملك قال تعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة:٢٤٧).

وقد حفلت سنة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة بالمواقف والوقائع والأحداث والأقوال التي تشهد بمكانة الرياضة والنشاط البدني في الإسلام لما له من أثر في تكامل تكوين شخصية المسلم، فلقد كان رسول الله قويًا يحب القوة.. ولا غرو فالإسلام دينُ قوة وغلبة فضلًا عن كونه شريعة ودستور حياة، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير»(١) وفي صحيح مسلم عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو على المِنبَر يقول: «وَأَعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ من قُوَّة، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» (٢). كما أكد النبي ﷺ على أهمية رياضات مختلفة كركوب الخيل لما فيها من فوائد جمة، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُضَمِّرُ الخيل يسابق بها(٣).

ثانيًا: أثر الرياضة في الجانب النفسي

تساعد الرياضة على النضج الانفعالي عند الإنسان، فالتربية البدنية تعود المتعلم الصبر والتحكم بالانفعال والعواطف، كما أن نمو الصفات الرياضية تضم في جملة معانيها اتجاهات غيرية تجعل الرياضي يقبل النتائج أيًا كانت، وهذا معناه أنه بلغ مرحلة الضبط الانفعالي لذاته، وأن إرادته قد نمت وأصبح قادرًا على مغالبة أهوائه واندفاعاته وإخضاعها لأحكام العقل. وهذا ما نجده جليًا في سيرة النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ حقًا على الله ألا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه»(٤). وفي هذا الحديث درسٌ بليغٌ للمسلمين في تقبل النتائج أيًا كانت، وضبطِ النفس والتحكم

باحث شرعي

بها. ومن ناحية أخرى يبعث النمو الجسدي السليم شعورًا بالارتياح الجسدي والنفسي لدى المرء، فيزداد اطمئنانه على صحته، وثقته بذاته الجسدية، وتسهم الرياضة وما فيها من ترويح للنفس في تحقيق التوازن بين متطلبات الإنسان المختلفة، ففي الأوقات التي تكون الغلبة فيها لجانب من جوانبه المختلفة، يأتي الترويح ليحقق التوازن بين ذلك الجانب الغالب وبين بقية الجوانب الأخرى المُتَغَلَّب عليها، كما أن شيوع التوتر والقلق في عصرنا (عصر التقنية) بصورة مخيفة، نجم عنه عدد كبير من الأمراض النفسية الخطرة، والمشكلات الاجتماعية المتشعبة، مما جعل من الترويح الهادف أحد أهم متطلبات هذا الوقت؛ لما له من تأثير واضح وقدرة فائقة على الحدّ من السلبيات الناجمة عن هذه الوضعية المؤسفة(٥).

وثمة ألوان كثيرة من اللهو وفنون اللعب، شرعها النبي ﷺ للمسلمين ترفيهًا عنهم، وترويحًا لهم. وهي في الوقت نفسه تهيئ نفوسهم للإقبال على العبادات والواجبات الأخرى أكثر نشاطًا وأشد عزيمة، وهي مع ذلك في كثير منها رياضات تدربهم على معاني القوة، وتعدهم لميادين الجهاد في سبيل الله. فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام، والنبي ﷺ يقرهم عليه.

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجه عائشة رضي الله عنها مباسطة لها، وتطييبًا لنفسها، وتعليمًا لأصحابه.

قالت عائشة رضي الله عنها: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم أي سمنت سابَقَني فسَبَقَني، فقال: «هذه بتلك» يشير إلى المرة الأولى (٦).

الحذر الحذر من الأخلاق الذميمة التي ترافق بعض الرياضات

ثالثًا: أثر الرياضة على العقل

تعمل الرياضة على إنماء الوظائف الفكرية، فالعناية بالجسد وتحسين صحته ونموه يساعد في تنشيط الأعمال الفكرية، ولا تخفى العلاقة بين الجسد والنشاط الفكري ولاسيما تأثير الأول في الثاني. فالألعاب الرياضية تنشط بعض الوظائف العقلية كالانتباه والإدراك والمحاكمة وتساعد على نموها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتوافرة في أغلب الألعاب الرياضية، مثل كرة السلة وكرة القدم والرماية وغيرها، وقد أكدت السيرة النبوية اهتمام النبي ﷺ برياضة الرماية، وذلك لما فيها من إعداد للجهاد، ولما تتطلبه هذه الرياضة من تركيز وانتباه، فاللاعب لابد أن يستخدم قواه الجسدية والعقلية ليحقق انتباها دقيقًا وإدراكًا سريعًا ومحاكمةً سليمةً، وبالتالي سلوكًا حركيًا ماهرًا. فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «مرّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون (أي يتسابقون في الرمي)، فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الطرفين بأيديهم. فقال ﷺ: ما لكم لا ترمون، قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ ارموا وأنا معكم كلكم»(٧).

وهكذا نرى أن الرياضة المشروعة تؤثر في شخص الإنسان جسدًا وروحًا وعقلًا كما أنها تعمل على تكوين جملة من الأخلاق الحميدة التي ترسم خطوطًا عريضة في ملامح شخصية المسلم، فالتدرب على التعب وعلى تقبل نتائج النجاح أو الفشل في المباريات ينمي الصبر، وتمرينات الجرأة والمهارة تنمي الشجاعة والعزم، والشعور بالمسؤولية نحو الجماعة، كما تسهم الألعاب الرياضية المشروعة في تحسين التكيف الاجتماعي عن طريق تنمية العادات الاجتماعية التكيفية، كالتعامل مع الآخرين والنظام والانضباط. لذا فهذه دعوة لممارسة الرياضات المشروعة بكافة أنواعها لما لها من أثر في تكامل بناء الفرد المسلم بدنيًا وعقليًا ونفسيًا واجتماعيًا. والحذر الحذر من السلبيات والأخلاق الذميمة التي يمكن أن ترافق بعض الرياضات المختلفة فيما لو مورست بعيدًا عن ضوابط الشرع وأخلاق الإسلام.

المراجع

١- رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد في المسند (٨٧٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٣٨٦)، عن أبي هريرة.
٢- رواه مسلم في كتاب الجهاد(١٩١٧) والترمذي (٣٠٨٣) وأبوداود (٢٥١٤) عن عقبة بن عامر.
٣- سنن أبي داود رقم (٢٥٧٦).
٤- رواه البخاري (٢٧١٧).
٥- الترويح عن النفس في الإسلام، فيصل بن علي البعداني، موقع الألوكة.
٦- رواه أحمد (١٤١١٨) وأبوداود (٢٥٧٨).
٧- رواه البخاري (٢٧٤٣).

أحكام وضوابط ممارسة النساء الرياضة

محمود فتحي سفور

لقد عني الإسلام بالمرأة عناية كبيرة، وأولاها اهتمامًا بالغًا، ويتجلى ذلك في الأصلين الكبيرين العظيمين في هذا الدين الحنيف وهما القرآن والسنة، وإن كل من يقرأ القرآن ويتبصر في السنة بنظرة حرة واعية يرى جليًا مدى عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بالمرأة حيث كفل لها حقوقها المادية والمعنوية بما يتفق مع تكوينها الخلقي.

فالمرأة نوع من الجنس البشري الذي يقوم على رجل وامرأة، قال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾(الحجرات: ١٣)، وكل ما في هذا الدين من عقائد وتشريع وأخلاق موجه للجنس البشري بنوعيه (الرجل والمرأة)، وقد خُص كل من النوعين بأحكام تتناسب مع تكوينه الخلقي (جسدًا وعقلاً وقلبًا) فإذا حاول الرجل أن يتجاوز ما خُص به من تشريعات، أو حاولت المرأة ذلك فستقف أمامهما البنية التكوينية، وهي الطبيعة التي خُلق كل واحد منهما عليها. ومن هذه المقدمة نخلص إلى ما نحن بصدده من البحث في موضوع «أحكام وضوابط ممارسة النساء الرياضة».

الرياضة هي ممارسة بشرية وينبغي أن ينظر إليها في هذا السياق من حيث انسجامها مع قواعد هذا الدين وأحكامه ومقاصده قبل أن نصبغها بأي حكم شرعي.

فلابد عند ممارسة الرياضة من تحقيق مقاصد الدين، وعدم الإخلال بأي منها، وهذا هو المنطلق في الحكم على أنواع الرياضات المختلفة بغض النظر عن مصدرها سواء أكانت شرقية أو غربية، فعلينا أن نضعها في ميزان الشريعة الإسلامية ونتبين حكمها وفقًا لذلك دون تأثر بمؤثرات خارجية.

وباعتبار الرياضة ممارسة بشرية فالرجل والمرأة فيها سواء من حيث جواز أصل الممارسة، ولكن عندما نحدد أنواعًا من الرياضات ونسميها ونصفها فيختلف الحكم لعدة اعتبارات، منها: ما يتعلق بطبيعة الرياضة ذاتها، ومنها ما يتعلق بمناسبة الرياضة لطبيعة المرأة، ومنها ما يتعلق بأسلوب وطريقة ممارستها وما يتبع ذلك من ظروف محيطة بها.

وقبل أن نشرع في بيان أحكام ممارسة المرأة للرياضة وضوابطها لابد أن نذكر بعض الآثار التي تدل على ممارسة المرأة للرياضة في عصر النبوة ومن أشهرها ما رواه أبوسلمة بن عبدالرحمن أن عائشة رضي الله عنها قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته» أخرجه أحمد في مسنده، وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال ﷺ: «هذه بتلك السبقة» (سنن أبي داود)، فهذا الحديث يدل على جواز ممارسة المرأة الرياضة، فإن العدو أحد أنواع الرياضة المعروفة.

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

بل إن هناك أسبابًا كثيرة تجعل من ممارسة المرأة الرياضة أمرًا مشروعًا في التصور الإسلامي، بل تجعل حاجتها لممارسة الرياضة أشد من حاجة الرجل إليها في بعض الحالات ومن ذلك:

أولا: إن التطور والتقدم وتنوع أسباب الراحة والرفاهية جعل طبيعة حياة المرأة وعملها لا يحتاج إلى جهد كبير وهذا مما قد يعرضها للسمنة وغيرها من المشكلات الجسدية، ولذلك فإنها قد تحتاج إلى حركة ونشاط تعويضي من خلال ممارسة النشاط الرياضي.

ثانيًا: إن تعرض المرأة إلى تقلبات صحية في فترات الحيض والحمل والولادة تتأثر معها صحتها ونشاطها وتصبح بحاجة ماسة للنشاط الرياضي،

باحث دراسات إسلامية

ولكن لابد من بيان أحكام النشاطات الرياضية وضوابطها حتى تكون المرأة منسجمة مع تعاليم دينها في كل شؤون حياتها كما هو الرجل.

وتنقسم الرياضات المحرمة على المرأة، وفقا للاعتبارات السابقة، ثلاثة أقسام:

الأول: رياضات محرمة لذاتها، ويستوي في حكمها الرجال والنساء، وهي الرياضات التي تتضمن محرمًا في ذات اللعبة كالنرد والميسر وألعاب التحريش بين الحيوانات... ونحو ذلك من الألعاب التي دلت الأدلة الشرعية على تحريمها.

الثاني: رياضات لا تنسجم وتكوين المرأة كالملاكمة ورفع الأثقال ونحو ذلك من الألعاب التي تؤثر في جسد المرأة وتخرجه عن طابعه الأنثوي مما يجعلها شبيهة بالرجال، وفي ذلك نهي صريح ووعيد شديد فقد ورد عن ابن عباس قال: لعن النبي ﷺ المُخَنَّثِينَ من الرجال والمُتَرَجِّلات من النساء، وقال «أَخْرِجُوهم من بُيُوتِكُمْ» قال: فأخرج النبي ﷺ فلانًا، وأخرج عُمَرُ فلانا. (البخاري)

الثالث: رياضات محرمة لغيرها وهي رياضات في أصلها جائزة كالجري ونحوه ولكن التحريم أتى لوجود مخالفات شرعية في الظروف المحيطة بها كالاختلاط وكشف العورات والنظر.

لذلك شَرَعَ اللهُ للرجل في الحج والعمرة الرَّمَلَ (المشي السريع مع هز الكتفين) بين الميلين الأخضرين في السعي بين الصفا والمروة، وفي الأشواط الثلاثة الأولى للطواف حول الكعبة ومنعَ المرأة منه، وليس هذا المنع لذات العدو، وإنما لأمر آخر مجاور وهو رؤية الرجال لها بدليل أن النبي ﷺ سابق عائشة كما سبق، وقد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لأصحابه «تقدموا» ثم قال لعائشة: «تعالي حتى أسابقك»

هناك أسباب كثيرة تجعل من ممارسة المرأة الرياضة أمراً مشروعاً في التصور الإسلامي

فلما انتفى هذا المانع الشرعي واطمأن الرسول ﷺ إلى أنه لا أحد يرى عائشة وهي تسابقه، سابقها فلما انتفى المانع رجعت ممارسة المرأة رياضة الجري إلى الحكم الأصلي وهو الإباحة.

وفي الختام نذكر بعض الضوابط الشرعية الخاصة بممارسة المرأة الرياضة المباحة:

أولا: لابد للمرأة أن تحرص على الستر وحفظ العورة وعدم إبدائها للرجال، فالله يحب الستر، والمرأة المسلمة تقدم أمر ربها على هوى نفسها ولا تركن إلى زيغ مجتمعها ودعوات من يحاول أن يغرر بها لتنزلق في أودية الضلال، قال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾.

ثانيا: أن تجتنب ممارسة الرياضة في الأماكن المكشوفة أو أمام أجهزة التصوير حيث يراها الرجال مهما تكن المغريات كالبطولات العالمية ونحوها..

لأن الرياضة حينها تخرج عن النسق الإسلامي لتنسجم مع طبيعة حياة المرأة الغربية وظروفها وهو ما لا يتفق ومقاصد الشريعة التي عرضنا لها في مقدمات هذا البحث. كما أن خير مكان تمارس فيه المرأة الأنشطة الرياضية هو بيتها، قال النبي ﷺ «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» (البخاري) وهناك وسائل حديثة متنوعة تُسهل للمرأة ممارسة الرياضة في بيتها وهي مطمئنة آمنة.

وأما ممارسة الرياضة في الأندية فهو أمر تعتريه مخاطر كثيرة لاسيما في هذا الزمان الذي تطورت فيه وسائل الاتصال بشكل مرعب، حتى غدت أجهزة التصوير ذات أحجام صغيرة جدًا يمكن أن تُخفى في أي مكان، وغدت طرق التصوير متنوعة فالهواتف النقالة وغيرها في متناول كل أحد، ولئن تحققت الثقة بالقائمين عليها فأنى لها أن تتحقق برواداها؟! والتصوير هو إحدى هذه المخاوف، وأما اللعب بالأعراض والإغراء والصحبة السيئة وغير ذلك فهو أشد وأدهى.. ومع ذلك نقول: إذا انتفت كل هذه الموانع يرجع الأمر إلى الحل وإن كان هو خلاف الأولى.

وكذلك ممارسة المرأة المشي في الميادين العامة المفتوحة مادامت المرأة آمنة على نفسها وعرضها، وبشرط التزامها بحشمتها أثناء مشيها.

وأخيرًا نقول: ينبغي ألا تشغل الرياضة المرأة عن واجباتها الأصلية، من رعاية زوجها، أو أولادها، أو تعليمها، أو وظيفتها التي تقبض أجرها، وألا تزيد مدة مزاولة الرياضة عن القدر المعتاد، وألا تحول الرياضة بينها وبين عباداتها الواجبة من صوم وصلاة في أوقاتها المشروعة، فرضى الله هو غايتنا وغاية كل مؤمن. والحمد لله رب العالمين.

التكامل النفسي والأخلاقي في التطبيقات النبوية

د .محمد بنيعيش
أكاديمي مغربي

تساؤل قد يرد في ذهن الباحث المبتدئ في علم النفس وسيبقى دائما موضع الطرح جيلا بعد جيل مضمنه هو: ما الامتدادات التي قد تطالها الدراسات النفسية عند الإنسان وما الحدود التي تقف عندها؟ وهل هذه الحقول قد تهم الجانب الجوهري في النفس أم الجانب العرضي المتمثل في ظواهرها كنافذة وحيدة يمكننا من خلالها الاطلاع على قيمتها وتساميها وصحتها أو علتها؟

إن النفس قد تمثل الإنسان في حد ذاته، ولكن ما هو هذا الإنسان؟ هل هو تلك الصورة المرئية التي تشخص بتحديد البصر الحسي وتلمس وتسمع حركاتها وأصواتها؟ أم إن النفس هي مزيج مشترك بين هذا المظهر الحسي وعنصر آخر مغاير لما ألفته قواه المادية وحكمت عليه القوى النظرية تحديدا وتعريفا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات قد يلجأ المرء إلى عدة تفسيرات وتبنّي عدة مناهج للوصول إلى الحقيقة، منها ذات المنبع الديني المعتمد على النص ومنها ذات المذهب الشخصي المرتكز على الأدوات المعرفية العادية وهي العقل والحس والشعور الوجداني.

وبما أن الموضوع خاص بالحديث عن قضايا النفس في القرآن فإننا سنعرض للإجابة عن هذه التساؤلات من خلال النص الديني القرآني خصوصا، حيث يقول الله تعالى عن الشخصية الإنسانية وتكوينها: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(ص: ٧١- ٧٢).

إذ في هذا النص يحدد لنا القرآن بنية الإنسان وطبيعة كينونته، فهو مخلوق من طين ثم مضاف إليه نفخة بعد التسوية كما يقول الله تعالى مخاطبا ملائكته ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وهذه الإضافة الروحية إلى الله تعالى قد جاءت بالمعنى الذي يليق بتنزيهه عن المماثلة والمشابهة مع روح هذا الإنسان، كما أنه بعد هذه النفخة قد أصبح كائنا كريما أمر الله الملائكة بالسجود له، مع العلم بأن هؤلاء الملائكة كائنات حية ولها وعي تام مجرد عن العوارض المادية ولها أرواح خاصة بها، في حين أننا لم نجد ذكر نفخ الروح في غير هذا الإنسان، ولئن سمي بعض الملائكة روحا كما في قول الله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾(القدر: ٤)، فإن هذا الوصف إن أخذناه على ظاهره فقد يمثل شطرا من شخصية الإنسان التي هي الروح المضافة إليه بعد تكوين الجسد، كما أن هذه التسمية لجبريل بالروح قد تكاد تميل بنا نحو القول بأحادية الشخصية الملائكية وتجردها الكلي، لكن الرأي سرعان ما يتغير من خلال استدعائنا لآيات أخرى تبين لنا

أن: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران: ١٨٥) والملائكة يدخلون تحت هذه الكلية كما قد وردت أحاديث بأن آخر ملك تنزع روحه هو ملك الموت نفسه.

فالموت إذن لدى بعض الكائنات غير الإنسان قد يتمثل في نزع الروح من ذات أو محل معين، وبهذا أمكن القول بحسب ظواهر النصوص أن من المخلوقات غير الإنسان قد جعلها الله تعالى مركبة من عنصر روحي محرك وآخر مغاير له قد يمثل الهيكل الذي تنصب فيه ويخضع في حركته لتلك الروح الأساس، والله أعلم بحقيقة ذلك، لأنه أمر غيبي قد لا يقاس بالمقاييس العقلية والحسية المحدودة الإدراك.

لكن خصوصيات الروح المتعلقة بالإنسان هي أنها قد اتسمت بنفخ إلهي لا ندري ما حقيقته ومعناه، بل قد يبقى في مقام التنزيه بلا كيف ولا تمثيل، فلا ينبغي أن يؤخذ النفخ بالمفهوم الإنساني المتداول، كما أن الروح الإنسانية لا ينبغي أن يعتقد فيها بأنها تمثل جزءا أو نسبة إلى روح الله سبحانه وتعالى، إذ إن مثل هذه التصورات فيها تشبيه وخروج عن عقيدة التوحيد الخالص، بل المنهج الأسلم في تحديد المفهوم الحقيقي لهذه العملية هو الوقوف عند ظاهر النص مع تفويض المعنى إلى الله تعالى، وذلك لعجز الأداة العقلية ذات المستند الحسي عن الوصول إلى عمق القضية وتفسيرها باللغة المتداولة.

ونظرا لصعوبة هذا المرتقى ووعورته فقد كان الجواب في القرآن الكريم واضحا كل الوضوح في وضع حد لهذا الفضول العلمي مع عدم الإقرار ضمنا بالاستحالة الكلية لفهم أسرار الروح لدى بعض الراسخين في العلم والمعرفة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾(الإسراء: ٨٥).

خصوصيات الروح الإنسانية أنها اتسمت بنفخ إلهي لا ندري ما حقيقته ومعناه

بهذا الجواب يكون القرآن قد فصل في القضية وحسم في أمر معرفتها، فلا مجال إذن للتوسع في دراسة هذه الذات من الوجهة النظرية المحضة.

لكن كيف يمكن الصبر عنها وهي موجودة بين جنبينا، أوليس الإنسان مطالبا بالعلم والمعرفة وخاصة بنفسه كما في قول الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(الذاريات: ٢١) فإلى أي مدى يمكن له أن يذهب إلى معرفة هذه الروح التي عليها المعتمد في كينونته وتحقيق سعادته وبها قد استحق ذلك التشريف الذي حباه الله تعالى به؟

إن القرآن سيوجهه إلى معرفة نفسه بفتح الباب أمامه على أوسع نطاق، قد يصل إلى حدود الكون نفسه، فتكون معرفته بنفسه موازية لمعرفته بالعالم الخارجي، ومن ثم فسيكون لديه توازن في سلوكها وتصوراتها، قد تظهر هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(فصلت: ٥٣) ويقول: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾(الروم: ٨).

وحينما نتدبر هاتين الآيتين نجد أنهما قد تربطان بين العالم الأكبر وهو الكون الخارجي وبين العالم الأصغر وهو النفس الإنسانية، وفي هذا الربط مغزى قد يمكننا استخلاصه وهو أن الدراسات النفسية واسعة الآفاق وطويلة النفس بالنسبة لباقي العلوم، وهي الدراسة الوحيدة التي لها القابلية لإيراد الاكتشافات والمفاهيم الجديدة الواحدة تلو الأخرى من غير انقطاع.

إذ بقدر اتساع آفاق الكون يكون اتساع آفاق النفس وتجدد ظواهرها المواكبة لتجدد معارفها الكونية المادية والمعنوية.. ولهذا فعلم النفس هو علم مساير لكل العصور ومتشكل بأشكالها، وامتداداته واسعة.

فالاكتشاف الكوني له صلة وثيقة بالاكتشاف النفسي عودا وبدءا، وما تحديد المناهج العلمية والطرق العقلية للوصول إلى الحقائق المعرفية الكونية إلا نموذج من نماذج صلة التقدم النفسي بالاكتشافات العلمية المادية، لأن تلك المناهج في حقيقتها ما هي إلا معرفة نفسية في حد ذاتها، وهو ما يمكن لنا تلمسه في قول الله تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾.

فالاستنتاج الذي قد يمكننا أن نخلص به من خلال تدبرنا للآيات التي مرت بنا هو أن العالم الأكبر مواز للعالم الأصغر وهو النفس في أسرارها ومظاهرها، كما أن إدراك هذه الحقيقة رهين بالحضور الواعي للإنسان بنفسه حتى تتطبع فيه صورة هذا الكون فتكون نفسه بمثابة مرآة عاكسة، وفي حالة شهوده لهذا الانعكاس تتبين له آيات الله تعالى وتمتزج الذات بالموضوع في نظام واحد فيجد الإنسان ضالته، ومن ثم فقد يطمئن إلى الحق تحقيقا وإدراكا واعيا.

الشخصية النبوية ومبدأ التشارط النفسي والأخلاقي

حينما يعرض القرآن الكريم للنفس وظواهرها فإنه في أغلب الأحيان قد يتناولها وهي مسبوقة أو متبوعة بوضعية أخلاقية توجيهية مع تبيين أسباب الصحة النفسية وخلفيات المرض

لديها وطرق علاجها، وهذا ما قد يفهم منه بأن السلامة النفسية والأخلاقية قد تمثل الانعكاس المتبادل بين النفس وأخلاقها، فلا غنية إذن للنفس عن الأخلاق في تحقيق كمالها كما لا تحقق للأخلاق في غياب سلامة النفس الكفيلة بتمكينها من الثبات والاستقرار.

فالقرآن قد يجمع بين الذات والموضوع وبين خاصية الجوهر والعرض في آن واحد من غير فصل أو حد وسط، فإذا كانت النفس هي جوهر الإنسان فإن أعراضها هي أخلاقها الواردة والصادرة عنها، وبقدر ما كان هذا الجوهر قويا في بنيته ومتماسكا في نظامه بقدر ما كانت الأعراض واضحة ومعبرة عن القوة الخفية لعنصره.

وبما أن العرض خارجي مظهرا فإنه قد يلاقي عرضا آخر خارجيا مثله ربما يتفق معه أو يتصادمان، بحسب مبدأ التناسب في قضايا وأوجه متنوعة، ومن ثم فيكون بروز هذا الجوهر إما عاملا في حد ذاته على تقوية الجوهر أو سيسعى إلى تهديمه وإعاقة نموه وحركته.

ومن هنا فالقرآن الكريم حينما أراد أن يبين المستوى الخلقي عند النبي ﷺ فقد بناه على مستوى بنيته النفسية وقوته الروحية بالتوازي مع قدرته الفائقة على التحمل والأداء، وبالتالي الثبات على سلوك منتظم ومحدد الغايات قد كان من أعظم مظاهرها كما ورد في السيرة: «لا يزيده سفه السفيه- عليه- إلا حلما».

وبما أن النبي ﷺ مكلف بتبليغ الرسالة العظمى وإرشاد الخلق نحو الفضيلة المسعدة لهم ونهيهم عن الرذيلة المشقية فإنه من الضروري أن يكون أعقل الناس وأسلمهم بنية حتى يصير القدوة الكاملة التي لا تتأثر بالظروف والحيثيات أو يتغير سلوكه بضعف البنية

الطبيعة العدوانية لدى الإنسان مصدرها البنية النفسية المكونة لشخصيته الداخلية

النفسية التي قد يتحكم فيها الانفعال.

فالتوازن النفسي عند النبي ﷺ وسلامة و قوة بنيته تظهر في أخلاقه التي هي معجزة له وحجة برهانية عملية على الخلق بالإقرار والأدلة، لأن كل من يدرس السيرة النبوية الشريفة فلابد وأن تبهره عظمة هذا النبي وأخلاقه ويتذوقها إن كان له إحساس وشعور بالفضيلة وسلامة الفطرة، حتى إنه قد تذرف عيناه شوقا إلى رؤيته ﷺ، وهو الذي قد ظهرت ورشحت عنه هذه الأخلاق المذكورة توثيقا متواترا في السيرة وكتب الحديث والتاريخ عموما، وهذا ما أثنى به عليه الله سبحانه وتعالى، موشحا ومصدرا له أعظم أوسمة الخلود والكمال والاستحقاق: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، فكان النبي سيدنا محمداً ﷺ يمثل بهذا الإنسان الكامل في عالم الغيب والشهادة، في بنيته النفسية والخلقية على حد سواء.

وعند الآية الثانية التي استشهدنا بها فقد نجد نفس المعنى الذي حملته الآيات الأولى، إذ إن سلامة البنية النفسية هي أساس الاستبصار والإدراك الواعي لحقائق الأمور وصوابها.

فالنفس سوية في مبدئها، وبهذه الصفة فقد أصبحت قادرة على فهم الخير والشر وإدراك الفضيلة والرذيلة والتقوى والفجور ذاتيا وبصورة مجملة بحيث صارت حينئذ مدركة للشيء وضده، وهي بين خيارين، وبهذا فقد أعطيت لها الإرادة لتحديد مصيرها امتحانا من الله تعالى.

فالفلاح لمن ساهم في تطهيرها وتجلية مرآتها باكتساب الفضائل حتى تحتفظ بصحتها الأولى من قبل انحدارها إلى ميدان الشهوات والنزعات المختلفة التي قد تشكل عقبات أمام هذا المطلب الأخلاقي الشريف.

أما الذي قد يميل إلى هذه الشهوات وينطوي على ذاته بممارسته للرذائل بأنواعها ومراتبها فإن المصير سيكون حتما هو الدس والإخفاء لمقومات النفس السوية بحيث تصير ملبدة بسحب الأهواء والمستحثات الغريزية المفرطة، وبالتالي تصبح غير قادرة للحفاظ على التوازن الذي هو سبب سلامتها وميزان العدل فيها: ﴿ويل يومئذ للمكذبين. الذين يكذبون بيوم الدين. وما يكذب به إلا كل معتد أثيم. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(المطففين: ١٠- ١٥)، ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم. طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم. فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾(محمد: ٢٠- ٢٤).

من هنا يتبين لنا أن المرض الأخلاقي ما هو إلا انعكاس للمرض النفسي الناتج عن عدم الاستقرار العقدي السليم في البواطن والقلوب، ومن ثم فإن السلوك الصادر عن هؤلاء هو سلوك غير سليم وذلك لأن بنيتهم مختلة في العمق، واختلالها هذا مؤلم بالنسبة لمن يعانون من هذا المرض، وهذا ما سيدفعهم إلى القيام بأعمال تخريبية أو إفسادية

سادية ونرجسية وهستيرية، وذلك لأن بواطنهم فاسدة ومنحلة، وهذا ما يمكن فهمه من خلال قول الله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

فهذا دليل على أن الطبيعة العدوانية لدى الإنسان مصدرها واقع البنية النفسية المكونة لشخصيته الداخلية مصدرة القرار والتوجه، كما أن اختلال هذه البنية ناتج عن غياب اعتناقه للعقيدة السليمة الموجهة له، أو قد يكون السبب هو التشكك في العقيدة الملتزم بها سطحيا، وبذلك فقد يبقى دائما في اضطراب وصراعات وعدم التزام بالفضيلة المطلوبة لتحقيق العدل والسعادة الإنسانية، يقول الله تعالى: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾(التوبة: ٤٤- ٤٥).

وهذا الارتياب والتردد سوف لن يبقى مستورا في الباطن بل سيظهر بكل وضوح على ظاهر الإنسان وسيتشكل سلوكه بحسب محتواه، بل إن حركاته الجسمية ونبراته الصوتية سوف تحمل رواسب هذا السلوك وسيكشف أمره بوضوح من يتمتع بفراسة ونفس سليمة وواعية بالحالات النفسية الدقيقة خفيها وجليها.

يقول الله تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾(محمد: ٢٩- ٣٠). ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾(المنافقون: ٤).

وحينما يذكر الله تعالى سلوك قوم ونتائجه المترتبة عليه قد يحيله على الحالة النفسية الداخلية لدى الإنسان سواء كان فردا أو جماعة ومجتمعا عاما، وذلك لأن مرض الباطن كما قلنا مرارا وعدم توازنه هو سبب التصرفات الطائشة ومدخل استحقاق العبد للمقت من الله تعالى، فكان هذا التنبيه من القرآن الكريم بمثابة الدعوة إلى تحقيق الاستبطان النفسي ومراجعة الذات في خللها بشكل منتظم وممنهج، لأنه بقدر إهمال النظر في الحركات النفسية الداخلية والتغافل عنها بقدر ما تكون النتيجة جد سيئة وغير أخلاقية وأبعد ما تكون عن ميدان الفضيلة وثمراتها الذهبية، وهذه النتيجة لن تبقى محدودة بالمستوى الفردي أو الشخصي كما قد يحلو لبعض زاعمي الحرية الشخصية الوهمية، بل قد تعم المجتمع ككل بسبب العدوى السلوكية والنفسية كما يقر بذلك الطب النفسي والاجتماعي الحديث، ومن هنا فسيكون مآل هذا المجتمع الموبوء هو الاضطراب والهذيان الشهوي والغضبي وستحل به أيضا الحيرة في حل الإشكالات المطروحة على الساحة العامة وهي متشابكة الخيوط والخطوط ومعقدة إلى أقصى مستويات التعقيد، وبالتالي حصول الانهيار في مرافقه العامة، كنموذج الأزمة المالية العالمية في عصرنا والتي هي في رأينا الخاص وبعيدا عن التحليلات الاقتصادية والسياسية أن سببها الرئيسي هو الإساءة إلى مصدر الأخلاق ومنبعها بل مصدر كل خير ورخاء في العالم ألا وهو رسول الله ﷺ الرحمة المهداة، وتجرؤ بعض الخبثاء من الكفار الغربيين وغيرهم بألسنتهم الملطخة بالقاذورات وأقلامهم الجافة والمتسخة على مقامه الشريف والعالي في الآفاق والذي لا يمكن أن ينال منه ولا أن ترمقه تلك النفوس الخبيثة والراقدة في مقام الحضيض نفسيا وأخلاقيا.

ومهما عملت أمة على وضع المخططات للخروج من المآزق التي تتخبط فيها من خلفيات وخلل سلوكي وأخلاقي فإنها قد لا تصل إلى العلاج الكامل والجذري لأمراضها الاجتماعية إلا إذا عملت بشكل جماعي على مراجعة الأنفس استبطانا وملاحظة خارجية وذلك بالعمل على تغيير النهج الذي تعودت عليه خطأ هذه النفوس أو تلك، يقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾(الرعد: ١١).

التلازم النفسي والخلقي في التطبيق الشرعي النبوي

إذا كان القرآن يربط بين السلوك والحالة النفسية الداخلية للإنسان، فإن سلوكه هذا سوف يتشكل بشكل النفس واستعداداتها البنيوية للتحمل والأداء: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(البقرة: ٢٨٦).

فهذا الوسع أو التحمل قد يكون مشتركا بين كل الناس لأن بعض الأحكام الشرعية قد لا تسقط عن المكلف مهما كانت الظروف وتفاوتت الاستعدادات، كما أنه قد يكون خاصا وظرفيا على حسب مستوى الإنسان النفسي من حيث الإدراك والوعي والسلامة البدنية.

ونذكر هنا بعض الصور التي تبرز فيها الإجراءات الممتزج فيها الجانب النفسي بالجانب الاخلاقي

أ) علاج الضعف بين واقع الوالدية والمولودية

يقول الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾(الروم: ٥٤).

فهذه المراحل العادية لنمو الإنسان سيعالجها الإسلام من حيث علاقتها بالأخلاق وبحسب مستوى النفوس التي

تتحدد من خلالها، إذ الصغير له سلوكه الخاص به نحو نفسه ونحو من هو أكبر منه سنا، وكذلك سلوك الكبير بالتشارط، والذكر له أخلاقياته الخاصة بالنسبة إلى الأنثى، والأبناء قد يعاملون الآباء والأمهات معاملة خاصة وبأخلاق معينة متصاعدة أو متنازلة، وكذلك الآباء والأمهات مطالبون بسلوك خاص وأخلاق متميزة حسب وضعهم في السلم الأسري.

وكنموذج على هذا التقسيم لأنواع المعاملات حسب النفوس واستعداداتها قد نجد قول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان: ١٤)، ﴿وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾(الإسراء: ٢٣- ٢٤).

فمن خلال هاتين الآيتين قد تتضح لنا بعض التطبيقات لموضوع الصلة بين النفسيات والأخلاقيات، إذ في الآية الأولى نرى أن الله تعالى يوصي بالوالدين من دون تحديد نوع أو صفة التوصية وفترتها، بحيث قد أبقى الاجتهاد لدى الابن في تحقيقها والالتزام بها على قدر المستطاع وبحسب ما تتطلبه حالة الوالدين النفسية والمادية والصحية، كما نرى أن هذه التوصية قد شملت في شطرها الأكبر جانب الأم أكثر من الأب وذلك لأنها هي الأضعف في كل مراحل تكوين شخصيتها، وأيضا فهي التي قد تحملت متاعب ومشاق أكثر في إنجاب هذا الولد محل الأمر، ومن ثم فهي قد تنتظر في قرارة نفسها، وغريزيًا، حظها من الجزاء والتعويض والذي مهما كان مستواه من حيث البذل والعطاء فإنه لن يؤدي لها ثمن لحظة ألم واحدة عند تحركه في أحشائها أو أثناء ولادتها له وإخراجه مكتمل الخلقة إلى هذا الوجود المرئي.

وبهذا فإن الأخلاق والمعاملة الحسنة ستكون تجاه الأم أكثر قوة واهتماما مما يتطلبه جانب الأب وذلك كاستجابة لما توقعته الأم في نفسها من نتائج حملها وولادتها لابنها.

أما بالنسبة للآية الثانية فإنها قد تضمنت توصية للابن نحو والديه، لكنها قد حددت الفترة اللازمة لتحقيقها بكل فقراتها الموصوفة وبما تتضمنه من صور ومظاهر وأحوال، وهي الكبر أو الضعف الشامل الذي قد يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل عمر الإنسان.

فالوالدان في هذه اللحظة قد يكونان مترقبين جَنْي ثمرة جهودهما التي قد أفرغاها في تنشئة هذا الولد حتى صار ذا قوة ومستوى مرموق في المجتمع، بحيث لم يعد عاجزا عن القيام بمتطلبات الحياة من العمل النشيط والحركة والكسب، إذ الولد يعتبر أهم المكاسب للوالدين ومن ثم فقد يكون من الواجب عليه إحسان معاملتهما لكي يشعرا بالقوة اللازمة التي كانا يتمتعان بها في مرحلة من مراحل حياتهما ومن قبل أن يصيبهما الكبر والعجز الضروري بحسب السن والصحة والتي قد يأملانها في ابنهما الذي يعتبر جزءا جوهريا منهما.

ب) نفسية النشوز وخلق التواصل في الحياة الزوجية

كما قد نجد نموذجا آخر من بين الصور المتعددة التي قد تبرز فيها الإجراءات الممتزج فيها الجانب النفسي بالجانب الأخلاقي على سبيل التلازم في موضوع نشوز الزوجة، يقول الله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾(النساء: ٣٤).

فالنشوز فقها هو استعصاء الزوجة على زوجها وعصيانها له وخاصة في حقوقه الخاصة والضرورية في بناء بيت الزوجية، وهو قد يكون لأسباب معلومة ومجهولة غير شعورية قد جعلتها تقوم بهذه التصرفات السلبية تجاه زوجها.

فعلاج هذه الظاهرة السلبية يتم على مراحل وبمستويات، فإذا كان السبب عارضا أي بمعنى أنه ظرفي وناتج عن أخطاء قد صدرت من الزوج أو عدم تفاهم حول مسألة خاصة فإن هذا الخلاف من الممكن معالجته في الحال وذلك بمجرد الوعظ والتذكير وعلى سبيل المودة والنصيحة ومحاولة إصلاح الخطأ من طرف الزوج إن كان هناك خطأ واضح من جانبه، وعندئذ فإن هذا النشوز سوف يتوقف في الحين وتعود الحياة إلى مجاريها الطبيعية، لأن المسألة لم تكن عميقة ونفسية في حد ذاتها بل هي أخلاقية وسلوكية مكتسبة وسريعة التعديل والمراجعة.

فإذا لم يفعل الوعظ أثره في الحين فإن العلاج قد يتدرج إلى مستوى تأديبي آخر متصاعد، وفي هذه الحالة سوف يحاول الزوج جس نبض نفسية زوجته عاطفيا، ومن ثم فسيكون الإجراء امتحانا نفسيا والذي قد ينحصر في الهجر والامتناع عن التواصل الجنسي والعاطفي والمعبر عنه شرعا بالهجر في المضاجع، إذ المقصود به ليس هو غياب الزوج عن زوجته كشبح وشخص ومساكنة وإنما كنفس وسلوك ومعاملة، بل قد يكون واجبا عليه أن يبقى في منزله و ينام على نفس فراش زوجته وفي نفس الوقت يوليها ظهره تأديبا واختبارا لكي يتحدد له مستوى كراهيتها له ومدى عمق نشوزها.

فإذا استمر الأمر على هذه الحالة

والتي قد تقدر مدتها بشهر على الأكثر من دون ملاحظة أي تحسن أو تقدم ولو طفيف في علاج الموضوع فإن المسألة ستكون حينئذ قد أخذت بعدا متجذرا في نفسية تلك المرأة من حيث كراهيتها لزوجها أو تعقد أدوات التواصل لديها معه والتي ربما ستكون قد قبعت في أعماق اللاشعور مما سيستدعي مرحلة الإيقاظ والاستخراج بالمنبه المناسب للحالة، بحيث إن الكراهية أو القطيعة قد أصبحت حقيقية وثابتة وليست سطحية أو عابرة، كما سيقاس الأمر بأن المرأة المحبة لزوجها والمحترمة له قد لا تتحمل كبح غرائزها وخاصة العاطفية والجنسية وهي مباشرة له في نفس الفراش أو في المنزل ككل.

فإذا حصل عدم رد فعل إيجابي لديها مع هذا العلاج الفعال فإن ذلك قد يعني أن الزوجة ربما بلغت مستوى خطيرا من الاشمئزاز النفسي وعسر التواصل مع زوجها.

بعد هذا العلاج الذي قد لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة في بعض الحالات المتقدمة من النشوز لدى بعض الزوجات عندئذ يتاح للزوج لأن ينتقل من مستوى العلاج النفسي والإيحائي إلى الوسائل المادية المتمثلة في إحداث الألم الجسدي المحدود والمقيد بمناطق غير معطبة ولا شديدة الحساسية بواسطة الضرب، والذي ينبغي أن يكون غير مبرح بالمرة ولا مكسر لعضو أو جارح له أو تارك لكدمات ملحوظة على ظاهر الزوجة.

إذ المقصود هنا ليس البدن الذي هو أصلا محل اللذة والاستمتاع بين الزوجين ولكن النفس وتهديدها هو الغاية من هذه العملية الاستثنائية في علاج النشوز (كالكي باعتباره آخر الدواء)!

فمحاولة الضرب والشروع في تنفيذه وافتعال أجوائه الساخنة توعدا وتهديدا محدودا ربما قد يعمل على إثارة التنبيه والتخويف بجدية الموقف وصرامته التي قد تؤثر على نفسية المرأة وتوقظها لتدارك موقفها أو غفلتها التي حصلت لها لأسباب لاشعورية فتحكمت في سلوكها نحو زوجها بتلك الصورة السلبية التي ظهرت عليها.

فقد يحدث هذا إذا كان المرض مازال له قابلية للاستئصال، خاصة وأن التخويف له دور مهم وفعال في العلاج النفسي لردع كثير من الناس عن أخطائهم وتحدياتهم، كما هو فاضح للبعض عما يدعونه بألسنتهم وما هو ليس بمتجذر أصلا في نفوسهم أو قلوبهم.

لهذا فبالنسبة إلى الزوجة إذا لم يعمل الضرب والتخويف عمله المرجو، فإن ذلك قد يعني أن العلاج الشخصي بواسطة الزوج نفسه غير قادر على تحقيق وظيفته فيلجأ بعد ذلك إلى العلاج الجماعي الذي هو أكثر تخويفا وتنبيها وذلك برفع المسألة إلى القضاء، حيث سيلحق بالقضية أطراف آخرون كمحاولة لحل النزاع بالإصلاح والوفاق والتحكيم، فتكون حينئذ هذه آخر مرحلة للعلاج في هذا الباب، وذلك للإبقاء على الحياة الزوجية مستمرة ومستقرة وإلا فسيكون الزوج عند الإخفاق بين خيارين وهما: إما تحمل هذا النشوز والعيش في كنفه على مضض وقلق واضطراب، وهذا مقام الصابرين والمجاهدين لأنفسهم، وإما أن يلجأ إلى فراق زوجته كأبغض الحلال: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾(الطلاق: ٢)، والذي قد يبقى الحل الوحيد للخروج من المأزق المستعصي في حالة استحالة استمرار المعاشرة بالتي هي أحسن.

كما أن موضوع الضرب الذي ذكرناه قد يخضع بدوره إلى مقياس أخلاقي ودعوة للتخلي عنه عند أولي العزم وذوي الصبر والحكمة من الرجال الخيار كما عبر ونصح بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لن يضرب خياركم» لأن النساء- كما وصفهن ﷺ- قوارير قابلات للكسر المعنوي والمادي بسرعة، فهن أحوج إلى الرفق العام، ولقد كان الرسول ﷺ هو خير الناس والخلق أجمعين ولم يرد في أي خبر أنه قد ضرب أو آذى امرأة بيده ولسانه! فليقتد به في هذا من يدعي أنه يطبق سنته ويسعى إلى التقرب منه بدل الانشغال باللحى والتشدق اللفظي والصخب الوعظي من غير ذوق ولا أخلاق! بل قد نهى عن الضرب المؤذي للزوجة في نفسها ورغبتها الغريزية والجنسية خاصة، بأن «لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» و «لا يجلد أحدكم زوجته جلد العبد ثم لعله يعانقها ويجامعها من آخر اليوم»، ومن ثم «فما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» و «استوصوا بالنساء خيرا» كآخر وصية متواترة أوصى بها حبيبنا ورسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ صحابته وأمته في خطبة الوداع، جامعا فيها بين الواقع النفسي والوصف الخلقي الحميد في ضبط التعامل والتواصل الاجتماعي العام والأسري الخاص وبالأخص مع المرأة.

هذه هي إذن بعض ملامح ربط الجانب النفسي بالخلقي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولو تتبعنا كل ما ورد فيهما بخصوص هذا الموضوع فقد لا نخلص إلى إتمام الحديث عنه في كتاب أو مجلد بل أحمال من المجلدات لأنه قد يمثل جوهر القضية النفسية في تلازمها مع الأخلاقية، بحيث لا قيمة لنفس دون أخلاق ولا أخلاق إلا عن طريق السلامة النفسية، وعن هذا المفهوم أخذ المسلمون واستمدوا أفكارهم وسلوكهم ونسجوا في بحوثهم، فكان الأثر القرآني والتطبيقات النبوية العملية الرفيعة واضحين في كل دراساتهم السلوكية وخاصة في ربط الصلة بين النفس والأخلاق.

اهتمام علماء الجزائر بـ«الصحيحين»

عبداللطيف بونشادة

من العلوم التي اهتم بها العلماء الجزائريون منذ القديم، علم الحديث ومصطلحه، فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة وكان العمل عندهم بالكتب الستة يدرسونها ويحفظونها ويسندونها، ولكن اهتمامهم الأكبر كان بالموطأ والصحيحين، ونحاول في هذه السطور تسليط الضوء على اهتمام علماء الجزائر بصحيحي الإمامين البخاري ومسلم، رحمهما الله.

يعتبر الإمام أبوجعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني المتوفى سنة ٤٠٢هـ صاحب السبق في ميدان شروح كتب الحديث النبوي، حيث ألف كتابه الجليل الذي حاز به الفضل على غيره من المتقدمين والمتأخرين عنه من علماء الإسلام، ذلك هو كتابه «النصيحة» الذي شرح به صحيح الإمام البخاري، فكان بهذا أول شرح وضع على هذا الكتاب الجامع على الإطلاق حيث إن كل الشروح على البخاري المعروفة وغير المعروفة جاءت بعد هذا الشرح الأول من نوعه.

والإمام أبوجعفر أحمد الداودي عدّه ابن فرحون من علماء الطبقة السابعة في «الديباج» (١) كما ترجم له القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢). له عدة مؤلفات أخرى منها:

-النامي في شرح الموطأ.

- الواعي في الفقه.

- الرد على القدرية... وغير ذلك.

ثم جاء بعده تلميذه العلامة الفقيه المحدث أبوعبدالله مروان الأسدي البوني المتوفى سنة ٤٤٠هـ الذي ألف كتابا في شرح البخاري، ذكره الإمام ابن حجر في معجمه عند ذكره لرجال أسانيده إلى البخاري.

وفي موضوع ضبط الألفاظ وبيان المعنى نجد الحافظ أبا إسحق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المتوفى بفاس سنة ٥٦٠هـ ألف كتابه الكبير: مطلع الأنوار على صحاح الآثار (٣) وخصه بالموطأ والصحيحين.

بالرغم من مالكية علماء الجزائر إلا أن اهتمامهم بالبخاري قد فاق صحيح مسلم بكثير

وفي نفس الإطار الزمني دائما نجد المحدث الفقيه أبا محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي الاشبيلي الذي رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا إلى غاية وفاته سنة ٥٨١هـ له تآليف جليلة القدر منها:

- الجمع بين الصحيحين: جمعه في مجلدين وقد التزم فيه بألفاظ الأصليين (٤).

- الجمع بين الكتب الستة: وهي موسوعة ضخمة جمع فيها بين الموطأ والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي.

- مختصر صحيح البخاري وهو مرتب على المسانيد (٥).

- المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج.

وممن اهتموا بصحيح مسلم الإمام ابن يحيى السكلاني الحميري الزواوي المتوفى سنة ٧٤٣هـ والذي ألف كتاب: شرح صحيح مسلم في ١٢ مجلدا ضخما، وكذلك الإمام الحافظ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبوعبدالله السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥هـ صاحب التصانيف المشهورة (٦) منها:

- شرح صحيح مسلم المسمى: مكمل إكمال الإكمال وهو تكملة واستدراك لشروح المازري والقاضي عياض ثم الآبي.

- مختصر الآبي على صحيح مسلم.

- شرح صحيح البخاري، ولم يكمله وصل فيه إلى باب: من استبرأ لدينه.

- شرح مشكلات البخاري.

وقبله نجد الإمامين الجليلين ابن مرزوق الجد والحفيد. أما الأول فهو الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب المتوفى بتلمسان سنة ٧٨١هـ ألف عدة كتب منها: شرح صحيح البخاري.

أما الثاني فهو الإمام المحدث أبوعبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد.

من تأليفه: شرح البخاري المسمى: «المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح».

وممن اهتم برجال الصحيحين العلامة أبوعبدالله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي المتوفى سنة

باحث جزائري

٨٦٨هـ وهو فقيه مالكي محدث من أهل تلمسان له من الآثار:

- الزند الواري في ضبط رجال البخاري.
- فتح المبهم في ضبط رجال مسلم (٧).

مع الوجود العثماني بالجزائر قل التأليف في علم الحديث عموما وفي شروح الكتب خصوصا وذلك راجع لوجود وفرة في الشروح العظيمة لهذه الكتب فتولى العلماء مهمة تدريس الحديث رواية وشرحا.

وممن قاموا بالتدريس في هذه الفترة الشيخ عبدالرزاق حمادوش الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة (٨)، وأيضا الشيخ أبوحسن علي الونيسي المالكي الذي ختم شرح البخاري ومسلم عدة مرات. وترك من المؤلفات الحديثة شرح صحيح البخاري في ١٢ جزءا.

وكان الإمام أحمد المقري- رحمه الله- مشهورا برواية الحديث الذي أخذه عن علماء المغرب والمشرق. وقد تصدر لتدريس صحيح البخاري في الجامع الأزهر حتى بهر الحاضرين، كما وفد على المدينة المنورة سبع مرات وأملى الحديث النبوي هناك، وأملى أيضا صحيح البخاري بالجامع الأموي بدمشق أثناء درس كان يلقيه بعد صلاة الصبح.

ولما كثر الناس حوله خرج إلى صحن الجامع، وحضر درسه غالب أعيان دمشق وجميع الطلبة، ويصف المحبي يوم ختم البخاري قائلاً: «وكان يوم ختم البخاري حافلا جدا اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن... وأتي إليه بكرسي الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا. وتكلم على ترجمة البخاري.

وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر ... ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس» (٩) أ.هـ.

وممن قام بالتأليف في هذه الفترة: المحدث أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني المتوفى سنة ١١٢٩هـ والذي ألف كتبا كثيرة منها:

- مختصر مقدمة فتح الباري على صحيح البخاري.
- فتح الباري بشرح غريب البخاري.
- التحقيق في أصل التعليق (معلقات البخاري).
- الإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه (أي الكائن في البخاري).

وترك ولده محمد بن أحمد البوني نظمين:

- **الأول**: نظم كتب صحيح البخاري.
- **الثاني**: نظم كتب صحيح مسلم.

كما قام الشيخ ابن أبي جمرة باختصار صحيح البخاري في مجلد، وكان مختصره مشهورا متداولا بين الجزائريين. وقد شعر عبدالرحمن بن عبدالقادر المجاجي أن هذا المختصر في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه ويقرب معانيه فقام بعمل ضخم بها الصدد وسمى شرحه «فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها ابن أبي جمرة من صحيح البخاري» (١٠).

كما نظم الشيخ محمد بن علي المعروف بأقوجيلي الجزائري منظومة سماها «عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع» (١١) وهي منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري وعدد الأحاديث التي لكل منهم ومن هو المكثر ومن هو المقل. وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية.

أما في عصرنا الحالي فنجد الأستاذ العلامة محمد بن أبي شنب ألف بحثا لطيفا قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة ١٩٠٥م سماه: «وصول صحيح البخاري إلى أهل الجزائر».

كما قامت وزارة الشؤون الدينية في عهد الشيخ عبدالرحمن شيبان بإحياء سنة قراءة صحيح البخاري بالجامع الكبير بالعاصمة، وممن قاموا بشرح بعض أحاديث البخاري الشيخ العلامة محمد شارف-حفظه الله- كما قام الشيخ محمد باي بلعالم بشرح صحيح مسلم.

وفي خلاصة البحث نقول: إن علماء الجزائر برغم أنهم مغاربة مالكيون إلا أن اهتمامهم بصحيح البخاري قد فاق صحيح مسلم بكثير، ونحن نعلم من علم مصطلح الحديث أن علماء المغاربة يفضلون صحيح مسلم على صحيح البخاري (١٢).

الهوامش

١- الديباج المذهب- ابن فرحون ج ٢/ ١١٤.
٢- ترتيب المدارك- القاضي عياض ج٢/ ٥١.
٣- تاريخ الجزائر العام -الجيلالي ج٢/ ٧٨.
٤- توجد نسخة منه بالقاهرة تحت رقم أول ١/ ٣٢٥.
٥- توجد نسخة منه بمكتبة بطرسبورغ تحت رقم ١/ ١٢.
٦- تاريخ الجزائر العام- الجيلالي ج٣/ ٢٠٦.
٧- معجم أعلام الجزائر - عادل نويهض ص ٣٣١.
٨- تاريخ الجزائر الثقافي- سعد الله ج٢/ ٢٦.
٩- خلاصة الأثر-المحبي ج١/ ٣٠٥.
١٠- تاريخ الجزائر الثقافي- سعدالله ج٢/ ٣٠. وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط برقم: ١٧٧٥.
١١- تاريخ الجزائر الثقافي-سعد الله ج٢/ ٣٢. وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية مجموع رقم ٥٢.
١٢- انظر: تدريب الراوي للسيوطي ص ٦٩، والباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر ص ٢٣.

النيابة عن الغير في أداء فريضة الحج

د. صالح النهام

لاشك أن فريضة الله في الحج على عباده ركن عظيم من أركان دينه، وقد قيل: الحج حرفان: حاء وجيم، فالحاء: حكم الحق، والجيم: جُرْم الخلق، في إشارة إلى أن الحق جل وعلا يغفر للحجاج أنواع جُرْمهم. فالحج يمتاز بأن التكليف فيه شامل للبدن والمال، ويحتاج في معظم الأحوال إلى حمل الزاد وشد الرحال، فمن وجب عليه الحج وهو قادر عليه بنفسه فعليه أن يبادر إلى أدائه ولا يؤخره عن سنة وجوبه، عملاً بقوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ (البقرة:١٤٨)، وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل» (١) وعليه فلا يجوز له أن ينيب غيره للحج عنه بالاتفاق(٢)، بل نقل ابن المنذر إجماع أهل العلم على ذلك (٣) فإن عجز عن السعي لعذر مرض أو موت فقد وقع خلاف في مشروعية النيابة في الحج عنه.

النيابة لغةً: مصدر للفعل ناب، يقال: ناب عنه نوبًا، ومنابًا، بمعنى: قام مقامه(٤). واصطلاحًا: قيام الشخص عن غيره بأمر من الأمور (٥) ومشروعية النيابة في الحج عن الغير فيها حالتان، إليك بيانها:

الحالة الأولى: العجز للمرض

من تحققت فيه شروط وجوب الحج لكنه عجز عن الحج بنفسه لعلة لا يرجى زوالها ككبر، أو زمانة، أو غير ذلك، بحيث لا يستطيع الثبوت على الراحلة إلا بمشقة شديدة، ويسميه الفقهاء المعضوب(٦)، ومن هذا حاله فقد اختلف في مشروعية النيابة في الحج عنه على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية(٧)، والشافعية(٨)، والحنابلة(٩)، إلى أنه يلزمه إنابة من يحج عنه إن تحققت شروط لزوم الإنابة، وهي: أن يجد من ينيبه، وأن يجد المال الذي يستنيبه به فاضلًا عن حاجته وحاجة عياله وقت الإنابة، وأن يرضى النائب بأجر المثل، فإن كان العجز لعلة يرجى زوالها لم تجز الإنابة، فإن أناب غيره لم يجزئ حجه عنه، وعليه حينئذ أن يحج عن نفسه مرة أخرى، لأن النص الوارد بجواز الإنابة ورد في الشيخ الكبير الذي لا يرجى برؤه فلا يقاس عليه إلا من كان مثله(١٠). هذا، ويجوز أن يكون النائب رجلًا عن امرأة وبالعكس بلا خلاف(١١)، إلا أن الحنفية قالوا بجوازه مع الكراهة؛ لاشتمال حجها عادة على نوع من النقصان؛ لأنها لا ترمل في الطواف، ولا في السعي، ولا تحلق(١٢)، ودليلهم على ذلك:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم عام حجة الوداع، قالت: يا رسول الله: إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج، أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم حجي عنه»(١٣).

(ب) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل والحج مكتوب عليه أفأحج عنه، قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يجزئ ذلك عنه؟ قال: نعم، قال: فاحجج عنه»(١٤).

فتلك الأحاديث تدل على مشروعية النيابة عن الحي العاجز، ثم إن تقرير النبي ﷺ ما قاله السائلون من أن الحج مكتوب على آبائهم الكبار العجزة وتشبيهه ﷺ له بالدين يدل على أن العاجز الحي يلزمه الإنابة، أي: إنابة من يحج عنه. وقد نوقشت تلك الأحاديث بأن ظاهرها مخالف لظاهر القرآن الكريم، وهو قوله تعالى:﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾(النجم: ٣٩)، فيرجح ظاهر القرآن الكريم(١٥). وأجيب: بأن عموم الآية الكريمة مخصوص بتلك الأحاديث، ولا تعارض بين عام وخاص(١٦).

(ج) استدلوا بالمعقول من جهتين:

- تكبد المشقة المقصود من الحج يحصل للشخص بفعل نفسه، ويحصل له كذلك بفعل غيره إذا كان فعل الغير بماله.

- الحج عبادة تؤدى بالبدن وبالمال، فيجب اعتبار كل منهما، فلا تجوز

النيابة عند القدرة اعتبارًا للبدن، وتجوز عند العجز اعتبارًا للمال.

وقد اشترطوا لحج النائب عن المنيب الحي العاجز شرطين:

الأول: دوام العجز حتى الموت: إذا استناب العاجز من يحج عنه ثم زال العجز وعوفي فإن كان الشفاء قبل إحرام النائب لم يجزئه حج النائب عنه بالاتفاق(١٧)، لأنه في حكم من قدر على المبدل منه قبل الشروع في البدل، كالمتيمم يجد الماء قبل الشروع في الصلاة(١٨)؛ ولذا لم تجز الإنابة.

وإن كان الشفاء في أثناء حج النائب أو بعد تمامه ففيه قولان: **الأول:** إن حج النائب لا يجزئ عن المنيب عند الحنفية والشافعية، حيث قالوا عليه أن يحج بنفسه حجة أخرى، لأن حج النائب عنه بدل إياس، فإذا عوفي تبين أنه لم يكن ميئوسًا منه فيلزمه الأصل وهو حجه بنفسه، كمن بلغت سن المحيض من زمن ولم تحض، فإذا طلقت اعتدت بالأشهر، فإن جاءها المحيض أثناء العدة اعتدت بالقروء ولغت عدة الأشهر (١٩).

وقال الحنابلة: لا يجب عليه عندئذ حج آخر؛ لأنه أتى بما أمر به فخرج من العهدة، ولأننا لو أوجبنا عليه الإعادة لأوجبنا عليه حجتين والله تعالى ما أوجب إلا حجة واحدة. وقول الحنابلة أولى بالقبول لأن من بلغت سن المحيض التي قاس عليها الأولون عند استدلالهم السابق ذكره، لو جاءها الحيض بعد انتهاء اعتدادها بالأشهر لم يجب عليها الاعتداد بالقروء ثانيًا(٢٠).

الثاني: إذن المنيب العاجز: لأن الحج عبادة فلا يقع عن العاقل البالغ الحي إلا بإذنه كالزكاة، وكما تجوز الإنابة في حج الفريضة عن الحي العاجز عند الجمهور فإنها تجوز عندهم في حج التطوع؛ لأن ما جازت الإنابة في فرضه جازت في نفله(٢١).

ثمة أحاديث نبوية تدل على مشروعية النيابة عن الحي العاجز في الحج

القول الثاني: يرى المالكية في المعتمد أن النيابة في الحج عن الحي العاجز لا تجوز لا في الفريضة ولا في النافلة، والأفضل أن يتطوع عنه وليه بغير الحج، كأن يهدي أو يتصدق عنه أو يدعو له(٢٢)، ودليلهم على ذلك.

(أ) قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧)، والعاجز غير مستطيع فلا يجب عليه الحج. وأجيب: بأن القدرة على الأداء بالغير استطاعة(٢٣).

(ب) الحج عبادة لا تدخلها النيابة مع القدرة فلا تدخلها مع العجز كالصوم والصلاة. وأجيب: بأنه قياس مع الفارق فيكون فاسدًا؛ وذلك لأن كلا من الصوم والصلاة عبادة بدنية، أما الحج فهو عبادة بدنية مالية(٢٤).

هذا، وبعد الانتهاء من أدلة الفريقين، يمكن القول: إن الصواب ما رآه جمهور الفقهاء؛ وذلك لقوة أدلتهم، ورد ما ورد عليها من مناقشات.

الحالة الثانية: النيابة عن الميت

إذا تحققت شروط وجوب الحج وانتفت الموانع فقد وجب الحج وتعلق في ذمة المكلف، فإذا حضره الموت ولم يَحج وأوصى بذلك فالفقهاء متفقون على وجوب الإحجاج عنه إذا كان له مال، وإلا فمستحب(٢٥)، وإن حدد في الوصية من يَحج عنه فمات، وجب إحجاج غيره عنه؛ لأن مقصوده من الوصية تحصيل العبادات، فإذا مات من حدده دون إيقاعها أقيم غيره مقامه(٢٦)، أما إن أوصى بتحديد المكان فعند الحنفية الأمر على ما حدده، وإن لم يحدد شيئًا، فيحج من موطنه(٢٧)، بينما المالكية(٢٨)، والحنابلة(٢٩)، فيُحج عنه إما من بلده، أو من الموضع الذي أيسر منه، أما الشافعية فمن ميقات بلده(٣٠)، وإذا لم يوص بالحج عنه، فقد اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: يرى الشافعية(٣١)، والحنابلة(٣٢)، أن المقصر الذي مات ولم يَحج بعد تمكنه من الحج، وجب أن يُحج عنه من أصل ماله، ويجبر الورثة على ذلك، لأنه حق استقر عليه، فلا يسقط بموته، ولهذا كان من جميع ماله؛ لأن النبي ﷺ شبهه بالدين فوجب مساواته له، فإن لم يكن له تركة فلا يجب على الوارث الإحجاج عنه، لكن يجوز له والأجنبي الحج عنه سواء أوصى به أو لا، وسواء أذن وليه للأجنبي أو لا(٣٣).

لكنهم اختلفوا فيمن مات ولم يَحج بدون تقصير منه، كمن أخَّر الحج لمرض يرجى برؤه فمات منه، فرأى الشافعية أنه لا يجب قضاء الحج من تركته(٣٤)، ورأى الحنابلة أنه كالمقصر يجب الحج عنه من أصل تركته(٣٥). ودليلهم على ذلك(٣٦):

(أ) - عن بريدة رضي الله عنه، قال: «بَيْنَا أنا جالس عند رسول الله ﷺ، إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: فقال: وجب أجرك، وردها عليك الميراث، قالت: يا رسول الله! إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها»(٣٧). وفيه دلالة على قولهم بالحج عن الميت وإن لم يوص.

(ب) - روي عن أن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة نذرت أن تحج فماتت، فأتى أخوها النبي ﷺ فسأله عن ذلك،

فقال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت قاضيَه؟ قال: نعم، قال: فاقضوا الله، فهو أحق بالوفاء»(٣٨)، وإذا كان دين الآدمي يقضى من التركة كلها فما هو أحق منه بالوفاء يقضى منها كلها من باب أولى(٣٩).

القول الثاني: ويرى الحنفية(٤٠)، والمالكية(٤١)، أن من مات بعد التمكن من الحج، سقط عنه فرض الحج، إلا أن يوصي بأن يحج عنه من ثلث ماله فيجبر الورثة على ذلك، فإن تطوع عنه رجل لم يجز إذا كان له مال، وكذا لو تطوع وارث لم يجز أيضًا؛ لأن الفرض هنا متعلق بماله(٤٢)، وإن لم يوص لم يجبر الورثة، ولا يلزمهم ذلك، وقد قيل: إن حج رجل عن الميت من غير وصية أو تبرع الورثة بذلك فحج عن أبيه أو عن أمه حجة الإسلام(٤٣)، فقد قال أبوحنيفة: يجزيه ذلك إن شاء الله تعالى(٤٤).

ودليلهم على ذلك(٤٥) استدلالهم على قولهم أنه لا يحج عنه إلا إذا أوصى فيحج عنه من ثلث التركة، بأن الحج عبادة، ونية المكلف ركن في العبادة، وكذا اختياره وقد فاتا بالموت دون وصية، فلا تؤدى من ماله، فإن أوصى يكون قد نوى واختار فتنفذ الوصية من الثلث فقط لقول رسول الله ﷺ في شأن الوصية: «الثلث والثلث كثير» (٤٦).

هذا، وبعد الانتهاء من أدلة الفريقين يتضح أن دليل الحنفية والمالكية ما هو إلا اجتهاد مصادم للنص المذكور في أدلة الشافعية والحنابلة، وعليه يكون الأولى بالقبول ما رآه الشافعية والحنابلة.

شرطا النائب في الحج

الشرط الأول: أهليته لصحة حجة الإسلام منه وإجزائها عنه، وذلك بأن يكون مسلمًا عاقلًا بالغًا حرًا(٤٧).

الشرط الثاني: أن يكون قد حج عن نفسه حجة الإسلام، وفيه قولان:

الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية(٤٨)، والشافعية(٤٩)، والحنابلة(٥٠)، إلى أنه لا يصح حجه عن غيره إذا لم يكن قد حج عن نفسه، ولكن ينعقد إحرامه لغيره عن نفسه، وخالف في هذا الحنفية، حيث قالوا: يجوز ذلك مع الكراهة التحريمية(٥١).

واستدل الجمهور على ذلك:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: «لبيك عن شبرمة، قال: من شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي، قال: حججت عن نفسك؟ قال: لا، قال حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة»(٥٢)، والحديث يدل على أنه لا يجوز لمن لم يحج عن نفسه أن يحج عن غيره سواء أكان مستطيعا أم كان غير مستطيع، لأن رسول الله ﷺ لم يستفصل من هذا الرجل الذي سمعه يلبي عن شبرمة، وعدم الاستفصال في وقائع الأحوال ينزل منزلة العموم في المقال، كما هي القاعدة، ثم إن إحرامه عن غيره ينعقد عن نفسه؛ لأنه ﷺ أمره أن يجعله عن نفسه، وجاء في رواية أخرى: «هذه عنك»، وذلك بعد أن لبى عن شبرمة(٥٣). فدل ذلك على أن إحرامه لم ينعقد عن غيره.

وإنما جاز أن يقع الإحرام عن غيره ويكون عن نفسه؛ لأن الذي بطل إنما هو كون إحرامه عن غيره، أما نفس الإحرام فإنه لم يبطل، لأن بطلان صفة الشيء لا يوجب بطلان أصله، فلما لم يبطل إحرامه ولم يجز أن يكون لغيره تعين أن يكون عن نفسه إذ لا يوجد ثالث(٥٤).

(ب) القياس على الصبي، فكما أن الصبي لا يجوز أن يحج عن غيره؛ لأنه لم يحج عن نفسه، فكذا النائب لا يصح أن يحج عن غيره قبل حجه عن نفسه(٥٥)، ونوقش هذا: بأنه قياس مع الفارق، لأن الصبي إذا حج عن نفسه لا يجزئه ذلك عن الفريضة بل عليه بعد بلوغه أن يحج ثانية، أما النائب فإن حج عن نفسه أجزأه ذلك(٥٦).

(ج) الحج واجب في أول سنة من سني الإمكان، فإذا أمكن النائب أن يفعله عن نفسه لم يجز أن يفعله عن غيره؛ لأن الأول: فرض، والثاني: نفل، أي بالنسبة للنائب وإن كان فرضا عن الأصيل، ومعلوم أن الله- تعالى شأنه- لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة(٥٧)، ونوقش هذا: بأن الحج مختلف في وجوبه أهو على الفور أم على التراخي؟ وأجيب: بأن المخالفين يقولون بأن الحج واجب على الفور لا على التراخي.

أما الحنفية فاستدلوا بالتالي:

(أ) حديث المرأة الخثعمية السابق حيث قال لها النبي ﷺ: «حجي عن أبيك»، من غير سؤالها عما إذا كانت قد سبق لها الحج عن نفسها أم لا، وترك الاستفصال ينزل منزلة عموم المقال فكأنه ﷺ قال لها: حجي عن أبيك سواء أكنت حججت عن نفسك أم لا، أما سبب الكراهة التحريمية فهو: كون النائب تاركًا فرض الحج، وقد استطاع الحج بوجوده في مكة في وقته(٥٨). وأجيب: بأن ترك الاستفصال في هذا الحديث يحمل على علمه ﷺ بأنها حجت عن نفسها أولًا وإن لم يرو لنا طريق علمه بذلك، وذلك للجمع بين الحديثين، حديث شبرمة وحديث الخثعمية(٥٩).

(ب) الحج كالزكاة كلاهما تدخله النيابة، والزكاة يصح أن يؤديها عن غيره من لم يخرج زكاة نفسه، فالحج كذلك يجوز أن يؤديه عن غيره من يحج عن نفسه(٦٠). وأجيب: بأن هذا قياس مع الفارق بما يلي(٦١):

- من وجبت عليه الزكاة يجوز أن

ينوب عن غيره وقد بقي عليه بعضها، أما في الحج فلا يجوز أن يحج عن الغير من شرع في الحج ولم يتمه.

- الزكاة تجوز فيها النيابة عند القدرة، أما الحج فلا تجوز فيه النيابة عند القدرة.

النيابة في حج التطوع

وفيه مسألتان(٦٢):

المسألة الأولى: إن كان لم يؤد حجة الإسلام فلا يجوز له أن يستنيب في حج التطوع بالاتفاق، لأنه لا يصح أن يفعله بنفسه فنائبه أولى. **والمسألة الثانية:** إذا كان قد أدى حجة الإسلام ففي هذه المسألة قولان:

الأول: يرى الجواز، قال به الحنفية(٦٣)، والحنابلة في المذهب(٦٤)، لأنها حجة لا تلزمه بنفسه فجاز أن يستنيب فيها، ولأنه يتوسع في النفل ما لا يتوسع في الفرض.

الثاني: ذهب الشافعية(٦٥) إلى عدم جواز الاستنابة في حج التطوع عن حي ليس بمعضوب، ولا عن ميت لم يوص به، أما الميت الذي أوصى به، والحي المعضوب إذا استأجر من يحج عنه، ففي الحج عنهما قولان: أصحهما الجواز، وأنه يستحق الأجرة. بينما مذهب المالكية فكما مر معنا يرون المنع عن الحي المستطيع والعاجز، أما الميت فيجوز عندهم إذا أوصى بذلك(٦٦).

فنخلص في النهاية إلى أن الفقهاء متفقون على جواز الاستنابة إذا أوصى الميت بحج التطوع عنه(٦٧)، وأنه كما مر معنا من جواز الاستنابة في حج الفريضة عن الحي العاجز عند الجمهور، فإنها تجوز عندهم أيضًا في حج التطوع، لأن ما جازت الإنابة في فرضه جازت في نفله(٦٨).

والله أعلم بالصواب.

الهوامش

١- أبوداود، رقم: (١٧٣٢).
(٢) البدائع: (٢/٢١٣)، الحطاب:(٢/٥٤٣-٥٤٨)، نهاية المحتاج:(٣/٢٥٢)، شرح المنتهى:(١/٥١٩).
(٣) ذكره ابن قدامة في المغني:(٥/٢٢).
٤- مادة:(ناب)، في كل من: مختار الصحاح:(ص:٢٨٥)، المصباح المنير:(٢/٨٦٤-٨٦٥).
٥- حاشية الدسوقي: (٢/١٥).
٦- والمعضوب: بعين مهملة وضاد معجمة، من العَضْب وهو القطع، كأنه قُطِعَ عن الحركة والتصرُّف. ويقال: بالصاد المهملة، كأنه ضُرِبَ على عَصَبه فانقطعت أعضاؤه عن عملها، فيجبَ عليه الإحجاج عن نفسه بشرطه. انظر: هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك لابن جماعة الكناني: (١/٢٠٦).
٧- البدائع: (٢/٢١٣).
٨- المجموع: (٧/٦٢-٦٣).
٩- شرح المنتهى: (١/٥١٩).
١٠- الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي:(٨/٥٧).
١١- الهداية مع فتح القدير: (٢/٤٠٣)، هداية السالك: (١/٢٢٨)، الأم: (٢/١٠٥)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٢- البدائع: (٢/٢١٣).
١٣- البخاري، رقم: (١٥١٣)، ورقم: (١٨٥٢) أن امرأة من جهينة، بنحو حديث الخثعمية، مسلم، رقم: (١٣٣٤، ١٣٣٥).
١٤- مسند أحمد، رقم: (١٦١٠٨)، النسائي، رقم: (٢٦٣٩).
١٥- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٦-٥٩٧).
١٦- المحلى لابن حزم: (٧/٥٣-٦١).
١٧- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٨)، المجموع:(٧/٦٤)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٨- المجموع:(٧/٦٤)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٩- البدائع: (٢/٢١٣)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٨).
٢٠- كشاف القناع: (٢/٣٩١).
٢١- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٩)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).
٢٢- الحطاب: (٢/٥٤٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:(٥/٢٢٧-٢٢٨).
٢٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٦-٥٩٧)، الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي: (٨/٥٤).
٢٤- المرجعين السابقين.
٢٥- لأنه من باب الإحسان. انظر: حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، حاشيةالدسوقي: (٢/١٧-١٨)، المجموع: (٧/٧٧-٧٨)، كشاف القناع: (٣/٣٩٣).
٢٦- حاشية ابن عابدين: (٢/٦٠٠)، حاشيةالدسوقي: (٢/١٧-١٨)، مغني المحتاج: (١/٤٦٨-٤٦٩)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٢٧- المسالك في المناسك للكرماني: (٢/٩٠).
٢٨- الشرح الكبير للدردير: (٢/١٩).
٢٩- كشاف القناع: (٢/٣٩١).
٣٠- حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠).
٣١- المهذب: (٢/٦٧٣).
٣٢- شرح المنتهى: (١/٥١٩).
٣٣- المجموع: (٧/٧٧)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٣٤- حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠).
٣٥- كشاف القناع:(٢/٣٩١،٣٩٣) .
٣٦- مغني المحتاج: (١/٤٦٨)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٣٧- مسلم، رقم: (١١٤٩).
٣٨- النسائي، رقم: (٢٦٣٣).
٣٩- المجموع: (٧/٧٨)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٤٠- تحفة الفقهاء:(١/٤٢٦).
٤١- التفريع في فروع المالكية:(١/٣١٥).
٤٢- الكافي للشيباني: (٢/٥١١).
٤٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠).
٤٤- بدائع: (٢/٢٢١).
٤٥- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، الحطاب: (٣/٥٤٣-٥٤٨).
٤٦- البخاري، رقم: (٢٧٤٣)، مسلم، رقم: (١٦٢٨).
٤٧- شرح اللباب: (ص:٢٩٩)، المجموع: (٧/٦٣)، كشاف القناع: (٢/٣٧٨-٣٨٠).
٤٨- حاشية الدسوقي: (٢/١٥).
٤٩- المجموع: (٧/٦٣).
٥٠- شرح المنتهى: (١/٥٢١).
٥١- فتح القدير: (٣/٧١).
٥٢- أبو داود، رقم: (١٨١١)، ابن ماجة، رقم: (٢٩٠٣).
٥٣- شرح المنتهى:(١/٥٢١)، وقد قال البيهقي عنه: «وهو إسناد صحيح، ليس في الباب أصح منه» انظر: معرفة السنن والآثار:(٧/٢٨-٣٠)، مختصر خلافيات البيهقي: (٣/١٢٠-١٢١).
٥٤- الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي:(٨/٩٤).
٥٥- المرجع السابق.
٥٦- روضة الطالبين: (٢/٢٩٨)، كشاف القناع: (٢/٣٧٨-٣٧٩).
٥٧- المجموع: (٧/٧٧).
٥٨- تنوير الأبصار مع شرحه وحاشيته: (٢/٣٣١).
٥٩- المجموع: (٧/٩٠)، الإنصاف: (٣/٤١٦)، نيل الأوطار:(٥/٨).
٦٠- البناية في شرح الهداية: (٤/٤٢٦-٤٢٧).
٦١- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٧-٥٩٨)، حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).
٦٢- الفتاوى الهندية: (١/٢٥٨)، حاشية الدسوقي: (٢/١٨)، المجموع: (٧/٦١-٦٥)، كشاف القناع: (٢/٣٩٧).
٦٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٧-٦٠٠).
٦٤- الإنصاف: (٣/٤١٨).
٦٥- المجموع: (٧/٦١-٦٥).
٦٦-الحطاب: (٢/٥٤٣-٥٤٨).
٦٧- فتح القدير: (٣/١٤٤)، الحطاب: (٢/٥٤٣-٥٤٨)، المجموع: (٧/١١٤)، المغني: (٣/٢٤٤)، وفي قول عند الشافعية منع الاستنابة فيه؛ لأنه إنما جاز الاستنابة في الفروض للضرورة، ولا يجوز في النفل.
٦٨- فتح القدير: (٣/١٤٤)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٩)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).

البنات في التراث العربي والإسلامي

صلاح الشهاوي
باحث تراثي

البنوة في التصور الإسلامي حقيقة كبرى من حقائق الخلق وإبداع الخالق سبحانه، ومما أستأثر به.. تلك الحقيقة هي الإنجاب للبنين والبنات والعقم، وتوزيع ذلك بين الناس لحكم قد لا يظهر لنا بعضها، ولكن أجلى الحكم في ذلك هي الابتلاء الذي يعقبه الثواب العظيم والأجر الجزيل أو العقاب والوزر، يقول تعالى ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠)

كان المجتمع العربي في الجاهلية يخضع لنظام القبيلة، حيث للأبوة في هذا النظام مقام جليل وشأن ذو خطر ذلك لأن القبيلة في أصلها لا تعدو أن تكون فروعا تكاثرت من جذر واحد هو الأب الذي تنتمي إليه، ثم بمضي الزمن تنمو الفروع فيغدو كل منها قبيلة مستقلة، وطبيعة هذا النظام تجعل شيخ القبيلة -الذي هو في الواقع أبوها الكبير- ملكا غير متوج، كما كان تكريم الآباء تقليدا متبعا، فالعرب يبدأون تاريخهم الديني بقصة جدهم الذبيح الذي كاد أن يجود بالحياة طاعة لأبيه وتجنيبا له من ذنب عصيان الخالق ثم يختمون تاريخهم الديني في الجاهلية بقصة بني عبدالمطلب الذين ما ترددوا في طاعته يوم أخبرهم بنذره ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة لو بلغوا عشرة، بل لبوا طائعين ومضوا يحملون قدرهم إلى الكعبة حيث وقفوا هنالك بجانب أبيهم الشيخ ينتظرون أيهم يكون الذبيح (١).

ونظام القبيلة الذي جعل للأبوة مثل تلك المكانة في الجاهلية هو نفسه الذي جعل العرب يتعلقون بالبنين ويحرصون على الإنجاب ويباهون بكثرة الولد؛ إذ كانت القوة والكثرة هما مناط العزة والمنعة وقوام الحياة في مجتمع كهذا يقوم على التنافس بين القبائل والتزاحم على موارد العيش، ومع تعلقهم بالبنين كرهوا أن تولد لهم أنثى، وهي كراهة تتمثل في صور شتى أهونها الغيظ المكبوت أو المعلن وأقساها الوأد (٢)، وليس هناك دليل على كراهية بعض من العرب الجاهليين للبنات أكثر من قوله تعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل: ٥٨-٥٩). وقد بالغ بعض العرب في بغضهم للبنات عند ولادتهن إلى حد الوأد، وهو أن يحفر للمولودة حفرة ثم يضع ابنته فيها ويهيل عليها التراب فيدفنها حية، وقد اختلف الباحثون في توضيح أسباب الوأد، فأرجع بعضهم سبب الوأد إلى شعور العربي في الجاهلية بالغيرة والخوف من العار الذي تجلبه بناته إذا كبرن وتعرضن للسبي (٣)، كما ورد في القرآن الكريم أن بعضهم كان يئد بناته خشية الفقر والإملاق، قال تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ (الإسراء: ٣١)، ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ (الأنعام: ١٥١)، ويرى المفسرون أن تقديم رزق الآباء على الأبناء في الآية الثانية يتضمن توقع الفقر والخوف منه، والآية يقصد بها الآباء الأغنياء، أما تقديم رزق الأبناء على الآباء في الآية الأولى فيشير إلى حدوث فقر والمقصود بأولئك الآباء الفقراء منهم بالفعل (٤).

كما أرجع بعض الباحثين سبب الوأد إلى صفات في الموءودة كأن يتشاءم منها أهلها، فكان بعضهم يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء (٥).

وأرجع بعض الباحثين ذلك إلى عوامل اجتماعية، منها ما له علاقة بصحة الطفل إذا ولد ضعيفا أو مشوها وإذا أصيب بمرض لا يرجى منه الشفاء بحيث يصبح عالة على أهله ومنها ما له علاقة بكثرة عدد البنات (٦)، ويرى البعض أنها بقية متخلفة من عبادة قديمة قدمت فيها الإناث قرابين إلى الآلهة على نحو ما عرف عن مصر قبل الإسلام من تقديم عروس للنيل ضحية وقربانا، ولعل هذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم في آيات عدة شنع فيها على القوم بسبب أنهم يجعلون لله البنات ويستأثرون بالبنين ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (النحل: ٥٧)، ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ (الطور: ٣٩) (٧).

وكان الوأد لأسباب دينية عند اليونان والرومان وشعوب أخرى كالهنود والصينيين والأفارقة (٨).

وقد أدى بغض البنات في العصر الجاهلي إلى تغلغل هذا السلوك المشين في نفوس بعض العرب حتى من لم يئد، فكان الحزن يملأ قلبه، وليس بغريب في هذا العصر حال العربي الجاهلي الذي

ولد له سبع بنات ومن خوفه من بنت ثامنة طاف بالكعبة وقبلها الأوثان وهو ينشد:

يا رب حسبي من بنات حسبي
شيبن رأسي وأكلن كسبي
إن زدتني أخرى خلعت قلبي
وزدتني هما يدق صلبي

ومن مأثور قولهم لمن رزق بأنثى «أمنكم الله عارها وكفاكم مؤنتها وصاهرتم القبر» فكانوا يئدونهن إشفاقا عليهن، وحمية لهن من أن يتبذلهن اللئام، وكان من تحوّب من قتل البنات لرقة ومحبة، كان موتهن أحب إليه، وآثر عنده.

قال عقيل بن عُلّفة لما خُطبت ابنته الجرباء:

لكل أبي بنت يرجى بقاؤها
ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها
وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر:

إني وإن سيق إلي المهر
ألف وعبدان وذود عشر
أحب أمهاري إلي القبر

كما شاع فيهم القول المأثور «دفن البنات من المكرمات»، ولعل تدني قيمة

الإسلام نظر إلى البنت نظرة عميقة فجعل القيام عليها كالجهاد في سبيل الله

البنت (الأنثى) في زمن العرب الأول لا تدلل عنه حجة أقوى من القرآن الكريم الذي وصف الأعرابي وهو يتوارى عن وجوه القوم وكأن عارا نزل به أن زوجته أنجبت أنثى، حتى إن أحد الأعراب أنشد قصيدة يفخر فيها بوأده ابنته ومطلعها:

سميتها إذ ولدت تموت
والقبر نزل طيب وبيت

ومع ذلك نرى أن وأد البنات في الجاهلية على كثرة ما جاء من أخباره عمل فردي رفضه أولو الألباب وحقروا مقترفيه، ولكن الحديث والإفاضة التي تحدث بها البعض عن وأد البنات في العصر الجاهلي تجعلنا نعجب! إذ كيف جاءت كل هذه القبائل، وكل هؤلاء الأفراد الذين نسمع عنهم في هذا التاريخ وهذا العصر؟! (٩).

فقد كان كثير من العرب يعطفون على بناتهم ويدللونهن، ولعل ذلك يرجع إلى ضعفهن وحنوهن على آبائهن، يذكر أبوالفرج الأصفهاني أن معن بن أوس الشاعر كان مئناثا (يولد له البنات فقط) وكانت له ثلاث بنات يؤثرهن ويحسن صحبتهن وكان يرى البنات أكثر وفاء للآباء من الصبيان فيقول:

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وفيهن لا يكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى
عوائد لا يمللنه ونوائح (١٠)

وهذا لبيد يشفق على ابنتيه أن تحزنا عليه بعد موته فتخمشا الوجه وتحلقا الشعر فينصحهما بعدم التمادي في الحزن فيقول:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
وفي ابن نزار أسوة إن جزعتما
وإن تسألاهم تخبرا منهم الخبر
فإن حان يوم أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر(١١).

وكما أسلفنا فإن هناك من الجاهليين من عطف على البنات وأحبهن، كما في قول شاعرهم حطان ابن المعلى:

لولا بنيات كزغب القطا
ردن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

لذا فمن الإنصاف للتاريخ والأدب الجاهلي أن نسجل له حب كثير من الآباء العرب لبناتهم حبا صادقا عبر عنه امرؤ القيس الذي يصور لنا في بعض أشعاره كيف كانت البنات مدللات في صغرهن ولهن ما لهن من الملابس الجميلة

واللعب والعرائس الطريفة الكثيرة بقوله:

وهي إذ ذاك عليها مئزر
ولها بيت جوار من لعب

وفي تاريخ العرب الجاهلي وجد أناس كانوا يسعون إلى منع الوأد وذلك بشراء الموءودة مثل صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق الشاعر الذي أنقذ ثمانين ومائتي موءوده اشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل (١٢).

وكذلك حدثوا أن زيد بن عمر بن نفيل كان إذا سمع بفقير هم بوأد ابنته مضى إليه فقال: «لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها» فإذا كبرت عاد بها إلى أبيها فراجعه في أمرها وخيره بين استردادها أو بقائها حيث هي في كنف الذي استحياها.

قال ابن إسحق في السيرة «حدثت أن سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله ﷺ أنستغفر لزيد؟ قال: نعم، فإنه يبعث أمة وحده» (١٣).

ومن مظاهر إعزاز الآباء لبناتهم في الجاهلية رغم أخبار الوأد المنتشرة وكراهة البنت أن كان بعضهم يكنى بأسماء بناته فكان ربيعة بن رباح والد زهير الشاعر يكنى بأبي سلمى (١٤)،

والنابغة الذبياني كان يكنى بأبي أمامة (١٥)، وحاتم الطائي بأبي سفانة، ومن ذلك أن رجلا يدعى أبا حمزة الضبي وضعت زوجته أنثى فهجرها وأخذ يبيت عند جيرانه فمر بخبائها يوما فسمعها تقول لابنتها:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

فأسف الرجل عند سماع ذلك وأقبل إلى زوجته وصالحها بأن قبل رأس امرأته وابنتها وقال: «ظلمتكما ورب الكعبة» (١٦).

وكثير من عرب الجاهلية لم يكن يرجو لابنته إلا أن تنمو فتصير جارية حسناء طيبة الريح عذبة الفم كريمة النفس والخلق ترضي زوجها، قال أحدهم وهو يرقص ابنته:

كريمة يحبها أبوها
مليحة العينين عذب فوها
لا تحسن السب وان سبوها

وقال عربي آخر في ابنته:

بنيتي ريحانة أشمها
فديت بنتي وفدتني أمها (١٧)

وبعد أن رأينا موقف الجاهلية السلبي القبيح من البنت، ورأينا أيضا أنه رغم هذه الجاهلية العربية فإنه كان هناك الكثير من أولي الألباب الذين رفضوا ذلك وحقروا مقترفيه، فإنه يجب أن نرى كيف غير الإسلام هذه المفاهيم واعتبرها ضيق أفق وادعاء وتطاولا على الخالق الأعظم واهب النعم.

صورة البنات في التراث الإسلامي

إن الدين الإسلامي جاء بما يصلح حياة الناس ومناهجهم ويدل كذلك على نقاء فطرة وسريرة العربي التي تعود سريعة إلى الحق، إن هي دلت على طريقة، ولسنا هنا في حاجة إلى عد الحقوق الإنسانية والشرعية والمادية التي حماها الإسلام للمرأة أو بيان المنزلة الكريمة التي وضعها فيها، لأن الحديث عن عناية الإسلام بالمرأة وإنزالها مكانتها التي تليق بها حديث لا ينتهي أبدا (١٨).

فالإسلام قد احتفى بالمرأة وحمى مواقعها في كل أدوار حياتها، وما يهمنا هنا هو احتفاؤه بها وهي في بداية حياتها وهي «ابنة» فعاب وحرم الوأد للبنات في قوله تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ (الأنعام: ١٣).

والقرآن الكريم دستور الإسلام في خبرته الفذة بطبيعة البشر وتقديره الحكيم لما تخضع له من شتى المؤثرات، لم يرج من القوم أول الأمر أن يقهروا في مشاعرهم نوازع الوراثة العاطفية، لكنه كذلك في تساميه بالإنسانية لم ييأس من رياضة المسلمين على الرضا بالبنات وحمايتهن من أثر الظلم والكراهية، فتتابعت آياته الكريمة حاثة على اتقاء الله فيهن، حاضة على إنصافهن ومساواتهن بالبنين قدر ما تحتمل الطبائع والأوضاع (١٩). ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾ (الكوثر: ٨-٩)، ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ (الإسراء: ٣١)، ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ (الأنعام: ١٥١). ونظر الإسلام إلى البنت نظرة كبيرة عميقة فجعل القيام عليها كالجهاد في سبيل الله، حيث جعل البنت الطاهرة جهاد أبيها وأمها في الدنيا والفوز به يكون بأسباب الصبر والإيمان - فالبنت هي أم ودار، وأبواها فيما يكابدان من إحسان تربيتها وتأديبها وحياطتها والصبر عليها واليقظة لها، كأنهما يحملان الأحجار على ظهريهما حجرا حجرا ليبنيا تلك الدار، فليس ينبغي أن ينظر الأب إلى بنته إلا على أنها بنته ثم أم أولادها ثم أم أحفاده فهي بذلك أكبر من نفسها، وحقها عليه أكبر من الحق، فيه حرمتها وحرمة الإنسانية معا، والأب في ذلك يقرض الله إحسانا وحنانا ورحمة، فحق على الله أن يوفيه من مثلها وأن يضعف له... والبنت ترى نفسها في بيت أهلها ضعيفة كالمنقطعة وكالعالة، وليس لها إلا الله ورحمة أبويها، فإن رحماها وأكرماها

فوق الرحمة وسراها فوق الكرامة وقاما بحق تأديبها وتفقيهها في الدين وحفظا نفسها طاهرة كريمة مسرورة مؤدبة فقد وضعا بين يدي الله عملا كاملا من أعمالهما الصالحة، كما وضعاه بين يدي الإنسانية، فإذا صارا إلى الله كان حقا لهما أن يجدا في الآخرة يمينا وشمالا يذهبان بينهما إلى عفو الله وكرمه. وكما قال رسول الله ﷺ : «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (٢٠).

صورة البنات في السنة المطهرة

ثم كانت السنة النبوية الكريمة توضح مكانة البنت وعظم فضلها وفضل تربيتها، فهذا رسول الله ﷺ يرسخ ذلك في أذهان المسلمين قولا وعملا، ومن ذلك أن قيس بن عاصم المنقري كان يتحدث بين يد النبي ﷺ عن ضحاياه من الموءودات وأنه ذهب باثنتي عشرة منهن، فقال عليه الصلاة والسلام «من لا يرحم لا يرحم» وأمره أن يعتق بكل واحدة جارية مؤمنة (٢١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءتني امرأة معها ابنتاها تسألني، فلم أجد غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار» (رواه البخاري) وقال ﷺ عن ابنته فاطمة رضي الله عنها «فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها» (صحيح البخاري) وحدث البخاري عن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها. بل وأكثر من ذلك، حيث ذكر رسول الله ﷺ أن البنات يكن سببا في إدخال الوالد الجنة بإذن الله تعالى وذلك لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لأحدكم ثلاث بنات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة» وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ «من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار» (رواه الترمذي) «

الرسول القدوة

لم ير أكرم من النبي ﷺ في معاملة بناته والترفق بهن والانتصاف لهن والإشفاق عليهن، ولا نعلم أحدا ممن عاصروه وحاربوه وناصبوه العداء قد مس حبه الغامر لبناته، فقد كان الرسول ﷺ دائم الإعلان عن حبه لبناته وبنات المسلمين فهو أب لأربع بنات قد كانت معاملة النبي ﷺ للإناث، خاصة على قرب العهد بالجاهلية، فوق الذي طمعن فيه من عزة وكرامة ومروءة، وما من ريب في أن البيئة كانت محتاجة إلى هذا المثل الصالح والقدوة الطيبة في شخص الرسول الكريم ﷺ لتقاوم ما ألفته في معاملة البنات، فلقد كان عليه الصلاة والسلام يفرح بلقاء ابنته فاطمة ويسر برؤيتها ويهش للقائها كما كان يسر برؤية أولادها ويرحب بمقدم زوجها علي بن أبي طالب وكان يعتبرها بضعة منه وفيها يقول: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» (صححه الترمذي) وليس أدل على حب رسول الله لابنته من أنها كانت تدعى بأجمل وأرق كنية عرفتها لغات العالم وأدلها على هذا الحب، فقد كانت تدعى: أم أبيها، فلا غرو إذن أن يقول ابن جريج «قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه»

وعلى هديه ﷺ سار الصحابة والتابعون والمسلمون، فكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهادا لحاجتهن إليه وشغله بهن والعناية بتربيتهن.

ثم أصبح العرب في ظل الإسلام يقولون: من يمن المرأة أن تلد الأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث. حيث يقول تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى: ٤٩) ورأوا البنات نسمات عليلة يخففن وهج الحياة في صغرهن، وهن الحانيات في الكبر، المستجيبات لكل همسة، المطيعات لكل إشارة، وهن بلطفهن وطيب نفوسهن تفاحة القلب، كما قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن ابنته عائشة (٢٤).

الهوامش

١- د.بنت الشاطئ، بنات النبي ﷺ الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص ١٦.
٢- المصدر السابق، ص ٢٨.
٣- د.السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، ص ٢١٢.
٤- ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، الجزء الثاني، ص ١٨٨.
٥- محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار المعارف، مصر، الجزء الثالث، ص ٤٣.
٦- د.أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ١٦١.
٧- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٣١.
٨- د.سيد عبدالعزيز سالم، مصدر سابق، ص ٣٩٩.
٩- الشيخ محمد الغزالي، قضايا المرأة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ ص ٦٢.
١٠- أبوالفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء العاشر، ص ٣٤٧.
١١- المصدر السابق ص ٢٨٨.
١٢- النويري، نهاية الأرب، ج٣ ص ١٣٧.
١٣- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٣٣.
١٤- الأغاني، ج٩ ص ٢٩٤.
١٥- الأغاني، ج٩ ص ٣٢٩.
١٦- الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ص ١٦٣.
١٧- صالح بن إبراهيم الحسن، إليك يا إبراهيم في مهدك المجلة العربية رجب ١٤٢١ ص ٥٩.
١٨- الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، المرأة كيف عاملها الإسلام، كتيب المجلة العربية، ٤٠ص ١٧.
١٩- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٤٣.
٢٠ - مصطفى صادق الرافعي، من وحي القلم، الجزء الأول، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ٩٦.
٢١- الشيخ حسن آل الشيخ، مصدر سابق ص ١٨.
٢٢- صالح بن إبراهيم الحسن، مصدر سابق، ص ٥٩.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

البناء القيمي

تعتبر القيم المحرك الأساسي للأفكار والأقوال والسلوكات في المجتمع، وأساس المحافظة على البقاء والنمو والتطور، والتاريخ يؤكد أنه ما نهضت أمة من الأمم إلا على قاعدة ثابتة من التمسك والالتزام بقيمها الأصيلة.

فمجتمعاتنا اليوم تعيش حالة من الفراغ القيمي والفقر الأخلاقي نتيجة ضعف الأطروحات الجدية في التنمية الإنسانية والمجتمعية، فصارت تعاني من مشاكل وصراعات لا حصر لها حتى تذيلت الركب وابتعدت عن الصراط المستقيم.

ولعل غياب المفهوم القيمي للأخلاق، بمعناه الإنساني والإسلامي، عن دائرة حياتنا أسهم في تأجيج الخلافات والصراعات والمفاهيم المغلوطة، وباتت أغلب مجتمعاتنا مرتعًا للفساد والإفساد، وتناست دورها العالمي في إرشاد البشرية إلى الخير والصلاح.

ولاشك أن انعدام القيم يشكل حقيقة واقعية، حيث تبدلت المفاهيم الإنسانية- خاصة الإسلامية- من التعاون إلى التصارع والتدافع، ومن الترابط إلى الإقصاء والمغالبة، ومن احترام الآخر والمحافظة على خصوصيته إلى العمل على تذويبه وتسطيحه.

كذلك اختفت القواسم المشتركة بين المجتمعات، وظهرت مداخل الاختلاف التي تنهي أي عملية إصلاح حقيقية، وتكشف طبيعة الأمراض الخبيثة التي تنخر في المجتمعات وتسعى إلى إشباع الشهوات لا العقول والأرواح.

فسلوكات المسلمين تعكس هذه الرؤى بمفاهيمها ومعانيها الشاملة، فترى الأخلاقيات منعدمة، والشهوات متأججة، والعقول فارغة، والأرواح خاوية، والمبادئ منتهية، والقيم حيوانية، والقلوب متقلبة.. فلماذا لا نحيي القيم في قلوبنا ونترك القشور العقيمة؟ ولماذا نتفرغ للمهاترات والصراعات والمساجلات بدلًا من التفرغ للعمل الدءوب؟

وما تفرزه مجتمعاتنا في الوقت الراهن نتيجة عمليات التنشئة الاجتماعية السلبية، والخواء القيمي وسيادة مفاهيم خاطئة مثل التعميم والأحكام المسبقة، والتحزب والتعصب، وضيق الأفق، والعنصرية، وغيرها من الثقافات الشيطانية ما هو إلا نتيجة تضييع مرجعيتنا، والعبث بقيمنا الأصيلة.

وكثير من أتباع هذا الدين العظيم يتغنون بالأمجاد والتاريخ والشعارات ويتناسون أن النهضة لن تتحقق أبدًا إلا بالعبودية الحقة لله والوعي العملي بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية.

إن عدم استغلالنا للغات القيمية، وتقوقعنا في ثقافات التبعية الفجة أفقدنا الريادة التي نطمح إليها، فأين نحن اليوم من الإتقان والجودة والأمانة والعمل والإبداع والنظافة والشجاعة الأدبية؟

إن أمتنا في حاجة ماسة إلى إعادة بناء الصرح القيمي في قلوب وعقول الأجيال القادمة من أجل عملية تنموية مستدامة لا تنظر للقشور والتوافه والمثبطات لأنها تعلم جيدًا أن طريقها مرسوم بعناية الهية، فكلما اتسع وقوي البناء القيمي في نفس الإنسان كلما نمت مشاعره ومفاهيمه وأعماله وإنجازاته واعتلى أعلى المراتب المجتمعية.

والمشروع النهضوي في سلم أولوياتنا لابد أن يتمحور حول البناء القيمي في مراحل التربية والتعليم المختلفة من أجل إيجاد مبادئ حضارية قادرة على قيادة النفوس والعقول نحو الخير والسلام والأمن والاستقرار. والله ولي التوفيق.

لغة وأدب

معلبات نقدية

دأب كثير من النقاد على طرح الأحكام النقدية المعلبة في جنبات الساحة النقدية، متغافلين حقيقة تعد ذروة سنام ما كن أن يوصف به العمل الأدبي، وهي مغايرته لنظرائه من الأعمال الأخرى، فما يصح أن يحكم به على عمل ليس بالضرورة بالغًا المبلغ نفسه من غيره من الأعمال، ولا يعد هذا تصديقًا ولا تكذيبًا للحكم ، بل إن مرجعية ذلك تعود إلى طبيعة النص وملابساته وأجوائه.

ومن تلك المعلبات النقدية العيب على من تكررت لديه جملة أو لفظة أو حتى مشتقات جذر لغوي واحد، ولعل من الأمثلة الشهيرة على ذلك ما عابه النقاد على الشاعر جرير من تكرار مادة «وزن» في بيته الذي يقول فيه:

ولو وُزنتْ حلومُ بني نمير على الميزان ما وزنت ذبابًا

ولسنا معنيين هنا ناقشة هذا الحَكم، ، إنما تعنينا الإشارة إلى أن التكرار ليس على الدوام عيبًا، بل إنه قد يوظف توظيفًا محكمًا يستحيل لغيره من الأساليب إيصال ما يؤديه من معنى، والإيحاء بما يحمله من دلالة.

ولا أدل على ما نقول مما نراه في كتاب الله سبحانه وتعالى، ، فكيف كان من الممكن أن يصل ما تحمله سورة «الكافرون» من معان بغير هذا الإحكام في الأسلوب الذي يقوم في الأساس على التكرار؟.

ثم أرأيت ما في قول الله سبحانه وتعالى ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا﴾من بلاغة وبيان، وما بين الآية والتعبير بـ «فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولا تحويلًا» من فروق شاسعة ليس ثَمَّ مجال لبسطها؟ ومثل ذلك يقال في قوله تعالى ﴿والله أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا﴾

عامر أحمد عامر

الجاحظ والعقلانية الإسلامية

أ.د. أمان عبدالمؤمن قحيف
باحث أكاديمي

يتصور كاتب السطور أن خير ما يمكن قوله عن الجاحظ للقارئ العربي المعاصر هو أن الرجل كان مفكرًا وأديبًا وباحثًا في الإسلاميات والاجتماعيات وعلم الحيوان، فقد كتب في العديد من التخصصات التي تؤكد موسوعيته وسعة أفقه المعرفي، وكان من الكتاب الساخرين أصحاب الظل الخفيف، وناقدًا اجتماعيًا يمتلك حاسة نقدية متميزة جعلته يلتقط صفات البخلاء ويحكي نوادرهم في سلاسة ووعي يندر أن نقف على مثلهما في مكتبتنا العربية والإسلامية، وكان الجاحظ مسلمًا صحيح الإسلام يفهم دينه فهمًا عقلانيًا فهو سليل مدرسة «المعتزلة» التي حاولت صياغة الفكر الإسلامي صياغة عقلانية بحيث تتمكن من الرد على الملحدين والمجوس واليهود والنصارى، وغيرهم من الملل والنحل التي كانت تتعارض وقتذاك مع الإسلام.

صاحبنا هو أبوعثمان عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ لبروز عينيه من حدقتيهما، ولد في البصرة نحو عام (١٥٩هـ - ٧٧٥م)، وتوفي بها أيضا عام (٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م)، فقد والده وهو في عمر الطفولة، الأمر الذي جعله يتعيش من كسب يده، فلم يكن له من يوفر له لقمة العيش أو يعوله في متطلبات حياته، لذا ذهب يبيع الخبز والسمك بالبصرة، غير أن هذه الظروف القاسية على من هو في مثل سنه لم تمنعه من الذهاب إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم مع أولاد القصابين، مما يكشف لنا عن حبه الشديد للعلم والتعلم منذ سنوات حياته الأولى.

كانت البصرة وقتذاك من أكبر حواضر العلم والأدب والثقافة بعد بغداد، تعج بالأدباء والنحويين وأهل اللغة والثقافة والفكر، فكان من الطبيعي أن يحرص الجاحظ- وهو صاحب العقلية المتطلعة إلى العلم والمعرفة- على مجالسة هؤلاء العلماء

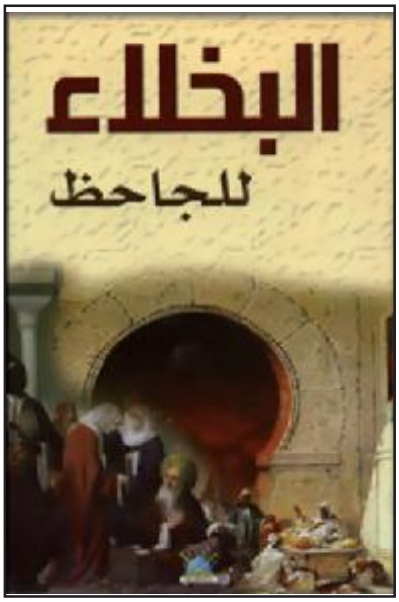

والأخذ عنهم كل ما يمكنه تعلمه وفهمه واستيعابه، وخالط المسجدين- قوم كان يطول مكثهم بالمسجد ويشتغلون بالدراسات الدينية والأدبية فعرفوا بهذا الاسم- وأخذ عنهم الكثير من أوجه العلم والمعرفة والأدب والثقافة، ولقد أسعفه ذكاؤه المتوقد وقدرته على الفهم والاستيعاب في تحصيل ما يعز على الكثيرين من أمثاله استيعابه في مثل تلك الظروف والأحوال.

ولما اشتدت عوده ذهب يتعلم شيئًا من الخطابة والبلاغة والشعر على خطباء العرب في المربد، وكان- في نفس الوقت- كثير التردد على حوانيت الوراقين، يقرأ عندهم، ويتعلم في تواضع شديد للعلم، ويقضي الساعات الطوال قارئًا ومدققًا لدرجة أنه كان يبيت بعض الليالي داخل تلك الحوانيت لأن النوم كثيرًا ما كان يغلب عليه وهو مستغرق في القراءة والاطلاع.

بعد ذلك أراد الجاحظ أن يوسع من مداركه ويعمق من أفكاره فقصد بغداد، وهناك اتجه إلى كبار علماء الدين والأدب، الذين أشعروه من خلال علمهم الغزير أن ما تلقاه سابقًا من علم ومعرفة لا يمثل إلا البدايات المعرفية وأوليات العلوم، من ثم فقد أكثر من التردد على ابن وهب وابن الزيات فأخذ عنهما ما لم يجده عند الشعراء والأدباء

من أهل البصرة.

وهكذا انطلق الجاحظ يحصل العلوم والمعارف فاتسعت معارفه، وتنامت مداركه، وتكونت رؤاه الفكرية في الكثير من الموضوعات والمسائل المهمة في الأدب والثقافة والدين، وبدأ يخط بقلمه بعض الكتب والدراسات التي نجح في كتابتها وتأليفها، غير أنه احتال في تقديم مؤلفاته للناس في أول الأمر، حيث كان يكتب الكتب والمؤلفات وينسبها إلى «ابن المقفع» «سهل بن هارون» حتى تسير ويقبل الناس عليها لأن اسمه لم يكن معروفًا بين المؤلفين ولم يكن من الكُتاب الذين يتجه القارئ وقتذاك إلى متابعة إنتاجهم أو الاهتمام بأفكارهم.

ونشير إلى أن الجاحظ لم يكن بدعًا في ذلك، فهناك العديد من الكتاب والباحثين الذين مارسوا هذا الفعل في بداية حياتهم، ويضيق المجال بنا عن الإشارة إليهم لكثرتهم ولشهرتهم في تاريخنا الثقافي والأدبي.

وما هي إلا سنوات عدة حتى ظهرت موهبة الجاحظ واشتهر بين الباحثين وتكونت له رؤية فكرية، فكتب في هذه الفترة العديد من المؤلفات التي يعد «كتاب الإمامة» من أشهرها وأهمها، وحدث أن المأمون قرأ هذا الكتاب وأعجب بأسلوبه وبمهارة مصنفه وقدرته على التحليل والتعليل والنقد والمقارنة، فطلب استقدام الجاحظ إليه وسأله أن يكتب له رسالة في العباسية والاحتجاج لها.

ولما أعجب المأمون بكتابات الجاحظ وبإمكاناته العقلية أسند إليه ديوان «الرسائل»، وتلك مكانة لا يتبوأها إلا من

دافع الجاحظ عن الإسلام بضراوة ضد الزنادقة والمجوسية

اتصف بالوقار والنبوغ والحنكة والوفرة المعرفية في العديد من المجالات الأدبية والعلمية والسياسية، غير أن صاحبنا لم يمكث في هذا الموقع سوى ثلاثة أيام ترك بعدها المكان والوظيفة الرفيعة المقام طلبًا للحرية الذهنية والانطلاقات العقلية ورفضًا للدخول في الصراعات التي تنشب بين كبار الموظفين والعاملين في المناصب العليا والدواوين.

وبعد تركه لديوان الخليفة توطدت عرى الصلة بينه وبين محمد بن عبدالملك، وشهرته ابن الزيات- الذي كان يعمل وزيرًا في عهد المعتصم ثم الواثق من بعده، ومعلوم أن ابن الزيات هذا كان من المهتمين بالأدب والثقافة، وكان محبًا للمبدعين والكتاب لأنه كان منهم وله مؤلفات عدة، لذلك أهداه الجاحظ كتاب «الحيوان»، فمنحه الوزير خمسة آلاف دينار كهدية ومكافأة له وتقديرًا لفكره ومجهوده العلمي، بعدها أكثر الجاحظ من السفر إلى دمشق وانطاكية وربما جاء إلى مصر.

ولقد هرب الجاحظ سنة ٨٤٧ م عندما قُتل ابن الزيات لأن الخليفة كان يعرف العلاقة التي كانت تربط بين الجاحظ وابن الزيات، ولأن المتوكل كان لا يحب المعتزلة والحرية الفكرية، وذلك هو الاتجاه الذي كان الجاحظ ينتمي إليه ويعتنقه، غير أن الجاحظ نجح بعد ذلك في إقامة علاقة جيدة مع ابن أبي دؤاد الذي يبدو أنه لم يكن حسن الصلة بابن الزيات، ولقد ورد أن الجاحظ قدَّم كتاب «البيان والتبيين» لابن أبي دؤاد فمنحه الأخير خمسة آلاف دينار.

وتوطدت عرى المحبة بين الجاحظ والفتح بن خاقان وزير المتوكل، وقدم له كتاب «مناقب الترك وعامة جند الخلافة»، واستمرت بينهما المراسلة والمودة، وكان الفتح يثني على الجاحظ كثيرًا عند المتوكل، وأخذ له العديد من الجوائز والمنح من المتوكل الذي لم يسمح بتقرب الجاحظ منه.

وتعد كتب الجاحظ من أثمن الكتب والمؤلفات التي توجد في المكتبة العربية والإسلامية لما فيها من علم غزير، وجهد وفير، وثقافة عميقة، ومحاجة عن الدين ضد خصومه من الزنادقة والملحدين.

ولقد لاقت دروس الجاحظ ومحاضراته قبولًا شديدًا، لذا ألقى الكثير من الدروس في مختلف المناطق من العالم العربي، وتتلمذ عليه العديد من الدارسين المسلمين من بلاد العرب والبلاد الإسلامية الأخرى، ويرجع الفضل في ذلك إلى جرأته في وضع الأمور في وضعها الصحيح مع رفضه للتقاليد البالية التي تتعارض مع العقل والقيم النبيلة، وإلى اتساع آفاق المعرفة لكثرة اطلاعه على الكتب المترجمة عن الفارسية واليونانية والهندية خلاف حصاده الكبير من الثقافة العربية الإسلامية، يضاف إلى هذا كله أسلوبه الساخر الذي يذهب الملل لحب النفس له وارتياحه إليه في كثير من الأحيان.

ويعد الجاحظ من أكثر الأدباء تأثيرًا في الأجيال التي جاءت من بعده، وتعد مؤلفاته من أثمن المؤلفات فكرًا وأرفعها ثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، حتى إن ابن خلدون قد أشار إلى قيمة كتاب «البيان والتبيين» عندما ذكر أنه سمع من شيوخه «أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي» المقدمة ٥٥٣ طبعة بيروت.

ولقد كان للجاحظ عظيم الأثر فيمن جاء بعده من الأدباء، والدليل على ذلك أن هناك من المؤلفين من التزم منهجه في الكتابة والتبويب، فحفلت كتبهم بالعديد من الموضوعات والقضايا مثلما كان يفعل الجاحظ وهذا واضح في كتاب «الكامل»لابن قتيبة، و«العقد الفريد» لابن عبدربه، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري، وهناك من يرجح أن رسالة «التربيع والتدوير» للجاحظ تعد من أسباب ظهور فن المقامات في الأدب العربي (راجع في ذلك الأب حنا الفاخوري، الجاحظ، ص ٤٩).

وإذا كنا قد ألمحنا إلى جهود الجاحظ في خدمة الدين الإسلامي فإن من الأحرى الإشارة إلى أن فيلسوفنا قد ناقش أفكار الزنادقة في زمانه وحاور أفكارهم وأثبت بطلانها واضمحلال محتواها الفكري، ومن أراد المزيد فعليه تقليب صفحات الجزء الرابع من كتاب «الحيوان»، فسيجد فيه الكثير من مناقشة الزنادقة ودحض أفكارهم، أيضًا ناقش الجاحظ أفكار المانوية- أتباع ماني وتلامذته- وتحدث عن جهل هؤلاء القوم، وكشف النقاب عن ضحالة أفكارهم وسطحيتها وهشاشتها، وكان المجوس أيضًا ممن جادلهم الجاحظ وحاور أفكارهم وتصوراتهم ورؤاهم، الفكرية والفلسفية، وسفه فكرتهم الزائفة والمضللة عن الرسول محمد ﷺ، وأكد تهافت رؤاهم وأقوالهم، مبينًا أن مثل تلك التصورات لا تستطيع الصمود أمام النقد المنطقي أو أسس التفكير السليم.

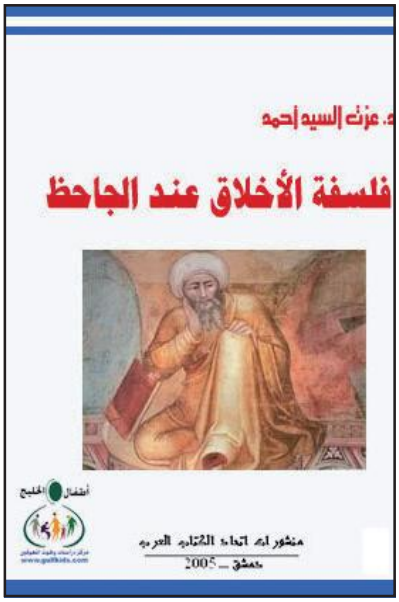

ولم تقتصر جهود الجاحظ في مجال الفكر الديني على مناقشة الزنادقة والمانوية والمجوسية وغيرهم من الفرق الضالة المضلة، بل إن الرجل كتب في براهين نبوة محمد ﷺ، وكتب كتابًا رائعًا أسماه «الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير»، وهو كتاب يعتمد على التأمل والتدبر، وفيه ومن خلاله يبرهن الجاحظ على وجود الخالق الأعظم والمدبر الأعلى والأكبر للكون الذي نعيش فيه ونتحرك في نطاقه، والكتاب مليء بالتأملات في حكمة الخلق والتدبير، ويطيب لنا أن ننقل عنه هنا لفتة طيبة عن خلق الله تعالى للنار، حيث يقول في صفحة (١٣) من الكتاب المذكور: «فتأمل حكمة الباري في التدبير في خلق النار على ما هي عليه فإنه لم يكن يصلح أن تكون مبثوثة كالنسيم والماء، إذ كانت تحرق العالم بما فيه، ولم يكن بد من ظهورها في الأحايين لعنايتها في كثير من المصالح، فجعلت كالمخزونة في الأجسام الحافظة لها تستبعث عند الحاجة إليها، فتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها ثم تخبو فلا هي تمسك أبدًا بالمادة والحطب فتعظم المؤنة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة في العالم فتحرق كل ما هي عليه، بل هي على هيئة وتقدير اجتمع فيه الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها».

هكذا يستمر الكتاب في سرد رائع للعديد من الملاحظات الدقيقة التي تابعها الجاحظ واكتشف فيها تدبير الله تعالى للكون على أفضل وأروع ما يكون التدبير، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى الإشارة إلى أن العقل السليم والفكر المنظم لا يستطيع أن يفهم الكون ويتواصل معه تواصلًا سليمًا وواعيًا إلا من خلال الإيمان بوجود الله تعالى خالق الأشياء وموجدها وواجب الوجود الذي لا وجود لموجود بغير إرادته.

وطار المشعل

آدم حاتم آدم

وقف الناس في ترقب يشاهدون الموقف بفزع شديد، فقد سقط حامل المشعل أرضًا وطار الضوء إلى الأعلى، وهو مصدر النور الوحيد الذي على هداه تسير القافلة، ولو سقط أرضًا فإنه سينطفئ حتمًا، وتعود القافلة من جديد إلى الضياع.

المشعل يقترب من الأرض، وأعصاب القافلة تحترق.. صرخ أحد العجائز في شاب فتي إلى جواره: اذهب والتقطه.. قفز الشاب إلى الأعلى ومد يديه إلى الأعلى أكثر، وبأمان تام أنجزت المهمة، فلقد استقر المشعل بين يديه كأنما ما طار إلا ليقع فيها.

نزل الفتى أرضًا والتفت يبحث عن إنسان يحمل المشعل ليواصل المسير، لكنه فوجئ بأن الجميع وقفوا ينظرون إليه بأمل بالغ، ووجد أنه قد أصبح في المقدمة وأن عليه المسير.

برفق شديد.. دفعته يد من الخلف وقال صاحبها: توكل على الله، وفوجئ بأنه على إثر الخطوة التى خطاها إلى الأمام تحركت القافلة كلها إلى الأمام.. أزعجه الأمر كثيرًا، فهو يحب أن يمشي كيفما اتفق، ولا يحب أن يتقيد بطريق.. وهو يدرك الآن جيدًا أنه لم يعد يملك الخيار، فليس أمامه سوى هذا الطريق.. وابتدأ المسير.

في البداية كان مترددًا، يقدم قدمًا ثم يسحبها.. رأى الفزع في عيني أم تحمل على ذراعها طفلا صغيرًا، وكأن الخوف في عينيها يرجوه أن يحافظ على مستقبل هذا الصغير، لكنه حسم أمره.. وتحرك بثبات.

وعندما شعر بشيء من الثقة، بدأت خطواته تتسارع- فهو شاب قوي قادر على قطع الطريق بسرعة- لكنه انتبه أنه بات يبتعد عن القافلة سريعًا، فبعضهم ضعاف لا يقوى على المسير.. عندها تحامل على نفسه وسار برؤية من أجل الضعفاء.

وفي أثناء المسير مرّت القافلة على مدق فرعي، وحدثته نفسه أن يستكشفه.. لكنه عدل سريعًا عن الفكرة، فالقافلة لا تستطيع أن تجرب الطريق ثم تصدم بأنه مسدود أو خاطئ، ومرة أخرى تحامل على رغبته وسار بالقافلة في الطريق.

وعلى الطريق سار يدندن مع نفسه بكلمات مما حفظ وهو صغير، لكنه فوجئ بأن دندنته صارت أنشودة تتغنى بها القافلة من ورائه، وصارت حداءً يدعوها إلى المسير، تعقد الأمر عندما وخزته شوكة في قدمه وأراد أن يصرخ.. لكنه تذكر أن صرخته قد تغدو أغنية للجمع الذي سار على آثار شعلته.. واعتصر ألمه من جديد وسار مبتسمًا لا يشكو ولا يتوجع.

ومع قوته وشدة جسده إلا أنه لاحظ أن السير بالقافلة، وتحمل تبعات الإمساك بالمشعل قد أرهقته، ومع ذلك هو لا يملك أن يرتاح ولا أن يجلس لبعض الوقت.. فالمشعل قد ينفد قبل بلوغ المدينة.. لكن آلامه تشتد- وهو لا يصرخ- وقد زادت المشقة كثيرًا- ولا يملك أن يرتاح- لكنه قرر أن يستمر في السير حتى تنفد كل قواه، وسار.. وسار الناس من خلفه، وانحنى منه الظهر، وتعبت منه الأرجل، لكنه استمر حتى شعر بأن لحظته الأخيرة قد حانت، عندها صاح بآخر رمق فيه: «أن تحمل المشعل يعني أنك لا تستطيع أن تكون كما تريد»، ثم سقط أرضًا.. وطار المشعل إلى الأعلى.. ووقفت القافلة تترقب

طالب بالسنة الخامسة- كلية طب الأزهر

نزار قباني في مدح الرسول ﷺ

عبدالهادي الصافي
ناقد أدبي

هل يعقل أن نجد قصيدة للشاعر نزار قباني يمدح فيها الرسول ﷺ ويختم بها حياته الشعرية المليئة بذكر النساء والتغزل بهن؟! وهناك بعض الشعراء في تاريخ الأدب العربي كانت لهم بعض الوقفات الدينية، وأشعار تعبر عن وجدانهم في لحظات مراجعة النفس، تصور إحساسهم العميق بالدين، ومنهم على سبيل المثال أبونواس، الشاعر الماجن الذي امتلأ شعره بالشك والعبث والمجون، ومع ذلك نجد له أشعارًا في منتهى التدين والزهد والاعتذار عما ارتكب من معاصٍ وآثام.

هذا الشعر.. شعر الاعتذار والاستعطاف الديني نجده في شعرنا القديم، وهو شائع في الأدب العربي، وعلى رأس هؤلاء الشعراء يأتي كعب بن زهير الذي قال بعدما أهدر الرسول ﷺ دمه قصيدة رائعة يستعطفه فيها ويرجوه العفو عنه فقال يمدحه:

إن الرسول لنورٌ يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلولُ

ثم جاء البوصيري وقد هده المرض، فرأى الرسول ﷺ في منامه يلقي عليه بردته، وعندما استيقظ من منامه رأى نفسه معافى، فقال قصيدة البردة المشهورة:

أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم
مزجت دمعًا جرى من مقلةٍ بدم
أم هبتُ الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وبعد البوصيري جاء أحمد شوقي فقال في مدح الرسول ﷺ نهج البردة، جرى فيها على وزن قصيدة البوصيري وقافيتها:

ريمُ على القاع بين البانِ والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحُرمِ

ثم قال همزيته الشهيرة:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماءً ما طاولتها سماءُ

ولكن نزار قباني لم يبدأ قصيدته كما بدأها البوصيري وشوقي، عند مدحه الرسول ﷺ، في الوقوف على الأماكن الخالية والتغزل بأهلها وذكر الهوى والغرام.. لكنه بدأها على نحو مغاير وأسلوب مختلف، فما كان لنزار أن يقلد أحدًا من الشعراء قبله، لأن له منهجًا خاصًا في كتابة الشعر وطريقة معينة في ولوجه.

وبما أن نزار كان له ماضٍ في الشعر والأدب، أراد أن يعبر عن هذا الشعور وعن الحالة التي كان عليها عندما زار المدينة، ووقف على قبر الرسول ﷺ، فأعلن أن الوصول إليه كان صعبًا والورود إلى حوض المصطفى كان عزيزًا، وأن الجميع قد وردوا المنهل العذب، وتزودوا من معين الصفو، ونالوا الرضا، وبقي

هو مؤرقًا مطرودًا عن نبع السنى يعاني قسوة الحرمان:

عـزّ الـــورودُ.. وطـال فيـك أوامُ
وأرقـــتُ وحـدي والأنـــامُ نيـامُ

ولا نـدري على أي حـال السبب الذي منعه من زيارة الرسول ﷺ، لكنه يشير إلى ذلك إشارة واضحة في هذه الأبيات:

وردَ الجميعُ ومن سناك تزودوا
وطُـردْتُ عن نبع السنى وأقاموا
ومنعتُ حتى أن أحـومَ ولم أكدْ
وتقطعتْ نفسي عليك وحاموا
قصدوك وامتدحوا ودوني أغلقت
أبـواب مـدحك والحـروف عقامُ

وليس من شـرط هـذا البحث أن نرصد الناحية الفنية في هذه القصيدة التي لا نعرف غيرها لنزار، وقد تفاجأت عندما أعطيت لي، وقد استخرجتها وقرأتها وأنا بين شاك ومصدق، ولكن عندما قرأتها عرفت أنها من شعر نزار الذي لايخطئه أحد. وكنت قد درست بإسهاب شعر نـزار السياسي، وكانت تمـر بي بعض الأبيـات التـي تنم عن شعور ديني غامض أو نحوه من تقدير واعـتـزاز بالماضي الإسـلامـي المجيد، وذكر للمدن والعواصم الإسلامية التي لها دور كبير في التـاريخ الإسـلامـي، وتوظيف للشخصيات الإسلامية مثل خالد بن الوليد وصلاح الدين وطارق بن زياد، ووقوف عند المدن الإسلامية القديمة مثل القدس وغرناطة وقرطبة والحضارة الإسلامية وقصر الحمراء في الأندلس، وتحسر دائم في شعره على ضياع الأندلس والقدس والحضارة العربية الإسلامية.

قصيدة نـزار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أشبه بالإعتذار عن خطاياه

والمآساة التي تعرضها هذه القصيدة هي قضية «الطرد والمنع والإغلاق» من دون وصول الشاعر إلى المدينة المنورة، واعتباره مارقًا عن الدين، خارجًا عن المِلّة، وهذه المأساة لاشك واضحة في الأبيات التي عرضتها من قبل (عز الورود- وردَ الجمعُ- طُردْتَ عن نبع السنى ومنعت حتى أن أحوم - قصدوك وامتدحوا ودوني أغلقت أبواب مدحك)، وبعدالحديث عن هذه المعاناة القاسية والتجربة المريرة التي مر بها نزار يمكن أن نتحدث عن القصيدة من خلال محاور عدة أهمها:

١- الاعتراف بالذنب والاعتذار عن الخطايا:

فالشاعر في هذا المحور يعترف بذنوبه الكثيرة التي كبلت مكانته الشعرية، وأفقدته القدرة على قول الشعر وهو الذي ملك صهوته:

وزري يكبلني ويخرسني الأسى
فيموت في طرف اللسان كلامُ
أدنو فأذكر ما جنيتُ فأنثني
خجلاً تضيق بحملِيَ الأقدامُ

كان يعيش في الحضيض، وفي مستنقع الرذائل، والآن يريد أن يتخلص من آثامه وأوزاره، ويريد أن يتخلص من ماضٍ قديم غير جميل ولا مرضٍ ولكن هيهات إن المقام سام جدا لا يستطيع أن يطوله أو يصل إليه:

أمن الحضيض أريد لمسًا للذرى
جـلّ المـقـامُ فـلا يـطـالُ مـقـامُ
أرجو الوصول قليل عمري غابة
أشـواكـهـا الأوزار والآلامُ
أأعـود ظـمـآنًا وغـيـري يـرتـوي
أيـرد عـن حـوض الـنـبـي هـيـامُ
كيف الدخول إلى رحاب المصطفى
والنفس حيرى والذنوب جسامُ

٢- تصوير وقوفه أمام قبر الرسول ﷺ:

وهو في هذه الأبيات التي تصور حالة الانبهار والحيرة التي اعترته وتعتري كل من يقف أمام المقام الشريف، قد أحسن التصوير وأجاد الوصف.. وصف الحيرة والتـمـزق والبـكـاء وتـدفـق الإحـسـاس والإلهام:

ودنـوت مـذهـولًا أسـيـرًا لا أرى
حـيـران يلجمُ شـعـري الإحـجـامُ
وتمـزقَـتْ نفسي كطفل حائر
قـد عـاقـه عـمّـنْ يـحـبُّ زحـامُ
حتى وقفت أمام قبرك باكيًا
فـتـدفـق الإحـسـاسُ والإلـهـامُ

ولاشك أن هذا الإحساس يعتري كل واحد يزور قبر الرسول ﷺ ولا يتمالك نفسه من الذهول والحيرة ولا ينفك عن البكاء.

ومهما حاولت أن أكتب عن هذا الشعور بالتمزق وبالطفولية الحائرة أمام ناشر النور والإيمان عليه الصلاة والسلام فخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الحق واليقين، أقول مهما أحاول تصوير هذا الشعور فلن أوفق لأنه فوق

لغة وأدب

كل وصف وتصوير.

٣- تصوير المشاهد التي تتراءى أمام زائر الرسول ﷺ:

هذه المشاهد تتراءى أمام كل من زار النبي ﷺ وهي صور من الماضي المجيد وتاريخ النبي وبطولاته، ونضاله المشرق أمام مشركي مكة، ونشر راية التوحيد والإيمان، التوحيد الخالص من كل شرك، وتحطيم الأصنام عندما دخل مكة فاتحًا، هذه الأصنام التي يعبدها المشركون وعرب الجزيرة العربية:

وتوالت الصور المضيئة كالرؤى
وطوى الفؤاد سكينةً وسلامُ
حوربْتَ لم تَخضعْ ولم تخش العدا
من يحمه الرحمنُ كيف يضامُ
وملأت هذا الكون نورًا فاختفت
صورُ الظلام وقوضَتْ أصنامُ

لقد لخص الشاعر تاريخ الرسول ﷺ وبطولاته في هذه الأبيات القليلة، وقد اعتمد أسلوب الإيجاز الذي يصور المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وقد كانت منه إشارات مضيئة إلى محاربة الرسول ﷺ من قبل الكفار، ولكنه لم يخش أحدًا

فمضى في حروبه وغزواته يدافع عن هذه الرسالة الخالدة، وقد ملأ هذا الكون بالنور والضياء وملأه بالحق والعدل ومحى الظلام وحطم الأصنام.

٤- تصوير حالة الأمة العربية والإسلامية:

وقد تضمنت الأبيات الأخيرة من القصيدة أروع ما في هذه القصيدة من تصوير حالة العرب والمسلمين وحالة الضياع الذي نعيشه والذل والهوان اللذين سيطرا علينا، والحزن والأسى اللذين نصبح ونمسي عليهما من شدة سواد الليل الحالك الذي يحيط بأمتنا، ومن كثرة الأهوال والمصائب، وكل ذلك- برأي نزار- سببه تعامي المسلمين عن سلوك الطريق الصحيح الذي يوصل إلى بر الأمان وشاطئ السلام.. يقول مخاطبا الرسول ﷺ:

الحزن يملأ يا حبيب جوارحي
فالمسلمون عن الطريق تعافوا
والذلّ خيّم فالنفوس كئيبةٌ
وعلى الكبار تطاول الأقزام
الحزنُ أصبح خبزَنا فمساؤنا
شجن وطعْمُ صباحنا أسقامُ
واليأس ألقى ظلّه بنفوسنا
فكأن وجه النّيرين ظلامُ
أنى اتجهْتَ ففي العيون غشاوة
وعلى القلوب من الظلام رُكامُ
الكرب أرقنا وسهّدَ ليلَنا
مَنْ مهدُهُ الأشواك كيف ينامُ

ويمضي الشاعر التائب في الاتجاه السياسي- كعادته- همّه الذاتي، وحزنه الشخصي، وآلامه الخاصة، كلها تتحول إلى هم عام يتصل بالأمة، فيسهب في الحديث عن العرب والمسلمين، فقد ضلّوا الطريق وأدلجوا في الظلمات، فعاشوا بين الأمم كالأغنام، سُلبَ حقهم، وسُرقَتْ أرضهم، وضاعت أحلامهم:

يا طيبة الخيرات ذلّ المسلمون
ولا مجيرَ وضُيعت أحلامُ
يَغْضونَ إن سلب الغريبُ ديارهمْ
وعلى القريب شذى التراب حرامُ
باتوا أسارى حيرة وتمزقًا
فكأنهم بين الورى أغنام
ناموا فنامَ الذلُّ فوق جفونهم
لا غَرْوَ ضاعَ الحزمُ والإقدامُ

ثم يختم قصيدته بأحسن ختام وأروعه، كما أحسن مطلعها متوجهًا إلى النبي ﷺ بقلب يفيض حزنًا ولوعة، يطلب منه دعوة لهذه الأمة الحيرى الغافلة لعلها تستيقظ من سباتها وغفلتها فتنهض من جديد:

يا هادي الثقلين هلْ مِنْ دعوة
تُدْعى بها يستيقظ النوّامُ

لاشك- عندي- أن القصيدة فريدة نادرة، لذلك أحببت أن تنشر في مجلتنا الغراء، لأنها تنشر كل رائع مفيد عليه طابع الدين والإسلام، وأعتقد أن القصيدة يتيمة بين الدرر، ولو أننا ظفرنا بمثلها لكان لنا في شعر نزار الوجداني ما نستطيع أن نجمعه وندرسه ونحلله تحليلا موضوعيا، ولكن الشعر يقاس بالكيف لا بالكم، لا يُقيم بعدد القصائد ولكن يوزن بقيمته وقدرته على التصوير، وأكاد أجزم أن نزاراً قدغطى على أكثر عيوبه وأحسن ختام حياته بهذه القصيدة في مدح الرسول ﷺ والثناء عليه والاعتذار عن خطاياه واعترافه بأن المسلمين قد تعاموا عن الطريق، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأهيب بالباحثين أن يفتشوا عن أمثالها، لتنضم إلى هذه الفريدة فيكون لنا من شعر نزار قباني قصائد إسلامية بمعنى الكلمة، كما كان للشاعر عمر أبوريشة وغيره من شعراء العربية.

الصدق والأقنعة السراب

يس الفيل

الناس في الدنيا.. وإن ملكوا المدى
بسواك أنت.. جميع ما ملكوا سدى
هم يحسبون حمى الديانة ساحة
للأدعياء، بها يسود من اعتدى
لم يدركوا أن اليقين على المدى
لمن استقام خطى.. وبالسلف اقتدى
وأقام فوق الأرض ألف مظلة
للأنقياء.. تظل إن عصف الردى
وامتد في الزمن المناوئ فرحة
تهب الوجود الحب يزخر بالندى
لم يدركوا.. يا ليت أن من ادعى
منهم.. يرى ما قد يحيق به غدا
صلف الغرور.. إذا احتمى بخداعه
في الأرض.. جاهر بالعداء.. وعربدا
أن يدعى ما ليس يؤمن مدع
فهو التحدي.. يستفز من اهتدى
للشرك وجه نزدريه.. ومنطق
بالصدق نكشفه.. تنكر.. أم بدا
والادعاء بألف وجه.. يعتلي
قمما.. ويهبط.. ليس يعدم موردًا
إبليس حاوره.. وشد وثاقه
وبه كبا.. وعن الفضائل أبعدا
يا كل أقنعة الخداع تمهلي
شطحاتك الحمقى.. تجاوزت المدى
رفقًا بنا.. وبما يؤكد أننا
أملٌ أطل.. ولن يحيد عن الهدى

الناس في زمني.. بهم لعب الهوى
منذ استباحهم ادعاء ألحدا
والقابضون على اليقين.. تدافعوا
مهجًا.. تحاول أن تكون له الفدا
لكنما كُتلُ الظلام ترده
أشلاء زحف، لا تحقق مقصدا
أترى تمردهم أطار صوابهم
وأضلهم فغدا الجهاد بهم سدى؟
أم أنهم ألفوا بلاهة موقف
شطر القوى.. وعلى الضعاف تمردا
أنا لستُ أمتلك الجواب.. وإن أكن
- خلف الغيوم- أرى المصير تلبدا
مرض المحبة في الحياة أصابنا
وأصاب ما ترك الأباة من الصدى
فمتى نفيق؟ وكيف ننهض.. والهوى
حمل الشراع إلى النعاس فأخلدا؟
عذرا إلهي.. إن تمرد منطقي
وهو المؤمل، جاء يلتمس الهدى
ذبحي بنصل الأدعياء شهادة
أن الذي تحييه.. يعصف بالردى
ويقين أعماقي.. بعدلك يزدري
شهوات نفس.. لا يحيط بها مدى
لكن قتل الأبرياء سماجة
باسم التدين- قد يثير من اهتدى
أقدارنا بيديك أنت، وخوفنا
مما تخبئ .. ليس يخلف موعدا
لكننا بشر.. وتلك حياتنا
صال الدعي بها، وساد من اعتدى

شاعر مصري

شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ

د. يعقوب الغنيم

على عكس ما كان متوقعا فإن الشعر لم يخبُ على عهد رسول الله ﷺ، فكثر عدد الشعراء وكلهم كانوا من أصحاب الرسول الكريم المحيطين به المصدقين برسالته. وكان هؤلاء يقومون بمهمة كبيرة في سبيل الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الدين الحنيف، ويردون بأعنف الردود على الشعراء المناوئين، وهؤلاء ان شاء الله مستثنون من وصف بعض الشعراء الوارد في الآية الكريمة التي تقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ فقد منَّ الله على الشعراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن الصادقين الصالحين من الشعراء فقال عز وجل: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾(الشعراء: ٢٢٤ -٢٢٧).

وجدت أن رجال هذا العهد الشريف من الشعراء يستحقون الذكر، وإن كان لبعضهم دواوين مطبوعة وأخرى مخطوطة، وجرى ذكر عدد منهم في أمهات كتب التاريخ والأدب، إلا أن جمعهم والحديث عنهم في موقع واحد قد يكون مفيدًا، وهذا ما أفعله الآن، وقد اخترت من هؤلاء اثني عشر شاعرا لأعرض كل ما وجدته عنهم على أن يكون لكل واحد منهم مقال منفرد، وسوف أبدأ برجل بارز من هؤلاء الشعراء هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت.

حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الشاعر الذي كان له دور في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن الدين الإسلامي الحنيف، وكانت لشعره مكانة، وله قيمة فنية بحيث كان مؤثرًا، وكانت ردوده بليغة مسكتة أصابت الشعراء الذين تجرأوا فهجوا رسول الله ﷺ ولكنهم اصطدموا بشاعر فحل يرد عليهم، ويذكر كثيرًا من مثالب أولئك الذين هم من ورائهم، وما يذكر أنه بعد اشتداد الهجاء من قبل قريش وشعرائها دعا الرسول الكريم حسان بن ثابت وأمره بالرد عليهم قائلا: اهجهم وائت أبا بكر يخبرك بمثالبهم، وكان أبوبكر رضي الله عنه من أعلم الناس بقريش، فقام حسان بدوره كاملا وقد قيل إن رسول الله ﷺ قال له: اهجهم وجبريل معك، وقيل: اهجهم وروح القدس يؤيدك.

ومما يدل على درايته بالمثالب، ومعرفته بطرق الدخول إلى هجاء القوم دون أن يكون لذلك أثر على مكانة من يستحق منهم الإجلال والتوقير، وخاصة أن فيهم من هو من أقارب رسول الله ﷺ، ومما يدل على أنه أخذ هذه الدراية من سيدنا أبي بكر الصديق - وفقا للاشارة النبوية التي جاءته- ما جاء في ديوانه من أنه هجا أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، لأنه كان في الصف المعادي للإسلام، وجاء الهجاء في سبعة أبيات، ذمه فيها وامتدح القوم، ولم يحد عن الحد المرسوم، ولقد قال أبوسفيان يومئذ: «هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة» يقصد بذلك الصديق، وهذا يدل على تمكن الشاعر، ومعرفة المعلم، وعلى دراية أولئك الذين يوجه إليهم القول بفنون الشعر، ومنابعه.

ذكر محمد بن سلام الجمحي هذا الشاعر ضمن شعراء القرى العربية، وكانت المدينة أكثر انتاجا للشعر والشعراء وكان فيها عدد من الفحول منهم حسان بن ثابت وهو ابرزهم وكان خزرجيا من بني النجار.

يقول ابن سلام: ومن شعره الرائع، الجيد، ما مدح به بني حفنة من غسان ملوك الشام:

لله درّ عصابة نادمتهم
يوماً بجِلّقَ في الزمان الأولِ
يسقون من ورد البريص عليهم
بَرَدى يصفّق بالرحيق السلسلِ
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبلِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهمُ
قبر ابن مارية الكريم المفضلِ

وذكر نماذج من قصائد أخرى ليس هذا مكان عرضها.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هذا الشاعر الذي امتدح أولاد جفنة بما سبق أن نقلناه عنه، ظل متذكرًا لعهدهم حتى اخر عمره، ومما ذكر من بر آل جفنة بحسان ما جرى من جبلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم وكان مقيما عند الروم بعد

وزير التربية الأسبق في دولة الكويت

أن ارتد في حادث معروف في التاريخ على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان عمر قد أرسل إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وكان المرسل هو جثامة بن مساحق الكناني، فعرض عليه هرقل أن يلقى جبلة، وقد حكى جثامة الكثير عن مجلس ابن الأيهم وما فيه من البذخ، وقد جاء اسم حسان بن ثابت على لسانه، فقال جثامة: أما إنه لمضرور البصر كبير السن، فقدم له جبلة خمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج، وقال: ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام.

وعاد الرسول إلى عمر بن الخطاب وحدثه عن كل ما شاهد وأبلغه بهدية جبلة لحسان بن ثابت، ودعي الشاعر لاستلام هذه الهدية، وهنا سأل حامل الهدية قائلا: ماذا قال لك؟

قال: قال إن وجدته حيا فادفعها إليه، وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره، وابتع بهذه الدنانير بُدنا فانحرها على قبره، فقال حسان: ليتك وجدتني ميتا ففعلت ذلك بي.

وقد شهد له بالفحولة الشعرية عدد من النقاد القدماء ومن الشعراء، وقد ذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى أن هذا الشاعر قد فاق الشعراء في زمنه، وقال عمرو بن العلاء: «حسان أشعر أهل الحضر»، وقال أبو الفرج الأصفهاني: «حسان فحل من فحول الشعراء»، وقال الأصمعي مثل ذلك، وقد تحدث بعضهم أن شعر حسان قبل الإسلام كان أفضل ولكنه ضعف بعد ذلك، ولكن دراسة شعره الذي قاله في هذه الفترة تبين عكس ما قيل فقصائده التي امتدح فيها الرسول الكريم شاهدة على ذلك.

طرق حسان بن ثابت كل أغراض الشعر فقال في الغزل وفي الفخر والحماسة والمدح والهجاء، وتوفي في سنة خمسين للهجرة التي توافق سنة سبعين وستمائة للميلاد.

ولد حسان في سنة ٥٤٠م ونشأ في المدينة المنورة، وشهد حروب الاوس والخزرج في الجاهلية، كما شهد الوقائع في الإسلام، ولما كان يخاف الحروب فقد كان سلاحه هو شعره، وكان فيه كافيا أشد الكفاية، ولقد صار شعره فيما بعد سجلا للاحداث منذ هجرة الرسول الكريم حتى الايام الاخيرة من حياته، حيث توقف عن قول الشعر لأنه بلغ من الكبر عتيا، وضعف فلم يعد في أحسن حالاته.

وكان إسلام حسان متقدما، ومن الأدلة على ذلك قصيدته الهمزية الشهيرة التي أنشدها قبل فتح مكة يدافع بها عن رسول الله ﷺ، وهي قصيدة طويلة مطلعها قوله:

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

وعندما اجتاز في قصيدته مرحلة وصف الديار كما هو جاري عادة الشعراء الأولين وصف الخيل وهي تتقدم إلى مكة في ذلك العام المهم من الأعوام التي مرت برسول الله ﷺ وصحبه، وهو يوجه حديثه إلى أهل مكة قائلا:

عدمنا خيلنا، إنْ لَم تروها
تثيرُ النقعَ، موعدها كداءُ
يبارينَ الأسنةَ مصعدات
عَلى أكتافها الأسلُ الظماءُ

ثم يقول لهم:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكانَ الفتحُ، وانكشفَ الغطاءُ
وإلا، فاصبروا لجلاد يوم
يعزُّ اللهُ فيهِ مَنْ يشاءُ

ومما قاله حسان بن ثابت في مدح رسول الله ﷺ:

وأحسنُ منك لم ترقط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خُلقت كما تشاء

ومن ذلك أيضا قوله:

أغرّ عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وكانت له في مدح رسول الله ﷺ وذكر أعماله وغزواته قصائد أخرى كثيرة، حتى إذا أرادت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تصف النبي الكريم قالت: كان والله كما قال فيه حسان:

متى يبدُ في الداجي البهيم جبينه
يلُحْ مثل مصابيح الدجى المتوقد
فمن كان، أو من قد يكون كأحمد
نظام لحق، أو نكال لملحد

وعندما توفي رسولنا الكريم كان لذلك الحدث الجلل وقع الصاعقة على نفوس المسلمين جميعا، ولكننا وجدنا حسان بن ثابت يستقبل هذا الأمر بكل مشاعره التي جعلته يضطرب كثيرًا، ويبادر إلى انشاد عدد من القصائد في رثائه ﷺ، وعلى الرغم من أنه أكثر من ذلك، فإنه لم يستطع يوم الدفن إلا قول بيت واحد هو:

ألا دفنتم رسول الله في سفط
من الألوة والكافور منضود

وإلى جانب ذلك فإنه اهتم برثاء عدد من قادة الإسلام فقد رثى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وحمزة بن عبدالمطلب، وذكر يوم أحد وكثيراً من المواقع التي شهدها أو حضر زمنها، وهجا المشركين والمنافقين وامتدح الصالحين في عصره، وبالجملة فقد كان بحق شاعر رسول الله ﷺ، وكان شاعر الإسلام المنافح عنه المجابه لأعدائه.

رضي الله عنه بقدر ما قدم، وبقدر ما نراه له في سيرته النيرة من عمل كريم.

موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب

التحرير

اسم الكتاب: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب

المؤلف: العلامة محمد الخضر حسين

المحقق: علي رضا الحسيني

إصدار: مجلة «الوعي الإسلامي»

الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

عدد الأجزاء: ١٥ مجلدًا.

يحدثنا لسانُ التاريخ الإسلامي المعاصر- وهو صادقٌ أمين فيما يتحدّث به- أنّ الإمامَ محمد الخضر حسين عَلَمٌ من أعلام الإسلام، عمل فأجاد وأفاد، وجاهد فانتصر، وغرس فحصد، وأنتج فيضًا زاخرًا مباركًا من العلوم التي ضَمّتها هذه الموسوعة، المسماة بـ: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب.

وقد نَهَجَت الموسوعاتُ العلميةُ الكُبرى أن تذكر في مطالعها لمحات عن المؤلِّف، والمؤلَّف، والمحتوى، وهو منهاجٌ حسن، ومن هذا المنطلق، وخدمة للمكتبة الإسلامية، والسعي المخلص لإثرائها بالكتب القيّمة للإمام محمد الخضر حسين التي تُطبع لأول مرة في موسوعة منسّقة، مرتبة، أنيقة، حوت أعمالَه الكاملة التي وصل إليها التحقيقُ والبحث حتى اليوم.

ويَسُرُّ مجلة «الوعي الإسلامي» بوزارة الأوقاف الكويتية، أن تبتهج بهذا الإنجاز العلميّ المُشرِق الذي طالما تطلّع إليه المغربُ الإسلامي مع المشرق الإسلامي، وبعد طول انتظار وترقّب وإلحاح من المؤسسات الفكرية والعلمية، سواء الدينية منها أو الأدبية، ومن قِبَل الأفراد والجماعات الذين يهتمّون بعظماء أُمَمهم، ويفاخرون ويباهون في الحديث عنهم بنواديهم ومجالسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، ووسائل إعلامهم.

هذه الموسوعة التي يجد فيها الباحث والدارس وطالبُ المعرفة والقارئ طِلبَته ومُبتغاه في كلّ علم من العلوم التي أتاها الإمام من أبوابها الواسعة، فهو البحر لا تكدره الدلاء، يصدر عنه السابح مُندهشا بعُبابه وسعته!!

وإذا رغبنا في هذا العرض أن نقدّم ترجمة لحياته، وجدنا أنفسنا أمام بحر لا ساحلَ له، ولا ندري من أين نغوص؟ وكيف نلتقط الدّرر؟ ولاحتاجَ الأمرُ منّا إلى كتابة أسفار ومجلدات.

كيف نقدمه، وماذا ندوّن من صفاته، ونسطّر من أعماله، ونقدّم جواهر كتبه وآثاره؟

ونتساءل: هل تفي هذه المقدمة في تصوير المشهد الذي نَنْشُد تبيانه في مطلع هذه الموسوعة؟ كلا.

إنه طراز نادر من العلماء المجاهدين، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وإنه من عظماء الإسلام، كلما كتبتَ عنهم، وخُضْتَ في سيرتهم، وعرضتَ مآثرهم وآثارهم، وأسعدتَ البصائر والعقول والقلوب ببحوثهم وآرائهم ودراستهم، قال لك القلم: هل من مزيد؟

إن أطلقتَ عليه صفةَ: المفسر، المحدّث، الزيتوني، القاضي، المجاهد، الخطيب،

المحاضر، المصلح، اللغوي، الرحالة، الأديب، الشاعر، الناقض والناقد، وإمام مشيخة الأزهر، وجدتَ كلّ وصف من هذه الأوصاف العلمية ملازمًا له حقًّا وصدقًا، وقد أنصفتَ فيما وصفت، لاسيما بعد أن تطالع آثارَه العلمية كافة.

لا نكتب هذا من باب الإنشاء والمبالغة في البلاغة والبيان، وتزيين المقدمة بكلمات تثير كوامن الإنسان، إنما ندع القارئ وجهًا لوجه أمام هذه المواهب المتعددة التي وضعها الله سبحانه وتعالى فيه؛ ليستخلص منها المنزلة التي وصل إليها هذا الإمام العَلَم.

أجمع معاصروه وتلامذته ودارسوه من بَعْده على تقواه وصلاحه، وغزارة علمه ومعارفه، ومكارم أخلاقه، وطهارة سريرته، وأنه وَقف حياته بليلها ونهارها لخدمة الإسلام، ويدلنا على هذا الأمر: إنتاجه الغزير، وعطاؤه الوفير، وسيرته العطرة، وهذه التآليف المتعددة في اختصاصها وفنونها، وصدقها وأمانتها.

صرف اهتمامه إلى علوم الشريعة واللغة والأدب، فاعتنى بالتفسير والحديث والفتاوى والأحكام، وتحدث عن أبطال الإسلام، وترجم لهم، وفي المقدمة: سيرةُ المصطفى ﷺ، وسيرة السلف الصالح.

اتخذ القرآنَ الكريم إمامًا، والسنة النبوية قدوة، وفي هذا السبيل كانت رحلة حياته المباركة.

اتخذ من الآية الكريمة: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة: ١٥. ١٦) سبيلَه وطريقَه المستقيم طوالَ عمره.

وجد في الكتاب المبين دُستورًا حكيمًا عادلًا للناس كافة، إذا اتبعوه، سلموا في الدنيا والآخرة، وإن تركوه، خسروا الحياتين.

ووجد في النور المحمديّ الذي سرى ضياؤه في الشرق والغرب، وأنقذ العالم

طراز نادر من العلماء المجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

من ظلمات الشرك والجهالة والفوضى إلى نور الإيمان والعلم والنظام، المثل الأعلى للهدى والهداية، والرشد والإرشاد.

ترى الإمام محمد الخضر حسين وضع نُصْبَ عينيه هاتين النعمتين العظيمتين، اللتين منّ الله بهما على عباده: القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ، وعلى هديهما توكّل على الله في رحلة الإيمان، بدءًا من مدينة «نَفْطَة» مكان ولادته، وانتهاءً بالقاهرة، وإمامته مشيخة الأزهر، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

المولد والنشأة

ولد بمدينة نَفْطَة التونسية في (٢٦ رجب ١٢٩٣هـ= ١٦ أغسطس ١٨٧٦م)، ونشأ في أسرة كريمة تعتز بعراقة النسب وكرم الأصل، وتفخر بمن أنجبت من العلماء والأدباء، وفي هذا الجو المعبق بأريج العلم نشأ «الخضر حسين»؛ فحفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وشدا شيئًا من الأدب والعلوم الشرعية، ثم انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة سنة (١٣٠٥هـ= ١٨٨٧م) وهو في الثانية عشرة من عمره، والتحق بجامع الزيتونة، وأكبّ على التحصيل والتلقّي، وكانت الدراسة فيه صورة مصغرة من التعليم في الجامع الأزهر في ذلك الوقت، تُقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقيدة، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان، وكان من أبرز شيوخه الذين اتصل بهم وتتلمذ لهم: عمر بن الشيخ، ومحمد النجار، وكانا يدرّسان تفسير القرآن الكريم، والشيخ سالم بوحاجب وكان يدرس صحيح البخاري، وقد تأثر به الخضر الحسين وبطريقته في التدريس.

بعد التخرج

تخرج محمد الخضر الحسين في الزيتونة، غزير العلم، واسع الأفق، فصيح العبارة، محبًّا للإصلاح، فأنشأ مجلة «السعادة العظمى» سنة (١٣٢١هـ= ١٩٠٢م) لتنشر محاسن الإسلام، وترشد الناس إلى مبادئه وشرائعه، وتوقظ الغافلين من أبناء أمته، وتفضح أساليب الاستعمار، وقد لفت الأنظار إليه بحماسه المتقد ونظراته الصائبة، فعُهد إليه بقضاء «بَنْزَرْتْ»، والخطابة بجامعها الكبير سنة (١٣٢٤هـ= ١٩٠٥م)، لكنه لم يمكث في منصبه طويلًا، وعاد إلى التدريس بجامع الزيتونة وتولى تنظيم خزائن كتبه، ثم اختير للتدريس بالمدرسة الصادقية وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس، وقام بنشاط واسع في إلقاء المحاضرات التي تستنهض الهمم، وتنير العقول وتثير الوجدان، وأحدثت هذه المحاضرات صدى واسعًا في تونس.

ولما قامت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وإيطاليا، وقف الخضر حسين قلمه ولسانه إلى جانب دولة الخلافة، ودعا الناس إلى عونها ومساندتها، وحين حاولت الحكومة ضمه إلى العمل في محكمة فرنسية رفض الاشتراك فيها، وبدأ الاستعمار الفرنسي يضيّق عليه ويتهمه ببث روح العداء له؛ فاضطر الشيخ محمد الخضر الحسين إلى مغادرة البلاد سنة (١٣٢٩هـ= ١٩١٠م) واتجه إلى إستانبول.

بين إستانبول ودمشق

بدأ الخضر حسين رحلته بزيارة مصر وهو في طريقه إلى دمشق، ثم سافر إلى إستانبول ولم يمكث بها طويلًا، فعاد إلى بلاده ظانًّا أن الأمور قد هدأت بها، لكنه أصيب بخيبة أمل وقرّر الهجرة مرة ثانية، واختار دمشق وطنًا له، وعُيّن بها مدرسًا للغة العربية في المدرسة السلطانية سنة (١٣٣١هـ=١٩١٢م)، ثم سافر إلى إستانبول،

واتصل بأنور باشا وزير الحربية، فاختاره محررًا عربيًّا بالوزارة، ثم بعثه إلى برلين في مهمة رسمية، فقضى بها تسعة أشهر، وعاد إلى العاصمة العثمانية، فاستقر بها فترة قصيرة لم ترقه الحياة فيها، فعاد إلى دمشق.

وفي أثناء إقامته تعرّض لنقمة الطاغية «أحمد جمال باشا» حاكم الشام، فاعتقل سنة (١٣٣٤هـ= ١٩١٥م)، وبعد الإفراج عنه عاد إلى إستانبول، وما كاد يستقر بها حتى أوفده أنور باشا مرة أخرى إلى ألمانيا سنة (١٣٣٥هـ= ١٩١٦م)، والتقى هناك بزعماء الحركات الإسلامية من أمثال: عبدالعزيز جاويش، وعبدالحميد سعيد، وأحمد فؤاد، ثم عاد إلى إستانبول، ومنها إلى دمشق حيث عاد إلى التدريس بالمدرسة السلطانية، ودرّس لطلبته كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام النحوي المعروف، حتى إذا تعرضت الشام للاحتلال الفرنسي، اضطر الخضر الحسين إلى مغادرة دمشق والتوجه صوب القاهرة.

الاستقرار في القاهرة

نزل محمد الخضر الحسين القاهرة سنة (١٣٣٩هـ= ١٩٢٠م)، واشتغل بالبحث وكتابة المقالات، ثم عمل محررًا بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، واتصل بأعلام النهضة الإسلامية في مصر وتوثقت علاقته بهم، ثم تجنّس المصرية، وتقدّم لامتحان شهادة العالمية بالأزهر، وعقدت له لجنة الامتحان برئاسة العلامة عبدالمجيد اللبان مع نخبة من علماء الأزهر الأفذاذ، وأبدى الطالب (الشيخ) من رسوخ القدم ما أدهش الممتحنين، وكانت اللجنة كلما تعمّقت في الأسئلة وجدت من الطالب عمقًا في الإجابة وغزارة في العلم، وقوة في الحجة، فمنحته اللجنة شهادة العالمية، وبلغ من إعجاب رئيس اللجنة بالطالب

اتخذ القرآن الكريم إمامًا والسنة النبوية قدوة وفي هذا السبيل كانت رحلة حياته المباركة

العالم أن قال: «هذا بحْر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حجاج».

معاركه الفكرية

شاء الله تعالى أن يَمتحن الحياة الفكرية بعاصفة عاتية أثارها كتابا: «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، و«في الشعر الجاهلي» لطه حسين، وكان الشيخ محمد الخضر حسين واحدًا ممن خاضوا هذه المعركة بالحجة القوية والاستدلال الواضح والعلم الغزير.

وقد نهض الشيخ محمد الخضر حسين لتفنيد دعاوى الكتاب فأصدر كتابه: «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» سنة (١٣٤٤هـ= ١٩٢٦م) تتبع فيه أبواب كتاب علي عبد الرازق، فكان يبدأ بتلخيص الباب، ثم يورد الفقرة التي تعبّر عن الفكرة موضوع النقد فيفندها، ونقد استخدام المؤلف للمصادر، وكشف أنه يقتطع الجمل من سياقها، فتؤدي المعنى الذي يقصده هو، لا المعنى الذي يريده المؤلف.

وقد كشف الخضر الحسين في هذا الكتاب عن علم غزير وإحاطة متمكنة بأصول الفقه وقواعد الحجاج وبصيرة نافذة بالتشريع الإسلامي، ومعرفة واسعة بالتاريخ الإسلامي ورجاله وحوادثه.

وأمّا الكتاب الآخر فقد ظهر سنة (١٣٤٥هـ= ١٩٢٧م)، وأحدث ضجة هائلة، فرد الشيخ محمد الخضر حسين عليه وألّف كتابا شافيا أسماه: «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» فنّد ما جاء فيه، وأقام الأدلة على أصالة الشعر الجاهلي، وكشف عن مجافاة طه حسين للحقّ، واعتماده على ما كتبه المستشرق الإنجليزي مرجليوث

مضامين الموسوعة

الجزء الأول: التفسير المسمى: أسرار التنزيل.
الجزء الثاني: بلاغة القرآن، دراسات في الشريعة الإسلامية.
الجزء الثالث: محمد رسول الله ﷺ، تراجم الرجال.
الجزء الرابع: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ومحاضرات إسلامية.
الجزء الخامس: رسائل الإصلاح، الدعوة إلى الإصلاح.
الجزء السادس: دراسات في العربية وتاريخها، دراسات في اللغة.
الجزء السابع: الخيال في الشعر العربي، ديوان خواطر الحياة.
الجزء الثامن: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، أسباب انتحال الشعر، الشعر والشعراء.
الجزء التاسع: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، القاديانية والبهائية.
الجزء العاشر: الهداية الإسلامية، أحاديث في رحاب الأزهر.
الجزء الحادي عشر: تونس وجامع الزيتونة، رسائل الخضر، الرحلات.
الجزء الثاني عشر: هدى ونور، السعادة العظمى، المغني عن الحفظ والكتاب.
الجزء الثالث عشر: الإرث الفكري للإمام الخضر حسين.
الجزء الرابع عشر: كتابات حول الإمام الخضر حسين.
الجزء الخامس عشر: ملتقى الإمام الخضر حسين في الجزائر، الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي بتونس.

دون أن يذكر ذلك.

في ميادين الإصلاح

اتجه الشيخ إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية، فاشترك مع جماعة من الغيورين على الإسلام سنة (١٣٤٦هـ= ١٩٢٨م) في إنشاء جمعية الشبان المسلمين، ووضع لائحتها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب، وقامت الجمعية بنشر مبادئ الإسلام والدفاع عن قيمه الخالصة، ومحاربة الإلحاد العلمي، ولا تزال هذه الجمعية بفروعها المختلفة تؤدي بعضا من رسالتها القديمة، وأنشأ أيضا «جمعية الهداية الإسلامية» وكان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا، وضمّت عددا من شيوخ الأزهر وشبابه وطائفة من المثقفين، وكوّن بها مكتبة كبيرة كانت مكتبته الخاصة نواة لها، وأصدر مجلة باسمها كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة والتاريخ، وإلى جانب هذا النشاط الوافر تولى رياسة تحرير مجلة نور الإسلام- الأزهر الآن- التي أصدرها الأزهر في (المحرم ١٣٤٩هـ= ١٩٣١م)، ودامت رئاسته لها ثلاثة أعوام، كما تولى رئاسة تحرير مجلة لواء الإسلام سنة (١٣٦٦هـ= ١٩٤٦م)، وتحمل إلى هذه الأعباء التدريس بكلية أصول الدين، فالتف حوله الطلاب، وأفادوا من علمه الغزير وثقافته الواسعة، وعندما أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٥٠هـ=١٩٣٢م) كان من الرعيل الأول الذين اختيروا لعضويته، كما اختير عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وأثرى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ببحوثه القيمة عن صحة الاستشهاد بالحديث النبوي، والمجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، وطرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.

مشيخة الأزهر

نال الشيخ عضوية جماعة كبار العلماء برسالته القيمة «القياس في اللغة العربية» سنة (١٣٧٠هـ= ١٩٥٠م)، ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخا للجامع الأزهر في (٢٦ ذي الحجة ١٣٧١هـ= ١٦ سبتمبر ١٩٥٢م)، وكان الاختيار مفاجئًا له فلم يكن يتوقعه أو ينتظره بعدما كبر في السن وضعفت صحته، لكن مشيئة الله أبت إلا أن تكرم أحد المناضلين في ميادين الإصلاح، حيث اعتلى أكبر منصب ديني في العالم الإسلامي.

وكان في ذهن الشيخ حين ولي المنصب الكبير وسائل لبعث النهضة في مؤسسة الأزهر، وبرامج للإصلاح، لكنه لم يتمكن من ذلك، ولم تساعده صحته على مغالبة العقبات، ثم لم يلبث أن قدم استقالته احتجاجًا على اندماج القضاء الشرعي في القضاء الأهلي، وكان من رأيه أن العكس هو الصحيح، فيجب اندماج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي؛ لأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تكون المصدر الأساسي للتشريع، وكانت استقالته في (٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ= ٧ يناير ١٩٥٤م)، ويذكر له في أثناء توليه مشيخة الأزهر قولته: «إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي، فلا أقل من ألا يحصل له نقص»، وكان كثيرا ما يردد: «يكفيني كوب لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدها العفاء».

مؤلفاته

كان الشيخ عالما فقيها لغويا أديبا كاتبا من الرعيل الأول، أسهم في الحركة الفكرية بنصيب وافر وترك للمكتبة العربية زادا ثريا من مؤلفاته، منها:

- رسائل الإصلاح، وهي في ثلاثة أجزاء، أبرز فيها منهجه في الدعوة الإسلامية ووسائل النهوض بالعالم الإسلامي.
- الخيال في الشعر العربي.
- آداب الحرب في الإسلام.
- تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي.
- ديوان شعر «خواطر الحياة».

بالإضافة إلى بحوث ومقالات نشرت في مجلة الأزهر (نور الإسلام)، ولواء الإسلام، والهداية الإسلامية.

وفاته

بعد استقالته من المشيخة تفرغ للبحث والمحاضرة حتى لبى نداء ربه في مساء الأحد (١٣ من رجب ١٣٧٧هـ= ٢٨ من فبراير ١٩٥٨م)، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه، ونعاه العلامة محمد علي النجار بقوله: «إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا في النّدْرَى، فقد كان عالما ضليعا بأحوال المجتمع ومراميه، لا يشذ عنه مقاصد الناس ومعاقد شؤونهم، حفيظا على العروبة والدين، يردّ ما يوجه إليهما وما يصدر من الأفكار منابذًا لهما، قوي الحجة، حسن الجدال، عف اللسان والقلم».

من مصادر الدراسة

- أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة (١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م).
- علي عبدالعظيم: مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن- مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة (١٣٩٩ هـ= ١٩٧٩م).
- محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين- دار القلم- دمشق (١٤١٥ هـ= ١٩٩٥م).
- محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عاما- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م).
- محمد علي النجار: كلمة في تأبين الشيخ محمد الخضر حسين- محاضر جلسات مجمع اللغة العربية- الجزء الحادي والعشرون.

الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام.. أمران مختلفان

أ.د. عبدالحليم عويس
رئيس تحرير مجلة التبيان المصرية

يخلط بعض الناس بين الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام، فإذا كانت الدولة الأموية (٤١- ١٣٢هـ) قد فتحت العالم فإن ذلك شيء، وانتشار الإسلام في العالم شيء آخر، وحسبنا أن عدد المسلمين في مصر في القرن الثاني الهجري- أي بعد قرن ونصف من الفتوحات- لم يتجاوز عشرين في المائة من السكان، فالفتوحات موقف سياسي يؤمن مصالح الدولة الإسلامية المدافعة دائمًا، بينما انتشار الإسلام أمر يخضع لعناصر أخرى غير الفتح، وعلى رأسها سلوك المسلمين وتطبيقهم العملي للإسلام وإحسانهم لكل مَن حولهم، حيث إن الكتابيّين المواطنين هم مواطنون كالمسلمين سواء بسواء، ويزيدون عنهم أنهم في ذمة الله ورسوله وحسبهم أن يقول الرسول فيهم: «مَنْ عادى ذميًا فقد عاداني».

من العوامل الأساسية في انتشار الإسلام، ذهاب هؤلاء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين للاستيطان في الأمصار المختلفة، ليس لسرقة مال عندهم، كما يفعل «الاستعمار» أو بالتعبيرين الصحيحين «الاستدمار والاستحمار»، بل ليعطوا أكثر مما يأخذون، وكان منهم تجّار مهرة وخاصة أهل حضرموت وعُمَان واليمن، فعاش أهل البلاد في أكنافهم، وأعطوهم مما أعطاهم الله، فأحبوهم حُبًا كبيرًا من أعماق قلوبهم، وليس بظاهر ألسنتهم، وزاد من حبهم لهم العدل الذي يتحقق بين المسلمين وغير المسلمين، سواء كانوا من أهل البلاد الأصليين أو الوافدين، فالعدل مطلق في الإسلام وهو كل لا يتجزأ يستوي أمامه المسلمون والهندوس، عبدة البقر والبوذيون، عبدة بوذا وأهل الكتاب، أصحاب الأقانيم الثلاثة وغيرهم.

وفي قصة المصري الذي ظلمه ابن عمرو بن العاص دلالة كبيرة على هذا، فقد روي أن ابن عمرو ضرب أحد الأقباط النصارى فشكاه إلى الخليفة عمر بن الخطاب فاستضافه الخليفة واستدعى عمرو بن العاص وابنه، وصمم أن يقتص المصري من ابن عمرو بن العاص وهو فاتح مصر وحاكمها.

كما زاد من حب أهل السكان الأصليين حرية العبادة التي كفلها الإسلام في حدود القانون الشرعي الإسلامي، ولم يصبح السكان الأصليون مواطنين فحسب، بل أصبحوا مواطنين وذميين لهم ذمة الله وعهده وعهد رسوله ﷺ، وقد بلغ الأمر أن الامام ابن تيمية لما وقع بعض المصريين أسرى في يدي تيمور لنك توسط لإخراجهم فأخرج الامبراطور التتري المسلمين من السجون، فرفض ابن تيمية وقال: لابد من إخراج المواطنين النصارى، لأنهم مواطنون وذميون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ما أطاعوا شريعة الله والتزموا بحقوق المواطنة الشرعية الإسلامية.

وقد دخل أرض مصر عدد من الصحابة والتابعين، وحسبنا أن نشير إلى **نماذج قليلة، من أشهرهم:**

- عمرو بن العاص.
- عبدالله بن عمرو بن العاص.
- عقبة بن عامر بن عبس الجهني.
- محمد بن أبي حذيفة.
- مسلمة بن مخلد الأنصاري.
- عبدالله بن الحارث.
- قيس بن أبي العاص.
- سعد بن أبي وقاص.
- عبدالله بن سعد بن أبي السرح.
- الزبير بن العوام.
- عبيد بن محمد أبوأمية المعهافري (قيل إنه أول مَنْ أقرأ القرآن بمصر).
- عبدالرحمن بن أبي بكر.
- سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل.
- زيد بن ثابت بن الضحاك.
- جابر بن عبدالله.
- جبير بن المطعم بن عدي.
- أبوهريرة.
- عبدالرحمن بن زيد.
- عبدالله بن أبي بكر الصديق.
- شيبة بن عثمان بن طلحة.
- سندر أبوعبدالله، وقيل أبوالأسود.
- سفيان بن هاني بن جبير.
- زياد بن الحارث الصبائي.
- ابن حرام الأنصاري.
- ديلم بن يوشع الجيشاني الحميري اليمني.

وفيما يلي نشير إلى بعض الصحابة والتابعين الذين دخلوا أمصارًا مختلفة وتنقلوا بين عدد من البلاد، مثل العراق:

(أ) الكوفة:

- عبدالله بن مسعود.
- المغيرة بن شعبة.
- جرير بن عبدالله.

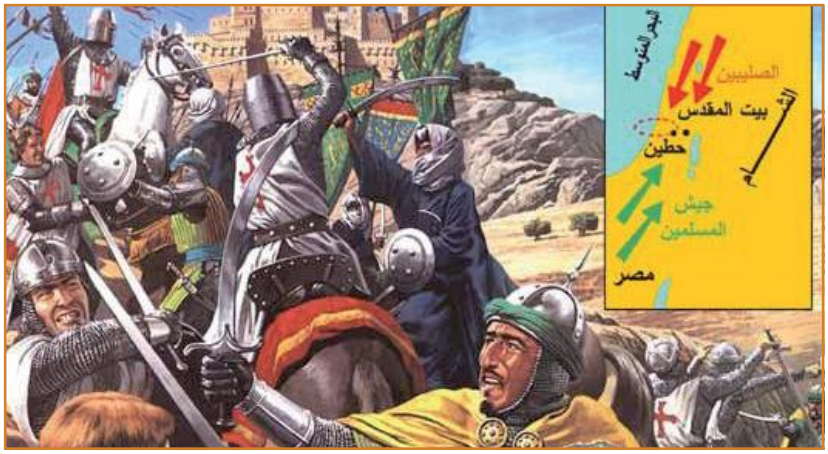

- عبدالله بن يزيد بن زيد.
- عمرو بن حريث بن عمرو المخزومي.
- طارق بن شهاب البجلي.
- عبدالله بن أبي أوفى.
- عمار بن ياسر .
- علي بن أبي طالب.

(ب) البصرة:

- أنس بن مالك بن النضر.
- أبوموسى الأشعري.
- معقل بن يسار المزني.
- عبدالله بن المفضل المزني.
- سمرة بن جندب الغزاري.
- عمران بن حصين.
- عبدالله بن عباس.

ودخل الشام:

- معاوية بن أبي سفيان.
- أبوأمامة الباهلي.
- عوف بن مالك الأشجعي.
- وائلة بن الأسقع بن كعب.
- فضالة بن عبدي بن نافذ الأنصاري.
- عبدالله بن بسر السلمي.
- عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري.
- ثوبان بن يجدر، ويقال ابن حجدر (نزل الرملة ثم حمصا إلى أن مات بها سنة ٥٤هـ).
- دحية بن خليفة الكلبي (نزل دمشق وسكن المزّة).
- عبيد بن النذر، وهو شامي له صحبة ورواية.
- شداد بن أوس.
- بلال بن رباح.

ودخل اليمن:

- معاذ بن جبل.
- أبوموسى الأشعري.

ودخل المغرب:

- عبدالله بن عمر بن الخطاب.
- عبدالله بن الزبير.
- عبدالملك بن مروان.
- يحيى بن الحكم بن العاص.
- عبدالله بن عباس.
- أبوزمعة البلوي.
- روثة بن ثابت الأنصاري.
- عقبة بن نافع.
- رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري.
- رافع بن خدرج.

ودخل نيسابور:

- إبراهيم بن طهمان.
- حفص بن عبدالله.

ودخل مرو:

- بردة بن الحُصَيْب

ودخل بلاد السند والهند:

- الحكم بن عمرو (البصرة، ثم خراسان، وفتح السند).
- الخويت بن راشد الناجي السامي (بلاد فارس).
- الربيع بن زياد الحارثي، المذحجي (خراسان).
- منان بن سلمة بن المحبق الهذلي (ثغر الهند).
- سهل بن عدي الأنصاري (كرمان).
- صحار بن عباس العبدي (مكران).
- المنذر بن الجارود(صحابي أو تابعي) (عاش فى الهند والسند).
- عبدالله بن سوار العبدي (أدرك النبي ولم يره) (الهند).
- عبدالله بن سويد الشقري (أدرك النبي ولم يره) (الهند).

وهكذا كان الأمر في كل البلاد التي دخلها المسلمون، لقد كانوا بحق أئمة هدى، وخير أمة أخرجت للناس، والأمة الوسط الشهيدة على الناس، المؤمنة بالله، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، السائرة على خطى نبيها ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

المراجع

- البلاذري: فتوح البلدان، الكتب العلمية، ب.ت، رضوان محمد.
- د.حسين مؤنس: الإسلام الفاتح، الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله عبدالحكم بن أعين القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها، دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، دار المعارف ٢٠٠٧م، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
- عبدالشافي محمد عبداللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة، دار الحديث.
- أبوعبدالله بن عمر الواقدي: فتوح الشام، ط دار الجيل، ب.ت.
- المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي، ب.ت.ط

أبوسعد يحقق أمنية بـ «طنجة» الإسلام

د. محمد سعيد صمدي

أيام ربيعية جميلة قضاها د.مصطفى أبوسعد مع جمهور البوغاز في دورة «مهارات الذكاء الوجداني» المنظمة من قبل المركز الدولي لمهارات الحياة، وخلال الأمسية الثقافية المجانية التي حضر أنشطتها د.أبوسعد أمام جمهور غفير من محبيه، ألقى نداء آخر كان قد سبق أن أطلقه منذ سنوات بجهة طنجة وتطوان، باحثا عن أحد الذين بصموا بصمة خالدة في حياته المدرسية الطفولية بإحدى مدارس مدينة الدار البيضاء المغربية.

تعود القصة إلى ست وثلاثين سنة حيث كان الطفل أبوسعد يدرس بالصف الرابع، وقد كان يُدرِّس له معلمٌ رائدٌ أثّر في الطفل تأثيرا بالغًا في نفسيته وتعديل مسار حياته المدرسية والسلوكية والقيمية، قدّم المحاضر شهادة مؤثرة بحق رجل حبب إليه- وبطبيعة الحال لباقي أقرانه- اللغة العربية وقواعدَها والدينَ والسيرةَ، وأجملُ ما تأثر به ذلك الطفل من هذا المعلم الفريد هو المدح والتشجيع اللذين دفعا الطفل إلى التحليق عاليا في عالم الاجتهاد والتحصيل والالتزام بالقيم الدينية والخلقية، واسم ذلك المعلم هو «محمد سماحة»، والطفل يتذكر منذ ست وثلاثين سنة، أي منذ كان عمره تسع سنوات، أن معلمه- المبحوث عنه- كان ينحدر من مدينة طنجة وعُيِّن وقتئذ بالبيضاء، وبالتالي يتمنى لو أن أحدا من هذا الجمهور الطنجي الغفير يعرف شيئا عنه لكي يجدد معه اللقاء ويقبل رأسه ويده على جميل فضله وكبير جهده، وفاءً وامتنانا واعترافا، لم تمض أربع وعشرون ساعة حتى هاتفه المركز المستضيف ببهو الفندق يصف له في المكالمة أحدُ السادة ملامحَ معلم يحمل الاسم نفسه، فكانت الصفات هي هي، فتطوع السيد المتصل للبحث عن بيته حتى تعرف عليه، وفي اليوم التالي والدورة توشك على نهايتها، بل تشرف على حفل توزيع الدبلومات على المستفيدين من الدورة، كانت اللحظة (الأمنية) المؤثرة التي هزت مشاعر الحاضرين، ويعلم الله مشاعرَ الطفل -عفوا- الدكتور والمدرب العالمي في التنمية البشرية، ويعلم الله مشاعرَ ذلك المعلم الشيخ الوقور ذي اللحية البيضاء وفي يدَه عصا يتوكأ عليه، الكل في دهشة وانبهار بلحظة قلما زفّها الزمن الحداثي، المعلم «الشيخ محمد سماحة» في دهشة وصدمة غير مألوفتين مع رتابة الحياة وتقدم السن وتعثر الذاكرة، وهو يقاوم لحظة حفاوة غامرة أمام أضواء كاشفة، واحتضانً بقاعة عامرة بفندق متميز، وسأمرً على لحظة اللقاء لأنها جدٌّ مؤثرة، لأنتقل إلى لحظة الاستذكار والتذكير ببعض الذكريات، بدأ د.أبوسعد يذكر معلمه ببعض البصمات التي كان الشيخ يبصمها في أولى مراحل حياته التربوية على ناشئة الدار البيضاء، والشيخ منبهر متوقد العينين كأنه لا يصدق ما يسمع، بل لعله لم يتوقع أبدا أن يحضر احتفالية- بدون سابق إعداد- بمثل هذا الثقل والفجائية والرمزية مع واحد من تلامذته الأبرار.

بطبيعة الحال الصغيرُ يتذكر الكبيرَ والعكس غير صحيح في أغلب الأحيان، فالسيد محمد سماحة، وقد تخرجت على يديه أجيال تلو أخرى، لم تستطع ذاكرته تذكر هذا الولد الصالح الذي طالما بحث عنه كلما حل بشمال المغرب، بعد كل رحلة من بلاد الخليج، حيث يزور بلادَه ربيعا وصيفا كلّ حَوْل، ولم ينته اللقاء عند هذا بل تكرم مصطفى أبوسعد بتقديم وتشريف شيخه لكي يقدم ديبلومات الدورة للمستفيدات والمستفيدين.

وبعد ذلك قدم كاتب هذه السطور للشيخ محمد سماحة لمحة موجزة عن تلميذه السابق المدرب العالمي والمربي الحالي وآثاره المكتوبة والمسموعة عبر الأثير وأنه يَذْكُرُه في كل المنتديات والدورات التي يحلّ بها، ولم يستطع أحدهما أن يفارق الآخر تلك الليلة.

فهنيئا لك بهذا التلميذ البار الذي أحياك الله وأطال عمرك حتى وقفتَ على ثمرة من ثمار جهودك في زهرة هذه الحياة الدنيا.

وهنيئا لك أخي مصطفى بهذا اللقاء الفريد وبهذا الوفاء وبهذا التألق، وحفظك الله في حلك وترحالك.

أكاديمي مغربي

أسرتي

فضائيات الأطفال

انتشرت في الآونة الأخيرة القنوات الفضائية المتخصصة لشريحة الأطفال، وباتت الشغل الشاغل لكل أسرة؛ لما تمثله من وسيلة فاعلة في التكوين والتربية، ويدل هذا الأمر على مدى وعي القائمين على الإعلام بأهمية هذه الفئة التي كانت مغيبة عن الإعلام المرئي لفترة طويلة.

ولعل أثر هذه الفضائيات يتفاوت من قناة لأخرى وفقًا لأجندة من وراءها، فهناك قنوات قيمية هادفة مثل براعم، والجزيرة أطفال، وطيور الجنة، وهناك قنوات تجارية بحتة مثل «سبيس تون» و«ام بي سي٣» وغيرها.

ولقد ظهر بشكل واضح مدى نجاح بعض هذه القنوات على فلذات أكبادنا في حواراتهم ومناقشاتهم مع أفراد الأسرة، وقدرتها على تنمية قدراتهم الذهنية والفكرية، وتطويرهم اجتماعيًا من خلال اختلاطهم بالأطفال، ولكن ينبغي الأخذ في الاعتبار ضرورة مراقبة مضمون هذه البرامج والمغامرات، ومتابعة الرسوم الكارتونية، وألا يؤثر تعلق الطفل بالقناة على تفاعلاته الأخرى مع مجتمعه الصغير.

كذلك لابد من غرس بعض القيم الطفولية في أبنائنا مثل: أهمية الوقت، وتحديد الأولويات، والحرص على ألعاب الذكاء، والاختلاط بالناس، مع انتقاء القنوات المفيدة والمثمرة في تربية أطفالنا، لاسيما أن الإعلام بات المؤثر الأول في الحياة الاجتماعية في العصر الحالي وفق الدراسات والإحصاءات العلمية.

التحرير

تكوين الأسرة.. وإصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

حسين يحي الدين سباهي

من خلال التعاليم التي جاء بها الإسلام.. نجد أن على كل فرد منا أن يختار ذلك الطريق المستقيم الذي هدانا الله إليه بمحكم تنزيل كتابه الكريم وسنة رسوله، لما فيه من إيمان واطمئنان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

وبهذا فقط نضمن السعادتين الدنيوية و الأخروية، هذا هو الطريق الذي التقينا عليه نحن المسلمين، وسرنا على هديه، فمن أين يبدأ؟ وما هي مراحله؟ وكيف ينتهي؟ والجدير بالذكر هنا أن الإسلام اعتبر نقطة البداية هي الفرد، فهو النواة الأولى للمجتمع، وفي صلاحه صلاح الأسرة، وفي صلاح الأسرة صلاح الأمة.

وعند الحديث عن تكوين الأسرة في الإسلام لابد من الإجابة عن هذين السؤالين: مم تنشأ الأسرة؟ ومم ينشأ المجتمع؟

باحث سوري

تكوين الأسرة المسلمة

الحياة الزوجية، هي الأساس في تكوين الأسرة والمجتمع، فمن هذه الحياة التي قوامها الزوج والزوجة ينشأ الأولاد، ومن الأولاد يكون الإخوة والأخوات ثم الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ومن هؤلاء جميعًا تتكون الأسرة الخاصة أو المجتمع الأصغر، ومن الأسرة الخاصة تنشأ الأسرة العامة، فالأسرة إذن هي الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع الكبير، فإن كانت هذه الخلية سليمة قوية، سلم المجتمع وقوي، ولهذا شرّع الله الزواج حفظًا للنوع الإنساني وصيانة للناس من الأمراض والآثام واحترامًا للإنسان بإلحاق الأولاد بآبائهم ومساعدة كلا الزوجين للآخر، ولهذا قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ (النحل: ٧٢). وقال أيضًا ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١).

لهذا كان من أهم واجبات الفرد في الإسلام أن يحرص على تكوين الأسرة المسلمة، وذلك بأن يحمل أهله على اعتقاد فكرته وتبنيها والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وذلك لا يكون إلاّ بحسن اختيار الزوجة وتعليمها واجباتها وحقوقها وحسن تربية الأولاد والأسرة

على مبادئ الإسلام.

ونحب أن نشير هنا إلى أن كثيرًا من الأفراد يفشلون في هذه التجربة الهينة فنجده بمجرد زواجه، يقل نشاطه في الدعوة، ويتعلل بقول الرسول: «وإن لأهلك عليك حقا»، على هؤلاء أن يذكروا قول الله: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ (الأنفال: ٢٧- ٢٨) ، وليذكروا دائمًا قول الخنساء الخالد على مرّ الزمان حينما علمت بمقتل أولادها الأربعة في القادسية فقالت: «الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم»، ومازلنا رغم أننا حملنا أمانة الدعوة أسرى عادات جاهلية.. نزيد المهور، ونعقّد الإجراءات، وإذا تقدّم لنا من نرضى دينه وأمانته بحثنا عن حسبه ونسبه وغناه وفقره، ونسينا أننا حملة رسالة وأصحاب عقيدة تعمل لاجتناب كل نظام فاسد لا يقوم على العبودية لله، والتحلي بآداب الإسلام .

إصلاح المجتمع لا يتفق والآداب الإسلامية

للبيئة أثر هام في تربية الفرد، فالأفراد الذين ترعرعوا في المجتمع الإسلامي الأول لم يكونوا بحاجة إلى من يربيهم على الإسلام ويصقلهم بالإيمان، لأن مجتمعهم كان يقوم على أساس إسلامي. فكل من نشأ فيه واستنشق هذا العبير لابد أن يتخلّق بعادات مجتمعه.

ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية تحرص على إيجاد الواحة الإسلامية لأفرادها حتى يهرعوا إليها ليتقوا بظلها مرّ الفساد ونار الفتنة. ولكن هل نكتفي بذلك المجتمع الصغير ونعتزل الناس في واحتنا هذه مخالفين بذلك الأمر الصريح من الله:

إصلاح المجتمع لا يكون إلا بنشر دعوة خيرية فيه مع محاربة الرذائل والمنكرات

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقول الرسول ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»؟

ومعنى ذلك أن نأخذ على أيدي الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وما هو كذلك.

وإصلاح المجتمع لا يكون إلا بنشر دعوة خيرية فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والمبادرة إلى فعل الخير وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية. ولا يكون هذا إلا بأن نجعل الدعوة مسألة هامة يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم مع أصدقائهم وأهليهم.

علينا أن نهتم بالتربية الإسلامية وأن نقتحم بها كل مجلس وناد، ونتحين لها كل فرصة مناسبة، ولا نكف عن الكتابة والخطابة والحديث والسعي والعمل حتى يحيا الإسلام وتعاليمه في الضمائر ويشتغل به الناس جميعًا في حضورنا وغيابنا، وبهذا تكون الفكرة الإسلامية سيدة الأفكار في المجتمع.

ولا ننسى أنا ندعو إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن ديننا دين القيمة أي الوصاية على الدنيا القاصرة.. فغايتنا لا تقف عند حد إسعاد المسلمين، ولكنها تمتد حتى تتم هداية الناس أجمعين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الأنعام: ١٢٥).

الأسرة واللباقة مع الآخرين

أمين عبدالسميع حسن

لسنا- بفضل الله- هواة كلام نلوكه ونثرثره، ونطلقه على عواهنه بلا ضابط من منطق يضبطه أو عقل يعقله.. وليس من همنا أن نكرر ما قيل دون إعمال فكر أو تدقيق نظر.. ولو فعلنا هذا لم نأت بجديد ولم نر ما يوجب- أصلاً - ميلاد هذا المقال المتواضع.

اللباقة في اللغة

حذق كل عمل، أو القدرة على اجتذاب ذهن الشخص الآخر.

لبُق بمعنى ظرف، ويقال اللبقُ: ذو اللباقة.

وقد تكون اللباقة من العوامل الفعالة التي تساعد كثيرًا على إظهار الحب والصداقة للآخرين، وبالتالي فهي بمثابة السلاح السحري لاكتساب الشخصية الجذابة الناجحة.

كيف تكون مسلما لبقًا؟

هناك عدة طرق- عن تجربة- يمكن من خلالها أن تصبح مسلمًا لبقًا، نوجز أهمها في الآتي:

١- أن تروي للآخرين ما يمتعهم مما قرأت أو شاهدت، ولا تهمل المجاملات العابرة، والثناء على المخاطبين بما يميز كل واحد منهم.

٢- عليك قدر المستطاع أن تتذكر الأسماء والوجه، فالشخص الذي يتعلل بقوله: معذرة أنا لا أتذكر اسمك! هو شخص كسلان بطبعه، لا يحاول أن يكون لبقًا في مجتمعه.

٣- لا تسخر من الآخرين، ولا تقلل من شأنهم، ولقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكن خيرًا منهن﴾ (الحجرات: ١١).

٤- القول المناسب في الوقت المناسب هو قمة اللباقة، بمعنى أن تجعل لكل مقام مقال، دون أن تخلط الحابل بالنابل.

٥- إذا أدركت أنك مخطئ، فسلم بذلك، ولا يأخذك الكبر، وبادر بالمعذرة حتى لا تقع في الدائرة المذمومة التي نهانا عنها الله سبحانه في قوله عز وجل:

﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ (الزمر: ٧٢). وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» رواه مسلم (٨٩/٢) باب الايمان عن ابن مسعود وأبوداود (٤٠٧٣).

٦- من اللباقة أن تسمع أكثر مما تتكلم، وأن تبتسم أكثر مما تعبس، دون أن تخرج عن حدود «اللياقة».

٧- حاول أن تقدم فعلك على قولك، وقد نبهنا رب العزة في كتابه العزيز: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ (الصف: ٢).

خاتمة ونهاية المطاف

إذن فاللباقة أمر لا غنى عنه في مجتمعنا الإسلامي المعاصر، وإن صح القول فاللباقة علم وفن مثل إدارة الأعمال ودراسة جدوى منظومات الأسواق وتحديد احتياجاته ورغباته.

عزيزي القارئ..

هذه المقالة وإن كانت موجزة، فإني أرجو أن تبرز بعض جوانب الحق فيها، وإنما الموفق من وفقه الله وعصمه.

والله المستعان

باحث تربوي

بالحب لا بالتوبيخ تدعم الثقة داخل الأسرة

د. محمد عيسوي الفيومي

الأسرة بما يسودها من علاقات الود والألفة والمحبة تعتبر المصدر الرئيسي الذي يشعر الأبناء في ظله بالحب والحنان والدفء والأمن والأمان، وفي ظلها ينمى دافع الانتماء، فالعلاقات داخل الأسرة لا تتوافر في أي بيئة أخرى، ولذا وجب على الآباء أن يجعلوا من مناخ الأسرة الصحي رحيقًا يسعد الجميع في ظله بالطمأنينة ويجد فيه ما يشبع حاجاته وينمي قدراته ويظهر مواهبه الكافية بعيدًا عن الصد والزجر.

إن توبيخ الطفل وتأنيبه على كل صغيرة وكبيرة وسيلة تربوية خاطئة وغير سليمة وهي لا تقل ضررًا عن الضرب، فالتوبيخ نوع من العنف يجب عدم اللجوء إليه ولو بدعوى التهذيب والتأديب لأنه يؤدي إلى قهر الطفل وإلى افتقاده الإحساس بالأمان، والطفل الذي يتعرض للتوبيخ المستمر يشعر بأنه عاجز ويفقد الثقة في نفسه وفي إمكاناته وقدراته وفي كل من حوله، ويخاف الآخرين.. إن الخوف في حد ذاته ينبوع العدوان الذي يتخذ صورا متعددة منها تعذيب الذات، بل تتحول الشحنات العدوانية داخله إلى عدوان صريح ومباشر فمعظم أصحاب السلوك الضعيف هم في الأصل ضحايا ظروف اجتماعية وتربوية مفرطة في الشدة والقسوة وسوء المعاملة، ينصح خبراء التربية وعلم النفس الآباء والأمهات بتربية الأبناء على الحوار والمناقشة واعتبارهم شركاء داخل الأسرة فيؤخذ رأيهم في المسائل المتعلقة بهم وفي القرارات التي يتحتم على الأسرة اتخاذها بشأن بعض الأمور، كذلك يجب أن تقوم تربية الأبناء على التسامح والتفاهم وترسيخ مفهوم الثقة المتبادلة.

وتذكر د.باريارا أبولند مؤلفة كتاب «لا توجد تعليمات محددة لضمان نجاح ابنك في الحياة» أنه يجب أن يعرف الآباء والأمهات متى يخففون عن أبنائهم الضغوط.. مؤكدة أن هناك عدة طرق تساعد على نجاح الأبناء في الحياة منها تشجيعهم على الاستقلالية وتنمية قدراتهم الشخصية ومنحهم الثقة بالنفس لأن معظم الآباء يتصورون أن أولادهم لابد أن يكونوا صورة طبق الأصل منهم في حين أنهم يجب أن يكونوا على أفضل صورة لأنفسهم.

علمي طفلك الحب

يتعلم الأطفال الحب إذا نشأوا في جو من الحب والتفاهم والوئام، ويتعلمون الكرم إذا شاهدوا آباءهم يكرمون الضيف ويعطفون على الفقير، ويتعلمون الثقة بالنفس إذا نشأوا في جو من الاستحسان لأفعالهم. هذا بعض ما جاء في كتاب «الأطفال يتعلمون ما يعايشونه» للخبيرة الأميركية في علم الحياة دورني لونولتي التي شاركتها في كتابته د.راشيل هاريس وهي معالجة نفسية متخصصة في علاج القضايا الأسرية.. الكتاب يشرح العديد من الأفكار مع ذكر بعض الأمثلة والقصص الإنسانية الحية والمؤثرة التي تؤكد أن الأهل هم القدوة لأطفالهم وهم الذين يساعدون على ترسيخ القيم في نفوسهم، هذه الحقائق تؤكدها أيضًا د.فيفان أحمد فؤاد أستاذة الطب النفسي العلاجي في جامعة حلوان قائلة: إن الصغار يتعلمون الخجل إذا نشأوا في جو من السخرية بأفعالهم وقدراتهم، كما يعرفون الحسد إذا نشأوا في جو من الغيرة والحقد والكراهية، أما الثقة بالنفس وهي أساس نجاح الإنسان في حياته فيتعلمها الصغار إذا نشأوا في جو من الاحترام والتشجيع، كما يعرفون الصبر إذا تدربوا من صغرهم على الجلد والقدرة على التحمل، كما يتعلم الطفل الصدق إذا نشأ بين والدين لا يكذبان أمامه ولا ينكران انفسهما عن الآخرين وإذا نشأ أيضا في جو من الصراحة والوضوح في كل الأمور والمواقف.

إن الصغار يتعلمون السلوك العدواني إذا نشأوا في جو يتسم بالقسوة والعداوة، ولذلك يجب على الوالدين الابتعاد عن الانتقاد لتصرفات الأبناء بشكل مستمر حتى لا يتعلموا السخط على الآخرين، كما يجب أن يعامل الوالدان أبناءهما بالرحمة والشفقة مهما اقترفوا من أخطاء، كما يجب الابتعاد عن العقاب الصارم حتى لا يتعلم الأبناء العدوانية والقسوة، أبعدوهم عن أجواء الخوف حتى لا يشوه القلق والتوتر حياتهم ولا تشفقوا على حالكم أمام الصغار حتى لا يتعلموا الرثاء على حالهم في المستقبل، كما يجب على الكبار عدم السخرية من أولادهم حتى لا يفقدوهم الثقة بأنفسهم ويهرعوا للاختفاء وراء صفة غير مستحبة وهي الخجل.

باحث أكاديمي

الإنترنت خطر يتهدد المجتمع وجرائمه تبحث عن عقاب

تحقيق: فوقية أحمد هاشم

انتشرت جرائم الإنترنت في الفترة الأخيرة بعد ثورة التكنولوجيا التي شهدها المجتمع وأصبح ضحاياها بالمئات يوميا، والأعجب في هذه الظاهرة أن المتهمين فيها أغلبهم من الشباب، وكثير منهم يعمل في تخصصات الهندسة والحاسوب دون أن يكون هناك رادع قوي، وفي الوقت نفسه تغيب التشريعات القانونية عن معاقبة الجناة في ذلك.. حول أسباب انتشار هذه الظاهرة وتأثيرها على المجتمع، ورأي الدين فيها، ونماذج من الجرائم التي ارتكبت في حق آخرين كان لنا هذا التحقيق.

كثيرًا ما نتساءل، وبشكل يصل إلى حد الإلحاح المزعج أحيانًا، عن ماهية السعادة، وسبل الوصول إليها، ونتساءل عن المعايير العلمية أو حتى الافتراضية لقياسها.فهل تقتصر السعادة على أن نفعل ما نشاء وقتما نشاء دون قيود تفرض علينا، أي أن نكون أحرارًا بكل ما تحمل الحرية من معانٍ، أم أنها شعور داخلي جميل حتى وإن لم يُترجم هذا الشعور إلى تصرفات وأفعال؟

ضحايا الإنترنت

تقول شيري شديد، تعرضت لجريمة تشهير فقد كنت ضحية لأحد مستخدمي الإنترنت، عندما قام بنشر أخبار تقلل من شأني وتشوه صورتي على الموقع الاجتماعي «الفيس بوك»، وانتهت بقيام هذا المتهم بإرسال آلاف «الإيميلات» والرسائل على تلفونات الأصدقاء وزملاء العمل مما أصابني وأسرتي بصدمة كبيرة.

وتضيف: إن هذا الشخص المتهم الآن أخذ يسترسل في جريمته بنشره أخبارا يومية كاذبة ونشر رقم محضر وهمي حتى يضفي شيئا من المصداقية.

تؤكد: إن هذه الشائعة تركت آثارا وبصمات مازالت عالقة بشخصيتي بعد الضغوط المعنوية التي تعرضت لها، وساعد على ذلك المجتمع الذي تنتشر فيه الشائعات بسهولة وسرعة شديدتين دون التحقق والتبين منها.

غياب القيم وامتلاك الشباب لقدرات عقلية وراء اتجاههم للجرائم الإلكترونية

وتستكمل حديثها: لم أجد بدا إلا اللجوء للشرطة فكان حلًا حتميًا بالنسبة لي، وقد أشارت إليّ به إحدى الصديقات ممن تعرضن لحالة مماثلة، وبالفعل ذهبت إلى مبنى جرائم الإنترنت بوزارة الداخلية، وقاموا باستقبالي وتتبعوا المتهم حتى تم القبض عليه.

وأنهت كلامها بضرورة السيطرة والرقابة على الإنترنت للتقليل من الجرائم التي ترتكب يوميا حتى يكون هناك رادع قوي أمام عدم تكرار هذه الجرائم.

سرقة مع سبق الإصرار والترصد

تقول فاطمة عفيفي: تعرضت لإحدى جرائم الإنترنت من قبل بعض الشباب «الهاكرز» الذي لم يتعد عمره ٢٠ عاما ويدرس بإحدى كليات الهندسة.

تحكي فاطمة: قام الشاب باختراق جهاز الكمبيوتر الخاص بي عن طريق كاميرا الويب الموصولة بالجهاز، فضلا عن بعض البرامج الأخرى المستخدمة في الشأن نفسه، وبالتالي قام بنسخ كل البرامج والملفات الخاصة على جهازي بما فيها الصور.

وأضافت: هذا الشاب قام باختراق جهاز الكمبيوتر الخاص بي عن طريق «الإيميل» حتى حصل على «الباسورد» وبالتالي قام بفتح وغلق جهاز الكمبيوتر في الوقت الذي يحدده.

وذكرت أن أغلب هؤلاء الشباب حاد الذكاء، وبعضهم شباب غرر به، وبالتالي لا يتم التعامل معهم على أنهم مجرمون، وإنما على خلفية ذكائهم الحاد، وقدراتهم الفائقة في التعامل مع أجهزة الكمبيوتر.

برامج الحماية

يقول المهندس أحمد سمعان تقني كمبيوتر: يستغل الشباب في عمليات السرقة التي يقومون بها جهل الآخرين، وبالتالي يقومون بالسطو على ملفاتهم الخاصة، ويضرب مثالًا لذلك بالملفات التي يقبلها البعض، وهي في الأساس ملفات «هاكرز» مما يؤدي لتحميل هذه البرامج، وبالتالي يساعد على سرقة جميع الملفات الموجودة.

ويضيف: لابد لكل مستخدمي الإنترنت أن يرفضوا كل الرسائل الخاصة بطلب قبول تحميل برامج «الهاكرز»، ولابد في هذه الحالة أن يتعامل مستخدم الإنترنت إما بغلق الجهاز أو برفض طلب الملف.

ولفت إلى أهمية أن يقوم كل مستخدمي الإنترنت بتحصين أجهزتهم

ببرامج الحماية حتى لا يستطيع بعض مجرمي «الإنترنت والهاكرز» السيطرة على أجهزتهم ومن ثم سرقة ما بها من بيانات.

ومن الوسائل التي يسرق بها بعض المجرمين الإلكترونيين ما يسمى بـ «النت العشوائي» عن طريق «الريسيفر» وطبق قمر صناعي ويلتقط أي مواد طائرة يرسلها بعض المتصفحين للنت عن طريق «الإيميل».

وطالب برقابة أكبر من قبل المعنيين بمراقبة أجهزة الاستقبال والإرسال بمجلس الوزراء حتى يقطع الطريق على كل من يحاول سرقة بيانات غيره.

غياب التشريع القانوني

يقول حسن أبوالمجد قناوي المحامي بالنقض، إن القانون المصري لم يتدخل بنص صريح يعالج جرائم الإنترنت التي بدأت تنتشر بصورة مقلقلة.

وأضاف: إن التشريع المصري اعتمد في ذلك على قانون العقوبات فيما يتعلق بجزئية السب والقذف، سواء كان ذلك بالنشر عبر الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المذاعة بأي وسيلة.

وذكر أن القانون المصري لم يعالج من خلال تشريعاته الجرائم الإلكترونية كجرائم مستحدثة، رغم أن الدولة العثمانية منذ عقود عديدة عالجت هذه الجرائم فقد كانوا سباقين في هذه المعالجة، ومازالت الأردن، على سبيل المثال، تطبق هذا القانون.

ولفت إلى أن القانون المصري تدارك هذه الجزئية عندما أنشأ المحاكم الاقتصادية وخصص فيها جزءا للاتصالات، وبالتالي أنشئت أقسام خاصة بمديريات الأمن تتعلق بجرائم الإنترنت وتعالج جرائم الحاسوب، غير أنه لا يوجد تشريع قانوني خاص بهذه الجرائم.

غياب القيم

وأرجعت د.أمينة بدوي أستاذة علم

النفس بجامعة بنها، انتشار هذه الجرائم لغياب القيم، فرغم أن هؤلاء الشباب يمتلكون قدرات عقلية فائقة وهائلة أوصلتهم لهذه الأخطاء إلا أنهم يفتقدون مع هذه القدرات وجود قيم حاكمة.

وفسرت ذلك بتراجع الدور الرقابي للمجتمع بأكمله بدءا من الأسرة والمدرسة حتى المؤسسة التعليمية التي بدأت تفرط عن عمد في رقابتها.

وحول تفسير أسباب قيام هؤلاء الشباب بهذه الجرائم قالت: إن مرحلة المراهقة وحب المغامرة وراء نشاط هؤلاء الشباب الزائد والفاسد في نفس الوقت.

وطالبت بدور علاجي لهذه الجرائم قبل أن تقع وليس بعد أن تقع والتحذير الدائم من خطورتها وكيفية الوقاية من آثارها.

موقف الشرع

يقول د.طه أبوكريشة الأستاذ بجامعة الأزهر: إن أي فعل من هذه الأفعال يعد اعتداء على الأعراض ينطبق عليه ما ينطبق على العرض المباشر بالسب أو القذف أو التشهير أو التزوير.

وأضاف: إن هؤلاء المعتدين عن طريق الإنترنت يستحقون عقابا مضاعفا لأنه يمثل انتهاكا لحرمة الأعراض فضلا عن انتهاك الستر الذي ستر الله به عباده وبالتالي يكون عقابه أشد وأنكى، وينطبق عليه الآية الكريمة ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾.

وذكر أن الحكم الشرعي واضح في أن الذي ينظر إلى العورات أو يخترق سترها عن طريق هذه الأداة (الإنترنت) لا يختلف أمره عن أمر من ينظر إلى العوارات الحسية المنظورة فالقصد واحد والنتيجة واحدة، وجميعه مخالف لما يدعو إليه الإسلام من حيث التخلق بخلق الإسلام، وهو الاستحياء من الله حق الحياء.

وأكد أن اختفاء الحياء هو نوع من الفحش الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله «ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه وما كان الفحش في شيء قط إلا شانه»، وبالتالي لا ينبغي لأحد أن يظن أن مثل هذه الأفعال بعيدة كل البعد عن التسجيل في الكتاب الذي يسجل فيه أعمال الإنسان عن طريق الملائكة الحفظة كما قال تعالى «وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما يفعلون».

تجنبي الأخطاء الشائعة في تنشئة الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد

لم تعد التربية عملًا ارتجاليًا بل أصبحت علمًا وفنًا يدرس في كليات التربية حيث التقدم الهائل في وسائل الاتصالات الذي ألغى الفواصل وقرب المسافات وأصبح العالم كقرية صغيرة تتأثر بكل ما يحدث في العالم وكل تقدم في العلم والتكنولوجيا، وكان على التربية أن تواكب كل هذا التقدم والتغير حتى ننجب أبناء وأجيالا قادرة على مسايرة التقدم الهائل في شتى شؤون الحياة، وخاصة أن التربية أداة المجتمع في صنع أفراده حيث يقع كثير من الآباء والأمهات في أخطاء شائعة عند القيام بأدوارهم تجاه أبنائهم.. ظنا منهم أن كل ما يقومون به من قسوة وتشدد أحيانًا يسهم في تنشئة الأبناء وتربيتهم.

ويكشف لنا د.ياسر نصر مدرس الأمراض النفسية والاستشاري التربوي عن بعض هذه الأخطاء الشائعة لنتلافاها، ونحن نربي أبناءنا فيقول: إن أهم هذه الأخطاء الشائعة هي:

١- فرض الأوامر على الطفل طوال اليوم

وهذا الخطأ نابع من فكرة السلطة والديكتاتورية فنجد الأمهات يصدرن أوامر للطفل ولا يتركن له حرية الاختيار في أي شيء فتقول الأم: «قم.. نم.. البس» هكذا طوال اليوم.

والنتيجة أن الطفل يتظاهر بأنه لا يسمع شيئا وبالتالي لا يستجيب، لذلك ينبغي إعطاء حرية للطفل بحيث يتمكن من الاختيار والشعور بشخصيته حتى لا نفقده الثقة في نفسه ونشعره بالعجز.

٢- عدم الاتفاق على نهج تربوي موحد بين الوالدين

هذا الخطأ هو نتيجة التضاد في المفاهيم بين الاثنين مما يؤثر على نفسية الطفل بشكل كبير لأنه لا يعرف من منهما على صواب، الأم أم الأب، وهو ما يجعله ينجذب لأحدهما دون الآخر، ويؤثر على احترامه وثقته فيه خصوصا إذا تمت المشاجرات أمامه لذلك يجب الاتفاق على منهج تربوي واضح بين الوالدين وحتى إذا تعارضا في موقع معين ينبغي أن يصدق أحدهما على قرار الآخر ومعروف أن الصدق هو مصلحة الصغير.

٣- التفرقة في المعاملة بين الأبناء

وهي كارثة على الرغم من نفي معظم الآباء والأمهات لهذه التفرقة إلا أن أبناء كثيرين يشعرون بها والمطلوب هو التوازن والعدالة عند قدوم الطفل الثاني الذي غالبًا ما يكون أكثر هدوءًا وجاذبًا للانتباه نتيجة اكتساب الأبوين لخبرة في التربية، ومن هنا تبدأ التفرقة سواء المعنوية أو المادية، وهذا من شأنه أن يشعر الأبناء بالغيرة حيث صورها القرآن الكريم أبلغ صورة في قصة سيدنا يوسف عندما تهامس إخوة يوسف قائلين: ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتصبحوا من بعده قومًا صالحين وذلك لظنهم أن أباهم يفضل يوسف عليهم، ولنأخذ من ذلك العبرة.

٤- المقارنة بين الأبناء

وهي طريقة غير عادلة في التربية لأن الفروق بين الأولاد ستبقى موجودة، وتلك سمة من سمات عظمة الخالق أن هناك اختلافا بين البشر في الطول ولون البشرة والذكاء وغير ذلك، ولكل إنسان قدراته، وتؤدي المقارنة إلى زرع المرارة بين الإخوة والحط من قدرات الأقل تقديرًا وقول الأم «أنا أقارن لكي أحفز» غير صحيح من خلال الواقع العلمي، وإنما تكون المقارنة من خلال سرد قصص الأشخاص النابغين والعلماء وبطريقة هادئة من دون انفعال حتى لا تترك أثرا سيئًا في نفوس الأبناء.

٥- عدم إشباع حاجة الطفل للرحمة والحب والحنان

هناك يتعاملون مع أبنائهم بقسوة وعنف كأنهم عسكريون أو ماكينات ويتم توبيخهم ونقدهم في كل صغيرة وكبيرة، هذا الخطأ يترك في نفس الطفل آثارًا

إستشارية تربوية

سيئة كثيرة ومنها أن الطفل يفقد الثقة في نفسه ويقلل من قيمة ذاته، لذلك يجب أن تكون هناك دائمًا مساحة من المرح والترويح مع التعامل الهادئ المطمئن بحب وحنان ليسود التفاهم بين الجميع.

٦- **الإهمال**

يؤثر إهمال الأبناء على الأسرة بأكلمها ويجعل الطفل يشعر بالغيرة من أقرانه الذين يحظون باهتمام والديهم وينعكس ذلك على تصرفاته التي تتسم بالعدوانية في مدرسته ليلفت الانتباه له، حتى وإن كان عن طريق العدوان أو أي طريق غير مشروع فينبغي إشباع الحب والحنان وإشعار الطفل بأنه محبوب ومرغوب فيه ونغذي الأمل لديه.

٧-**التدليل**

هذا الخطأ يجعل الطفل يشعر دائمًا بأنه لابد أن يكون محور اهتمام الجميع ويتوقع من كل الناس نفس المعاملة، وبالطبع هذا لا يحدث مما يجعل انفعالاته طفولية ويتأخر نضجه الاجتماعي والانفعالي وتقل قدرته على تحمل المسؤولية ويعتمد على الآخرين في تصريف شؤونه ويتقولب.

٨- **عدم بشاشة وجه الأم والأب في المنزل**

وهو خطأ غاية في الخطورة ويقع فيه كثير من الآباء والأمهات لاعتقادهم أن علامات الشدة المرسومة على الوجه عامل مهم لتربية الأبناء حتى إذا حاول الطفل أن يغير سلوكه نحو الأفضل فإنه يجد نفس رد الفعل فيتوقف عن المحاولة وهنا تظهر الفجوة التي تجعل الأطفال يكرهون والديهم حتى لو وفرا لهم كل احتياجاتهم.

أخيرًا يؤكد خبراء التربية وعلم النفس أن وسيلة الضرب غير مقبولة وأنها تعكس شخصية قليلة الحيلة لا تجد إلا الضرب وسيلة للتقويم.

الحلم الكبير

نسيبة محمود طالب

رأيتها تتمايل في ذاك الثوب الأبيض، كزهرة متفتحة يسري ماء الحياة في عروقها، وتتلألأ بالسعادة الغامرة مقلتاها، كانت تفيض فرحًا وتفاؤلًا.

بدت لي كحمامة بيضاء صافية ودّعت عش أمها بعد أن مكثت فيه طويلًا، وانطلقت نحو الفضاء الواسع بسعادة يرافقها طائر حمام حنون يحميها بجناحيه الدافئين ويكونان معًا عشًا صغيرًا يملآنه حبًا وصغارًا.

عدت إلى منزلي ونظرت إلى المرآة فرأيت فيها زهرة قد بدأ برد الشتاء يتسلل إلى أطرافها ويسرق نضارة أوراقها، وبدأ الاصفرار يغزوها شيئًا فشيئًا، تأملت بصمت وأنا أحلم أن أكون يومًا تلك الحمامة البيضاء التي رأيتها في زفاف صديقتي، حلم ولد صغيرًا في قلبي وراح يكبر مع مرور الأيام، إنه حلم كل فتاة، بل هو فطرة فطرها الله تعالى داخلها، فكل واحدة منا تحلم بذاك الثوب الأبيض.. تحلم بشريك لحياتها، يكون لها عونًا على تحقيق أهدافها، يعطيها الحنان فتعطيه كل ما في قلبها من مشاعر وأحاسيس دافئة.

شعرت كم أنا بحاجة إلى ذاك الشريك لنترافق معًا ونسير سويًا في طريق الطاعات والعبادات، يعينني على البر والإحسان، والقرب أكثر من الله، نرقى سويًا حتى نبلغ أعلى درجات الجنان.

كم أنا بحاجة إلى رؤية تلك البذرة الصغيرة وهي تنمو شيئًا فشيئًا، أفرغ فيها ما في داخلي من مشاعر الأمومة، أرعاها وأحتضنها، أرويها بماء المبادئ والفضائل، أغذيها بحب الله تعالى وحب رسول الله ﷺ، حتى تنمو وتصبح شجرة باسقة تقف في وجه رياح الشر والفساد، كم أحلم أن أكون يومًا والدة عمر وصلاح الدين، أن أنجب رجالًا يكونون درعًا يدافع عن دينهم ومقدّساتهم، شعرت بحرقة شديدة تسري في جسدي، تكاد تفتك بقلبي، ورحت أتساءل: أنى لحلمي هذا أن يتحقق، وأكثر شبابنا بات همهم الأول في اختيار الزوجة هو جمال الشكل؟ جمال لم أكن أملك الشيء الكثير منه، مع أني أملك الدين والأخلاق والعلم ولكن للأسف قلّة هم من باتوا ينظرون إلى تلك الأمور، بل أكاد أراها باتت صفات ثانوية في الفتاة بينما أصبح الجمال هو المطلب الأول لدى الكثيرين، شعرت بدموع ساخنة تسيل على خدي.. دموع حاولت منعها كثيرًا لكنها أبت إلا أن تخرج لتزيد من شعوري بالألم والضعف. وعندها سمعت ذلك النداء الأزلي ينطلق ليملأ الكون: «الله أكبر الله أكبر» فشعرت بإشراقة كبيرة في داخلي، وبسكينة تملأ روحي، وبرضا يغمر قلبي، كيف لي أن أحزن والله معي لن ينساني، وما قدر لي شيئًا في هذه الحياة إلا لعلم منه بأنه الخير لي، ولذلك لن أحزن ثانية ولن أجزع لأني على يقين مطلق بأن الخير فيما اختاره الله وأن فرج الله آتٍ.

كاتبة صحافية

الحوار بين الزوج

بشرى شاكر

إذا كان الحوار أساس تفاهم الحضارات وقرب المجتمعات فإنه من الأولى أن يكون أساس اللبنة الأولى المؤسسة لكل مجتمع وبالتالي للأمة جمعاء وهي الأسرة، إن ما نعانيه الآن من ارتفاع في نسبة الطلاق أو انفصال فكري وروحي أو تدهور حالة شبابنا ما هو سوى نتيجة لانعدام الحوار داخل أسرنا، أسر كانت مبنية من قبل على الحوار والتفاهم والتشاور.

والحوار بين الزوج وزوجته عادة ما يبدو مستعصيا في بداية الحياة الزوجية، وإن كان يدوم الحال بالنسبة لبعض الأزواج حتى بعد سنوات طويلة من الارتباط، وتتجلى صعوبة الحوار في كون الرجل والمرأة مختلفين، كما دل على ذلك بوضوح الاخصائي النفساني «جون غراي» في كتابه «الرجال قادمون من المريخ والنساء من الزهرة»، حيث أبرز أن المرأة والرجل يلتقيان بطباع مختلفة، لأنهما عاشا في بيئتين مختلفتين وبين أناس مختلفين، فمن البديهي أن تكون هناك صدامات معرفية وفكرية وسلوكية بين الزوجين في بداية حياتهما، ولكنها تتحول إلى تفاهم مع نقاش وحوار مفيد وبناء منصت للآخر ومستمع له، حيث يقر كل طرف بالحق حينما يكون على خطأ ويحاول الإصلاح حينما يكون على صواب دون جرح الطرف الآخر أو التقليل من شأنه.

كما يتحدث الأخصائي نفسه عن كون النساء في حوارهن يقدمن العاطفة، فيمكنهن أن يتحدثن لوقت أطول في أمر يمكن أن يقوله الرجل في كلمتين فقط، وهنا أيضا يجب أن تتقبل المرأة الطابع الرجولي والذي يحب الحوار المقتضب المباشر وتتقبل رغبته في الصمت أحيانا، وأيضا على الرجل أن يتقبل تعبير زوجته الذي يراه البعض مملا ويراه آخرون ممن يستطيعون استيعاب الحديث ممتعا ومفيدا.

الحوار بين الزوجين ليس معركة لكن لابد من اشتماله على الرفق واللين

فعلميا، الرجل حينما يحاور فانه يعتمد الوقائع فيريد أن يوصل فكرة بدقة متناهية، ولكن المرأة لا يمكنها أن توصل الفكرة بنفس الطريقة، فالفكرة لديها تشمل كل ما يتعلق بها من أحاسيس وعاطفة، فهي لا تتجزأ عن محيطها الشعوري، ولذلك فالمرأة عادة أكثر تأثيرا في حوارها والرجل أكثر عملية، وهما الاثنان زوج وزوجة، فالهدف ليس أن نبحث لمن ستكون الغلبة ولكن الهدف هو كيف نصل إلى حل يرضي الجميع ويكون سليما وشرعيا وكيف نتعلم ان نتحاور داخل بيوتنا دون ان ينشب الصراع، فالحوار يجب ان يجمعنا ويقربنا من بعضنا البعض وان يوحدنا على طريق وهدف مشترك لا أن يبعدنا ويشتتنا،

كاتبة مغربية

الحوار يساعد الأزواج على فهم بعضهم البعض وعلى تفادي المشاكل والعقبات، فكم من انفصال كان يمكن تجنبه لو أن الطرفين تحاورا وتناقشا وعرف كل منهما ما يضره من الآخر وحاول أن يغير منه.

كما أنه ليس من الضرورة أن نقول كل ما يجول بخاطرنا دون تفكير، فيمكننا أن نصحح وضعا بنصيحة، ويمكننا أن نفاقمه إذا لم نختر الوقت لمناقشة موضوع شائك بالنسبة للآخر، وعلينا أن نحترم أيضا رغبة الآخر في الحديث أو رغبته في البقاء وحده حينما يكون غاضبا من أمر ما مثلا، لأننا إن جعلناه يتحدث حينها فغالبا ما يصب جام غضبه علينا او يحسب بالضيق والحنق، وفي كلتا الحالتين فإن الحوار هنا لن يكون سوى جدل عقيم لا معنى له، وبالتأكيد سوف تكونً له عواقب سلبية وقد تكون وخيمة مثل الطلاق.

قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ واللباس يلتصق بالجسم فيعرف تضاريسه ويستر عيبه ويواري سوأته، والزوجة والزوج يعرفان مزاج بعضهما البعض من نظرة

الصدمات الفكرية بين الأزواج تتحول مع الوقت إلى تفاهم عن طريق الحوار المفيد

واحدة، فالعشرة والحياة المشتركة والمودة، كل هذه الأشياء، كفيلة بجعلهما يتفاهمان ويختاران الوقت المناسب لمناقشة موضوع ما ويحلان مشاكلهما معا ولا ينشرانها على الملأ.

كما أنه في أي نقاش بين الزوج وزوجه يكون التزام القول الحسن مطلوبا، بل ويؤجر عليه كلا الطرفين، فضلا عن انه من الواجب أن نتجنب لهجة التحدي وفرض آرائنا حتى وان كانت خاطئة، بل إن رأينا حتى وان كان صوابا فعلى الزوجين ان يعرفا كيف يدليان به دون مشاكل، فالحق وإن كان حقا الا انه يصعب تقبله من قبل طرف مخطئ متعنت، ولذا كان يقول الإمام الشافعي: «ما حاورت أحدا الا وتمنيت ان يكون الحق إلى جانبه».

كما أننا نرى العديد من الأزواج يستخفون بمشاورة زوجاتهن ولا يثقون بحديثهن فينعدم ذلك الحوار البناء بينهما، ولهؤلاء نقول: إن خير الأنام ﷺ قد شاور النساء ونحن نسير على نهجه ونقتدي به، ولعل خير مثال على ذلك يوم الحديبية حينما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا، فما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا».

ولعل أكثر ما يقتل الحوار بين الزوجين هو طريقته، كأن ينهي احدهما الحوار دون أن يستأذن من الثاني ويخبره انه لا فائدة من النقاش أو يلقي احدهما اللوم على الآخر أو لا يعترف بخطئه أو ينعت احد الزوجين الآخر بعدم الفهم واستحالة النقاش معه ورفع الصوت بدون سبب وكأنهما يخوضان معركة.

فإذا كانت المرونة في الحوار واللين فيه والرفق من الأمور الضرورية في الحوار مع الغير فالأجدى أن تكون بين الزوجين، إذ قال سبحانه وتعالى في سورة الروم: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، فعلى الزوجين أن يسكنا لبعضهما البعض وان يحاورا بعضهما بمودة ورحمة.

إننا ان تعاملنا في بيوتنا هكذا فإننا سننقل روح الحوار لأبنائنا فنجعلهم أكثر تقبلا لمجتمعهم واكثر اقبالا عليه ونبعدهم عن الانزواء والوحدة ونجعل منهم فاعلين داخل محيطهم ومصلحين لأمتهم.

الداعية المسلم بين العاطفة والعقل

عصام تليمة

المسلم مطالب بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فهي فريضة لازمة، كل بحسب طاقته، وبحسب مقدرته العلمية والوسائلية، ومن مستلزمات الداعية الناجح أن يدعو إلى الله على بصيرة، يقول تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: ١٠٨) ويقول تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل:١٢٥)، فلاشك أن مؤهلات الداعية ليست مجرد علوم يحصلها، عن طريق الكتب والمحاضرات، بل لابد أن تعركه التجربة والخبرة، وأن يأخذ قسطا مهمًا من صفات الداعية النفسية المطلوبة، فليس الداعية مجرد آلة تنفذ ما تفهمه من كتاب الله وسنة رسوله.

مما لاشك فيه أن من هذه الصفات النفسية المهمة التأني والحلم، وعدم الغضب والتعجل. فإن أكبر آفة تصيب الداعية هي العاطفة المتعجلة، سواء في فهمه للدعوة، أو في تطبيقه لمبادئها.

والإنسان مكون من عدة عناصر، فهو مكون من الجسد، والعقل، والروح، ولكل مكون منها مكانته وأهميته وتأثيره، فهو إن غلب عليه جانب الجسد صار ماديًا بحتًا، وإن غلب عليه جانب العقل صار ديناميكيًا بحتًا، وإن غلب عليه جانب الروح صار عاطفيًا بحتًا، وفي طغيان جانب على بقية الجوانب مخاطر.. على الداعية أن يتجنب الوقوع فيها، فهو يحتاج أن يكون متوازنًا في كل هذه الأمور، بحيث يجمع بين العاطفة والعقل، بين الروح والجسد.

وليس ما ننكره هنا على الداعية المسلم، أن يكون لديه عاطفة جياشة، بل ما ننكره هنا أن تغلب عليه هذه العاطفة التي تؤدي إلى العجلة، على التعقل وتبصر مواضع الأمور، وتودي به وبدعوته إلى حيث لا يريد، وإلى حيث لا نتيجة إلا انتهاء دعوته، أو قصور وتوقف مشروعه الدعوي، ودخوله في صدام مع الناس والمجتمع، بل وأحيانًا مع الدولة، بلا داع لذلك، ولا أثر يذكر لما قام به، يقول الشيخ الغزالي، رحمه الله، مخاطبًا الدعاة المتعجلين من الشباب: إن الواحد منكم يقف على المنبر، يقول الكلمة، لا يقطع بها ذَنَب عنزة، إنما يقطع بها رقبته!

أسباب زيادة العاطفة المتعجلة

إن للعاطفة التي تخرج عن حد الاعتدال إلى التعجل أو الشدة والحدة أسبابًا، منها ما هو شخصي (فطري)، ومنها ما هو سنّيٌّ أو عمري، ومنها ما هو بيئي، ومنها ما هو ثقافي.

أولا: السبب الفطري

وهو العامل الشخصي (الفِطري)، ويدخل في تكوين الإنسان الفسيولوجي، فهو بطبيعته فيه حمية وغيرة وانفعال، يجعل عاطفته تتأثر لأقل موقف، ولأي موقف، وترمومتر عاطفته دومًا مرتفع، لا يعرف استقرارًا، ولا يقف عند الدرجة التي يستحقها الموقف، وهذا السبب موجود في كل البشر بنسب متفاوتة، وقد وجدنا في الصحابة من عنده العاطفة السريعة الانفعال، السريعة التأثر، كما وجد ذلك في أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، ومثال ذلك.. لما نصر الله المسلمين في غزوة بدر، وشاور النبي ﷺ أصحابه في أمر الأسرى من المشركين، فذكرت لنا كتب السيرة ردين لصحابيين من كبار صحابة رسول الله ﷺ، الأول: عمر بن الخطاب، والآخر: أبوبكر الصديق، أشار عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بأن قال: أرى يا رسول الله أن آخذ فلانًا قريبي، فأقتله، وتأخذ أنت فلانًا (عقيل بن أبي طالب) وتقتله، وكل واحد منا يأخذ قريبًا له من الأسرى فيقتله.

وقال أبوبكر: يا رسول الله هؤلاء هم عشيرتك وذوو رحمك، أرى أن تعفو عنهم.

فقال ﷺ: إن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام، أي يقصد في عاطفته الشديدة، في قوله تعالى على لسان موسى يدعو على فرعون وقومه: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (يونس: ٨٨). وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم وعيسى عليهما السلام، يقصد بذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك

باحث إسلامي في قطر

مؤهلات الداعية ليست مجرد علوم يحصلها بل لابد أن تعركه التجربة والخبرة

غفور رحيم﴾ (إبراهيم: ٣٦) وقول عيسى عليه السلام: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة: ١١٨)[١].

ولسنا هنا في مقام التمييز والمفاضلة بين صحابة رسول الله ﷺ، وتقسيمهم إلى عاطفي وغير عاطفي، بل أردنا أن نبين في هذا الاستشهاد أن لكل إنسان درجة من العاطفة تزيد وتنقص كل حسب فطرته التي فطره الله عليها، وإن ذكرنا هنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أهل العاطفة الحماسية، فهي حماسية في الحق، ومع عاطفته وحماسته للحق، إلا أنه كان وقافًا عند حدود الله، كما حدث لامرأة عمر أن رأتها امرأة تخرج للمسجد، فقالت لها امرأة: أوما تخشين من عمر أن يمنعك من الذهاب للمسجد؟! فقالت امرأة عمر: لا، بل يمنعه هو قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[٢].

ومن ذلك.. ما روته السنة عندما قدم وفد عبدالقيس، يحكي أحدهم قائلا: «لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»، قال: يا رسول الله! أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله»[٣].

ومن هذا المثال أيضًا قول رسول الله ﷺ لجد سعيد بن المسيب، واسمه حزْن، أي صعب، عندما سأله ﷺ: ما اسمك؟ قال: حَزْنٌ، قال ﷺ: بل أنت سهل، فقال: والله لا أغير اسمًا سمّانيه أبي، يقول سعيد بن المسيب: فمازالت الحزونة فينا بعد[٤].

فهذا سبب فطري شخصي في الإنسان، يجبل عليه، يولد به، وينشأ عليه، أو يكون من عوامل الوراثة في عائلته، وليس معنى ذلك أنه عامل يصعب تغييره، بل له علاج بلاشك، ولكن أردنا فقط أن نوضح أنه من مخزون فطرة الإنسان، ومما جبل عليه.

ثانيا: السبب العُمْري

سبب سني عمري ونعني به صغر السن، أو عنفوان الشباب، فلاشك أن العاطفة تكون عند الشاب أغلب على العقل، وتكون الحكمة والحنكة والتروي أكثر عند الشيخ، أو من تخطى مرحلة الشباب، نرى ذلك واضحًا في موقف الرسول ﷺ في غزوة أحد، فقد كان رأيه ﷺ البقاء في المدينة، وتكون المعركة معركة شعبية من داخل طرقات المدينة، ولكن الشباب الذين فاتهم شرف الجهاد في غزوة بدر ارتأوا أن يخرجوا لملاقاة كفار قريش، وكانت الغلبة لرأي الشباب، ولما أحس الشباب أنهم ضغطوا بالرأي، على رسول الله ﷺ، وكأنه لم يكن راضيًا تمامًا عن الخروج، فذهبوا إليه يعتذرون، ويردون له الأمر، فنزل على رأيهم[٥].

ثالثا: السبب البيئي

وهناك عامل ثالث وهو البيئة، فهناك بيئة يغلب عليها العاطفة، والعاطفة المتقدة الجياشة، التي لا تستطيع أن تتحكم في نفسها، ولا أن تتروى في تصرفاتها، وقد يجد الإنسان هذا الأمر في بلد واحد، وقد يراه يختلف من بلدة إلى بلدة، ففي مصر. مثلا. تختلف العاطفة في الوجه البحري عن الوجه القبلي، وفي القرى عن المدن، وفي المناطق الجبلية عن المناطق البحرية، فالعاطفة تغلب على العقل في مكان عن مكان. وكذلك على مستوى الدول، فترى بلادًا يحكمها العقل والتروي، ولا تستثار لأقل موقف، بل تتحكم في أعصابها وعاطفتها، وهناك بلاد ترى فيها العاطفة الحامية الشديدة في موضعها وغير موضعها، وذلك ناتج عن البيئة التي يحيا فيها الإنسان.

وكذلك البيئة الجبلية غير البيئة الساحلية، وفي ذلك ورد الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ: «من بدا جفا»[٦]. وهو ما أسهب فيه علماء الاجتماع، وأولهم ابن خلدون، رحمه الله، في مقدمته، وعلماء النفس في دراساتهم المختلفة.

رابعا: السبب الثقافي

والعامل الرابع، هو عامل ثقافي، ينتج عن الموروث الثقافي والعلمي، فلاشك أن من يقصر اطلاعه وقراءاته على كتاب تغلب على كتابتهم العاطفة على العقل، يتأثر بما يكتبون، ويستجيب لما ينظّرون له، وما يشيرون به، فهناك دعاة عندما يتناولون قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تغيير البدعة، يتبنون وجهة النظر القائلة بتغيير المنكر على الفور، وهناك من يرى أن البدعة أو المنكر يغير على التراخي، حسب وقت محدد يراه مناسبًا للتغيير، وحسب خطة مدروسة، تقوم على دراسة الواقع المعيش، ومراعاة ظروف المجتمع المراد تغيير المنكر فيه، ولكل وجهة، المهم أن هذا العامل أيضًا يشكل عاطفة الإنسان الداعية القارئ.

هذه هي أهم الأسباب أو العوامل التي تصنع العاطفة الجياشة، أو تؤجج العاطفة عند الداعية، وقد عرفنا الأسباب، ونستطيع بعد ذلك أن نقف معًا على العلاج، وفي حديثي معك أتكلم عن العاطفة التي تنفر الناس من حولك، وتبدد جهودك، لا العاطفة الصحيحة التي في موضعها.

علاج العاطفة المتعجلة

١- على الداعية أن يروض نفسه على التأني والتريث، وأن يجلس فيفكر بينه وبين نفسه قبل أن يتخذ القرار، أو يعمل العمل، ويزن الأمور بمعيار السلبيات والإيجابيات المترتبة على العمل أو القول، وفي الأثر: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»[٧].

٢- اتباع سنة التدرج: إن الله عز وجل علم بني البشر سنة التدرج من خلقه للسموات والأرض، فالله عز وجل خلق السموات والأرض في ستة أيام، قال تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (الأعراف: ٥٤)، ولو أراد أن يخلقهما في لحظة لفعل، فهو على كل شيء قدير ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس: ٨٢)، ولكن ليعلم بنو آدم أن كل شيء بقدر، وله وقته.

وهذا ما أرساه القرآن الكريم في تشريعه للناس، فالربا لم يحرم جملة واحدة، بل حرم على مراحل، وكذلك الخمر حرمت على أربع مراحل، بل إن التشريع الإسلامي لم ينزل جملة واحدة، فقد خلا العهد المكي من التشريع إلا قليلًا، وركز على شرح العقيدة الإسلامية، بل القرآن نفسه لم ينزل جملة واحدة، بل نزل مفرّقًا، ليعالج مواقف حياتية في حياة المسلم.

٣- اكتساب الخبرة: على الداعية أن يكتسب الخبرة في التعامل مع المدعوين والناس، وذلك بأن يلزم ويقترب من الدعاة الكبار ذوي الخبرة في الدعوة، ممن عركتهم الحياة الدعوية، وصقلتهم بدروسها وعبرها، فهذا مما لاشك فيه يصقله أيضًا، ويصحح له ما يقع فيه، وهذا ما تعلمه نبي الله موسى، وهو من أولي العزم من الرسل، من الرجل الصالح في مواقفه الثلاثة، في القصة المعروفة المذكورة في سورة الكهف، فطول صحبة العلماء ذوي الخبرة يورث الأناة والحلم، وعدم التعجل لدى الدعاة الشباب.

٤- دراسة تاريخ الدعوات: على الداعية كذلك أن يدرس تاريخ الدعوات الإصلاحية جيدًا، وسير الدعاة الكبار من الصحابة والتابعين والسلف إلى العصر الحديث جيدًا، ويستفيد من أخطائهم، وبخاصة التجارب التي بنيت على العاطفة المتقدة، والتي لم تتحل بزينة التعقل، والتفكر والتدبر في مآلات الأفعال، فهذا يجعل الداعية يتبصر مواضع قدميه.

هذه بعض وقفات مع العاطفة المتعجلة التي تصيب الداعية، ومحاولة الوقوف على علاجها، لأن المتأمل لتأخر مسار الدعوة الإسلامية في كثير من بلاد المسلمين، يجد وراءها عاطفة مشوبة بالتعجل، أو عدم تخطيط جيد لمسارها، فهذه آفة خطرة نسأل الله تعالى أن يجنب دعاتنا الوقوع فيها، اللهم آمين.

الهوامش

١- رواه البيهقي في الكبرى (١٢٦٢٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩/٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
٢- رواه البخاري (٨٥٨) ومسلم (٤٤٢) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
٣- رواه أحمد (١٧٨٦٢) عن أشج بن عصر، وأبوداود (٥٢٢٥) عن زارع رضي الله عنه، وصحح إسناده محققو مسند أحمد، وحسن إسناده الشيخ الألباني.
٤- رواه البخاري عن المسيب والد سعيد برقم (٦١٩٠).
٥- الخبر ذكره كتاب السير، وحسن إسناده ابن حجر في تلخيص الحبير (١٣٠/٣).
٦- رواه أحمد (٨٨٢٣) والطبراني في الأوسط (٥٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعف إسناده محققو المسند، ورواه أبويعلى (١٦٥٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وضعف إسناده حسين سليم أسد.
٧- رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٣٩) وأبونعيم في الحلية (١٧٤/٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٤١/٣).

حصن من حصون العلم في الجزائر

دار الحديث في تلمسان

تركي محمد النصر

«يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمانة من تاريخنا المجيد فأديتموها، فنعم الأمناء أنتم» (ابن باديس).

تلسمان جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في مكان نظيف، كأنها مَلِكٌ على رأسه تاجُه، وحَوَاليْه من الدوحات حَشَمُه وأَعْلاجُه، هواها المَقصور بها فريد، وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد.

تلمسان احتفت بالعلم جارا ... وما كالعلم للبلدان جار
لقد لبست من الإصلاح تاجا ... يحق به لأهليها الفخار
تلمسان اكشفي عن رائعات ... من الآثار جللّها الغبار

تقع مدينة تلمسان على مسافة ٦٠٠كم إلى الغرب من الجزائر العاصمة وهي محاذية للحدود المغربية، وتعتبر من أهم مراكز التاريخ والآثار في الجزائر وبخاصة تراثها المعماري العربي الإسلامي، وتتميز بمساجدها وبيوتها البيضاء ووقوعها على هضبة تحيط بها أشجار الزيتون وكروم العنب فاستحقت لقب: «المدينة المتحف»، تأسست في القرن الرابع الميلادي على يد الرومان، وصارت مستعمرة رومانية تحوي كنيسة رومانية كاثوليكية كبيرة قبل أن يفتحها المسلمون في القرن الثامن الميلادي في العام ٧٠٨م، حيث أصبحت المدينة تحت حكم المسلمين، وفي القرن الحادي عشر الميلادي، في ظل دولة المرابطين شهدت المدينة انطلاقتها كأحد أبرز المراكز التجارية على البحر المتوسط، وازدهرت بمراكزها الدينية ومساجدها التاريخية الرائعة كالجامع الكبير، وجامع سيدي بلحسن، ثم ما لبثت أن أصبحت في عام ١٢٨٢م عاصمةً لمملكة تلمسان.

ولما انهارت الأندلس لعبت المدينة دورًا كبيرًا في التاريخ الإسلامي حيث استقبلت الوافدين عليها من قرطبة وغرناطة بعد سقوطهما ثم عانت المدينة بعد ذلك من غزو الإسبان الذين بدأوا بتنصير المدينة وإكسابها الطابع الكاثوليكي حتى أوقفهم العثمانيون بعد سيطرتهم على تلمسان في عام ١٥٥٣م.

وفي عام ١٨٤٤م سقطت المدينة تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي استمر حتى الستينيات من القرن العشرين عندما نالت الجزائر استقلالها، فأصبحت تلمسان عاصمة لولاية تحمل اسمها، واكتسبت المدينة تنوعا إنسانيا واسع النطاق نتيجة لمرور العديد من الأجناس عليها من عرب وبربر وأسبان وفرنسيين، فظهرت فيها الثقافة والآداب والعادات الاجتماعية في مزيج فريد قلما تجده في مدينة أخرى.

فتلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ودار مملكة زَنَاتَة، وموسطة قبائل البربر، ومقصد تجار الآفاق، لها أسواق ومساجد، وأشجار وأنهار، ولها خمسة أبواب: باب الحمام في القبلة، وباب وهب، وباب الخوخة، وباب العقبة في الشرق، وباب أبي قرة في الغرب، وفيها للأول آثار قديمة، كما اعتبر كثير من المؤرخين أنها صندوق العلم لكثرة العلماء فيها ومن أشهرهم: أحمد بن موسى الشريف الإدريسي، أحمد بن الحسن الغماري التلمساني، الفقيه الأصولي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، أحمد بن عبدالرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني، محمد بن محمد بن يحيى السنوسي التلمساني، يعقوب بن يوسف بن عبدالواحد المغراوي التلمساني. وغيرهم كثير.

وهذه الصفات العظيمة لمدينة تلمسان جعلت ابن خلدون يصفها بقوله: «أعظم أمصار المغرب... وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية».

فكرة بناء دار الحديث

في عام ١٩٣٢م، استقبلت تلمسان الشيخ الأديب العلامة «محمد البشير الإبراهيمي، ت: ١٣٨٥هـ» ابن قسنطينة، الذي كان له كبير الأثر في تفعيل فكرة بناء مدرسة للحديث والعلوم الشرعية في البلاد لتكون قلعة من قلاع الإصلاح الديني الإسلامي في الجزائر، وذلك من خلال الدور التوعوي والنشاط العلمي الذي تمثل في خطبه ودروسه وتوعيته للناس في المساجد، قال رحمه الله عن نشاطه في تلمسان: «كنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

التفسير بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي»، وفي بداية الثلاثينيات خَطَت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطوات جبارة في ميدان التعليم باللغة العربية عن طريق إنشاء مدارس حرّة غير ممولة من طرف الاستعمار الفرنسي الذي أسس ودعم مدارس كبيرة للتعليم باللغة الفرنسية، وسخر كل الإمكانيات الموجودة لها.

وكان لتعاون «الإبراهيمي» مع الجمعية الدينية الإسلامية التي تأسست في سبتمبر ١٩٣١م، أثره الكبير في بناء مدرسة دار الحديث، حيث اجتمعت الجمعية المذكورة بحضور الشيخ «الإبراهيمي»، في ١٩٣٤/١٢/٢٣م، وتم الاتفاق على السماح للجمعية بالحصول على قطعة أرض لبناء مدرسة أو محل للجمعية، وتحديد عدد الأعضاء بـ ٣٢ عضوًا، ومسائل عامة غيرها.

في عام ١٩٣٥م، تم شراء قطعة أرض وكانت عبارة عن دكان ليهودي مخصصة لبيع الحبوب، تقع على مرتفع عظيم، وكان ثمنها ١٢٥ ألف فرنك، تم جمعه من جميع الأوساط والعائلات التلمسانية سواء البارزة منها أو المتواضعة دون تمييز، وبهذا تكون العائلات على اختلاف مستوياتها قد أسهمت في عملية التبرع بمبلغ لبناء دار الحديث.

بناؤها ووصفها

انطلقت لجنة تشييد وبناء مدرسة دار الحديث في أعمالها في ١٩٣٦/٢/١٧م تحت إشراف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ومشاركة أهالي تلمسان فمنهم بماله، ومنهم بقوته وعرقه، ومنهم بدعائه، وكلٌ على حسب طاقته بمشهد

وصف ابن خلدون مدينة تلمسان بأنها «أعظم أمصار المغرب»

اجتماعي مهيب ونادر لا تراه إلا في مجتمع الجسد الواحد.

لقد كان لهذه المدرسة طابعها الحضاري الإسلامي، بتصميم فريد من المهندس الجزائري عبدالرحمن بوشامة، رحمه الله تعالى، وهي تتكون من:

١- الطابق الأرضي: فيه مسجد للصلاة، وقاعة وضوء.

٢- الطابق الأول: فيه قاعة محاضرات وخشبة مسرح، ومكتب إدارة المدرسة.

٣- الطابق الثاني: فيه خمسة أقسام للدراسة هذا قبيل الاستعمار، لكن بعد الاستقلال تم توسعة الدار بزيادة العديد من أقسام الدراسة.

كما توجد في المدرسة مكتبة رائعة تحوي العديد من الكتب الحديثة والعلمية المتنوعة، وفيها قاعة للمطالعة، كما تم إضافة قاعة للانترنت في المكتبة شملته توسعة ما بعد الاستقلال.

افتتاح دار الحديث

في يوم ١٩٣٧/٩/٢٧م، خرج أهالي مدينة تلمسان كبارها وصغارها في مشهد مهيب للقاء رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبدالحميد بن باديس، ت:١٣٨٥هـ رحمه الله الذي جاء لافتتاح مدرسة دار الحديث بحضور ثلة من أهل العلم ومن دعاة الإصلاح الإسلامي كالشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي وغيرهم.

لقد كان يوم افتتاح الدار يومًا مشهودًا عظيمًا في تاريخ الجزائر عامة، وتلسمان خاصّة، حيث توافد الناس من كافة أنحاء البلاد لحضور افتتاحها، وكان عددهم أكثر من ثلاثة آلاف شخص منهم سبعمائة ضيف، والبقية من أهالي تلمسان.

بدأ الشيخ البشير الإبراهيمي هذا المشهد العظيم بمناولة مفتاح الدار للشيخ عبدالحميد بن باديس عند باب المدرسة، ثم تشرف ابن باديس بأخذ المفتاح وفتح باب دار الحديث ودخلا معا وبرفقتهم العلماء والضيوف، وبدأت الجموع في الخارج تطالب برؤية ابن باديس فاستجاب لرغبتهم، وأطل عليهم هو والإبراهيمي والعلماء من الشرفة في الطابق الأول، وخاطبهم قائلا: «يا أبناء تلمسان، يا أبناء الجزائر، إن العروبة من عهد تبع إلى الآن تحييكم.. وإن الإسلام من عهد محمد ﷺ إلى اليوم يحييكم، وإن أجيال الجزائر من هذا اليوم إلى يوم القيامة تشكركم وتثني عليكم وتذكر صنيعكم بالجميل، ومن أجمل ما قيل في هذه المناسبات خطاب رئيس الجمعية الدينية التلمسانية السيد طالب عبدالسلام، والذي ختمه بقوله: «ولقد شعرتم بمجدكم وتاريخكم أيها التلمسانيون وأعنتم على تشييد هذا البناء الضخم بكل ما في وسعكم وطاقتكم فجزاكم الله عن العلم والدين خيرا».

وبعد هذا المشهد العظيم بدأت

تلمسان تشع وتتوقد بتوافد رجالات الإصلاح والتعليم للسير نحو النهضة العلمية الإسلامية المباركة، حيث كان هذا الصرح منطلقًا نحو المجد العلمي الذي عاشته الجزائر وأهلها بعد ذلك.

وكان ابن باديس قد وعد أهالي تلمسان بإرسال من تتوفر فيه كل الشروط لقيادة هذه النهضة العلمية المباركة في تلمسان، وعندما عاد إلى قسنطينة أبدى رغبته لأخيه ورفيقه في الكفاح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الالتحاق بتلمسان ليكوّن بها مركزًا للإشعاع الإصلاحي، والنهضة العلمية والأدبية في الغرب كله؛ فاستجاب الإبراهيمي لهذه الميزة التي خصه بها ابن باديس، وسافر إلى تلمسان التي استقبلته بكبارها وصغارها الذين وفدوا إليه ليستفيدوا من علمه وخبرته.

بدأ الإبراهيمي رسالته بإقامة الدروس والمحاضرات واللقاءات في النوادي التي تأسست آنذاك، وفي مراكز جمعيات ثقافية، وفي الأحواش والبساتين التي استحالت كلها إلى مدارس، وقد ضم إليه الشاعر الأديب الأستاذ الهادي السنوسي، ت: ١٣٩٤هـ، لمساعدته في تعليم الصغار بأحد هذه النوادي.

وعندما تدخل من باب دار الحديث تواجهك لوحة رخامية مثبتة على الحائط تقرأ عليها ما يلي:

«تأسست مدرسة دار الحديث على يد العلامة الفاضل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمساعدة شعب تلمسان، وقد افتتحها صاحب الفضيلة الإمام عبدالحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الاثنين ٢١ رجب ١٣٥٦هـ الموافق ليوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٧م»، لقد أحدث عمل

ابن باديس

البشير الإبراهيمي

الإبراهيمي رحمه الله في مدة قصيرة انقلابًا مدهشًا في العقيدة، وتطورًا سريعًا في العلم والأفكار، وكوّن أرضية صلبة وخصبة، وعقولًا نيرة وذلك من خلال مدرسة جمعت الطلاب ومسجد آوى إليه كبار الناس لأداء شعائرهم، ولسماع دروس الوعظ والإرشاد.

عثرات في الطريق

تعرضت مدرسة دار الحديث لكل ما تتعرض له المدارس العلمية الدينية من مضايقات واتهامات، فأغلقها الاحتلال الفرنسي في سنة ١٩٣٨م، وأثار قرار غلقها غضبًا شعبيًا عارمًا، وظلت المدرسة مغلقة إلى أن أعيد فتحها بعد شهور قليلة، بفضل الله تعالى ثم بالمساعي الحميدة التي قام بها الشيخ الإبراهيمي والأمة التلمسانية والنواب المسلمون، ثم أغلقت المدرسة مرة ثانية عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ونُفي شيخها الإبراهيمي خارج البلاد في سنة ١٩٣٩م وقضى في منفاه ثلاثة أعوام، وبعد عودته إلى البلاد في سنة ١٩٤٣م، تم فتح المدرسة واستأنفت نشاطها من جديد، إلا أن الشيخ انتقل إلى الجزائر العاصمة في آخر سنة ١٩٤٣م ليقود جمعية العلماء الجزائريين بعد أن كان قد عين رئيسًا لها وهو في المنفى بعد وفاة الشيخ عبدالحميد بن باديس عام ١٩٤٠م. واستمرت المدرسة في نشاطها حتى عام ١٩٥٦م، حيث أغلقتها القوات الفرنسية مع كثير من المدارس الدينية في البلاد، وفي عام ١٩٦٢م تم افتتاح المدرسة من جديد بعد استقلال البلاد، وتمت التوسعة المباركة فيها.

كادر التدريس في دار الحديث

عمل في المدرسة بعد افتتاحها الكثير من العلماء والأساتذة والإداريين، وكثير من المعلمين الفضلاء، والمعلمات الفاضلات، جميعهم من طلاب وطالبات دار الحديث، ومن المعلمين والمعلمات فيها، وكان لهم الأثر الكبير بعد انضمامهم إلى الثورة التحريرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٩٥٤-١٩٦٢م)، وكانوا من جنودها الأوفياء.

ولا يفوتني أن أذكر أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي وُلد في غرب مدينة قسنطينة الجزائرية سنة ١٣٠٦هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٨٥هـ، وكتب في الأصول والتشريع الإسلامي، وألف في اللغة وقضاياها الدقيقة، وفي الأخلاق والفضائل الإسلامية قد ترك آثارًا معنوية ومادية تذكر فتشكر، لايزال الناس يذكرونها، وترك آثارًا عمرانية مازالت تملأ العيون وتشرح النفوس وتبعث على الافتخار فازدادت بها تلمسان بهاء على بهاء وجمالًا على ما حباها الله به من جمال، وتبقى دار الحديث من أروع معالمها.

المصادر

١- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان.
٢- عدة مقالات لعبدالحق آل أحمد، وخالد مرزوق، والمختار بن عامر.
٣- مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان.
٤- المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، للأديب محمد الحسن فضلاء.
٥- البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان، لابن مريم التلمساني.

الشيخ محيي الدين الكردي (أبو الحسن)

مأمون الجويجاتي

قرن من الزمان في طاعة الله وخدمة كتابه والدعوة إلى دينه انصرم بوفاة هذا الحفاظ الجامع الشيخ محيي الدين الكردي - رحمه الله تعالى- وكانت ولادته عام ١٣٣١هـ وانتقل إلى رحمته تعالى عام ١٤٣٠هـ، ولقد كتب في رثائه وخطب العلماء والحفاظ وقد أعظم الله النفع به فحفظ على يديه مباشرة المئات من الرجال والنساء ثم حفظ على يدي طلابه وفي حياته مئات كذلك، وانتشر من أخذ عنه في أنحاء العالم الإسلامي بالرغم من أن الشيخ لم يكن له شهرة ولم يطلبها بل طلب رضا الله تعالى فرضي عنه وأرضى عنه خلقه، وإذا كان الحفاظ في كلامهم يذكرون مآثره في ذلك، من رفقه بالمتعلمين والصبر على لأوائهم وإثارته الحماس في نفوسهم وبث الهمة والجدية فيهم، وإذا كانوا في رجوعهم إليه في معضلات القراءة والتجويد يجدون الجواب الشافي والحرص على تعظيم كتاب الله وضبطه وحسن التعامل معه خشوعًا وتدبرًا وخدمة وإتقانًا ولهم في ذلك ذكريات لا تمحى وفوائد لا تبلى

إنني وإن لم أكن من حفاظ كتاب الله إلا أنني انتفعت بصحبته جدًا، لقد أكرمني الله بحفظ ابني البكر وابنتي على يديه ثم جمع ابني القراءات على تلميذه وصهره الحافظ الشيخ أسامة حجازي وكتب الله أن يتزوج سبطه الحافظ الشيخ خالد كوكي من ابنتي فتسنى لي فرص من قطف ثمار جنية من دوحته، وتنسم عبير السلف الصالح من صحبته، وقد شاء الله أن يقيض لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وقد فهم بعض العلماء من الحديث الوارد في ذلك أنه لا يزال يوجد أشخاص متعددون في كل آن وحين، يحيون ما اندرس من معالم الدين ويذكرون ما تناسى الناس من شأنه، ويبينون للناس بقولهم وعملهم الكيفية التي يعيشون بها على منهج الله كما أمر بذلك وكما سن رسول الله ﷺ.

وكما أن في الأخبار المنقولة سندًا ما قد يتواتر حتى يوجب العلم القطعي فكذلك في الأحوال المعاشة سند خفي يعطيك فكرة صحيحة عملية عن أحوال السلف، لذلك لا تزال تسمع عن شخص من هؤلاء الربانيين أنه بقية السلف الصالح أو كأنه قطعة من السلف، ووراثة العلماء للأنبياء تتحقق بهذا المعنى في تجسيدهم لسلوكهم البشري الذي أراده الله أسوة حسنة لمن كان يريد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا.

لقد كان الشيخ محيي الدين أحد أولئك العلماء الذين يعملون في صمت، إن نظرت في قلبه رأيته نقيًا خاليًا من غل أو حسد أو حب للدنيا أو تطلع لجاه أو شهرة، وكان جده قد أتلف ثروة وصلت إليه من أسلافه فاضطر والد الشيخ إلى احتراف مهنة الجزارة ونشأ وهو يعمل فيها وكان الحي الذي يقطنونه مرتعًا للمهربين ومدمني الخمر والمخدرات، وأهل الدين مقموعون مهددون، ومع ذلك كان الشيخ منذ صغره مائلًا إلى العلماء يحضر مجالسهم ولو بعدت الشقة ويصاحبهم ولو تعرض للمخاطر، فتردد إلى درس المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني والداعية الشيخ علي الدقر في ميعة صباه ثم حضر دروس الشيخ رشيد شميس ومحمد بركات وحسني البغال في منطقته، وهناك أرشد إلى الشيخ عز الدين عرقسوسي الذي أقرأه نصف القرآن خلال عام كامل حتى يتقن الإتقان الكامل ثم سارع إلى إنهائه وصار يتدارس معه، فكان المقدار اليومي لمدارستهما عشرة أجزاء، ثم إن شيخه وجهه إلى التمكن في الفقه ودُل على الشيخ صالح العقاد الملقب بالشافعي الصغير وكان تاجرًا ورعًا متمكنًا فلازمه مدة اثنتي عشرة سنة إلى أن قال لهم: يكفيكم ما قرأتم، ومن مجلس الشيخ صالح تعرف إلى الشيخ محمود فايز ديرعطاني حيث جمع القراءات عليه هو والشيخ محمد سكر يتناوبان القراءة على شيخهما، واستغرق ذلك خمس سنوات كان هذا في الجانب العلمي، أما في الجانب الدعوي فقد صحب الشيخ عبدالكريم الرفاعي الذي كان قد تخرج على الشيخين بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر

باحث سوري

ونذر نفسه للدعوة إلى الله وإحياء العمل بالدين وكان عونًا له على مهمة تعليم العلم وإقراء القرآن إلى أن بدأ الشباب بالإقبال على عملهما بعد قرابة ثلاثين عامًا من العمل مع الكبار دون كبير تغيير، ولا يمكن أن يضيع الله لعامل جهدًا ولا ينقصه أجرًا فإن تلك السنوات كانت تأسيسا لجيل أبناء أولئك الكبار واكتسب من خلال عمله مع الشيخ وعيًا بالأحداث والمتغيرات والتيارات ساعدته على أن يعوم فوقها دون التورط في صراعات لا طائل منها ، وقد حرص الشيخ على تشجيع الطلاب على التفوق في كلا المجالين الديني والدنيوي، حتى إن المسجد الذي أمَّ فيه قرابة ستين عامًا كان كالكهف يدرس فيه الطلاب ويبيتون ويعتكفون وهم في حماية الشيخ لهم من اعتراض العوام الذين ربما لا يقدرون عقول الشباب الناشئين وطبائعهم، وبدأ عدد الشباب المندفعين إلى حفظ القرآن الكريم يتزايد واقترح الشيخ عبدالكريم اصدار شهادة لمن أتقن الرواية السائدة «حفص عن عاصم» يكتب فيها السند المتصل إلى النبي ﷺ بذلك، فطبعت بخط جميل وإطار أنيق وصارت تُعقد مجالس يحتفل فيها بالحافظ الناشئ ويكرم ويسلم تلك الشهادة، مما أحدث تنافسًا واهتمامًا وحركة كان ثقلها يتجه للشيخ رحمه الله، فكان يجلس للإقراء منذ الفجر ولا يفرغ إلا بعد العشاء بساعتين ويعتمد على من أتقن وأجيز ليقرئ المبتدئين ويمتحنهم ويجيزهم، وكان هناك فتح آخر عندما لاحظ الشيخ ضعف حفظ القرآن عند النساء رغم تصاعد اهتمامهن بالدين فأحدث الشيخ في منزله حجرة فيها ستارة فاصلة يجلس خلفها ليحفظ الداعيات، ودبّت الحركة في الصف النسائي وأخذ عدد الحافظات المجازات يصل إلى المئات، وهو بترتيبه الإداري يسيّر تلك الحركة في صمت وتواضع فتنتشر ويتوفى الشيخ عبدالكريم، ولكن التيار الذي أنشأه لا يتوقف ويظل الشيخ الكردي - رحمه

كان الإستغناء بالقرآن شعاره وعدم التكسب به ديدنه وكان أبغض شيء إليه المدح والثناء

الله- مرجعًا ومستشارًا لهم وحارسًا أمينًا لحركة القرآن الكريم في بلدة دمشق وظل كذلك إلى أن جاوز التاسعة والتسعين وكلّت حركته وهاجمه المرض، خلال تلك الفترة لم ينقطع الشيخ عن العلم فكان يعلم الفقه والحديث والسيرة، وقد أكرمني الله أن قرأت عليه من كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، ومن سيرة زاد المعاد لابن قيم الجوزية ورغم وصوله في الفقة الشافعي إلى الذروة لكنه أحب جمع تعلم الفقه الحنبلي الى ذلك، وقد صحب الشيخ أحمد الشامي مفتي الحنابلة بدوما مدة عشر سنوات وكان عمره عندما ذهب إليه حوالي الستين سنة يصطحب معه تلاميذه الخلص، ولا يأنف أن يكون معهم في موضع الطلب والتلمذة، ومن حضر دروس الشيخ -رحمه الله- ومجالسه يلاحظ أنها ذات نكهة روحية مميزة يتجلّى فيها توقير السنة والتأكيد على الاتباع مع انفتاح على الآراء الأخرى يناقشها بعلم ورفق يجادلها بالتي هي أحسن وبأدب جم، وقد تعلمت الورع والاحتياط ومع ذلك ربما نزل عن ذلك لتوجيه من الشيخ عبدالكريم الرفاعي بما يناسب مشكلات المجتمع وما هو أرفق بالناس تأليفًا لقلوبهم وتشجيعًا لهم على الرجوع إلى الشرع في أحوالهم، وكمثال على ذلك كان يرفض التصوير ويستر وجهه عندما يحاول بعضهم التقاط صورة له، ولم يتخلف الشيخ في مضمار العبادة والعمل فقد ثابر على الخروج للحج كلما أمكنه ذلك، وعدت حجاته فبلغت خمسين حجة، وكان لختمه القرآن الكريم أثناء صلاة التراويح في رمضان وتشجيعه لطلابه على ذلك أثر في إحياء هذه السنة بعدما كادت أن تندثر.

وكان يثابر على حضور المجالس الوعظية للشيخ عبدالكريم وطلابه ويجلس منهم مجلس المستمع مشجعًا لهم وفي أثناء ذلك كان يحمل عبء إعالة عائلته التي بلغت خمسة عشر شخصًا (١)، يعتمد على الاقتصاد في إدارة مرتبه المتواضع ويستعف بذلك عن مد يده للناس، بل كان الاستغناء بالقرآن شعاره، وعدم التكسب به ديدنه، يرفض أن يعينه أحد في مهامه أو يأخذ من طلابه شيئًا وكان أبغض شيء إليه المدح والثناء يأخذه حال من الخشوع وكراهية ذلك عندما يسمعه، ويعلق نافيًا ذاك الكلام، وترأس لجنة لعمارة المساجد كان أعضاؤها من طلاب الشيخ عبدالكريم عملت ردحًا من الزمن في تشييد بيوت الله فيحضر مشجعًا لهم ومرجعًا فيما يختلفون فيه، هذا مع مخالطته للناس في مجالسهم الاجتماعية بما لا يتعارض مع التزاماته القرآنية والعلمية وبحيث لا يكون في المكان الذي يحضره منكر، وبهذا الخلق من التواضع كانت له محبة من جميع الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وتياراتهم وتبدى ذلك واضحًا في أثناء قبول التعازي به، فلم يحصل أن شوهد مكان أشد أزدحامًا من مكان التعزية بوفاته، وكان له احترام عند كافة الجهات الرسمية والدينية والشعبية، ولا نستطيع أن نحيط بخلاله من زهد وتواضع وصبر ومثابرة وهمة ودأب وحب لنشر الدعوة وحسن خلق مع الصغير والكبير والغني والفقير، ولا عجب في ذلك من رجل خالط القرآن لحمه ودمه وعصبه، فكان خلقه القرآن.

إن المدهش حقًا اجتماع تلك الخصائص والصفات في شخص واحد، عمل بصمت، وأنتج الكثير ونفع الله به الأمة وكان ممن حفظ كتاب الله لفظا وكتابة ومعنى وعملا رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

غدة البروستات

د. عبدالقادر الحبيطي

البروستات Prostate غدة بحجم ثمرة الجوز Walnut، وهي جزء من جهاز التكاثر لدى الذكور، إذ أنها تنتج السائل الذي يمتزج مع النطف ويحملها أثناء قذفها، وموضعها عميق ضمن الحوض وفوق الاحليل (أي الانبوب الذي يصل بين المثانة والقضيب)، واذا وصلت الغدة الى حجمها عند البلوغ فإنها تغلف الاحليل لتعتصر فيه مفرزاتها، وتتألف الغدة من فلقتين تغلفهما طبقة خارجية من الخلايا، وتقع البروستات أمام المستقيم وتحت المثانة تمامًا حيث يختزن البول قبل إخراجه. ولم يتوصل العلم حتى الآن الى معرفة كل وظائف البروستات. غير أن أحد وظائفها الأساسية هو انتاج السائل الذي يعتصر في الاحليل فيمتزج بالنطف ويحملها في دفقتها اثناء الذروة الجنسية sexual climax وينشط هذا السائل النطف ويقلل من حامضية قناة المهبل آنيًا وقاية للنطف.

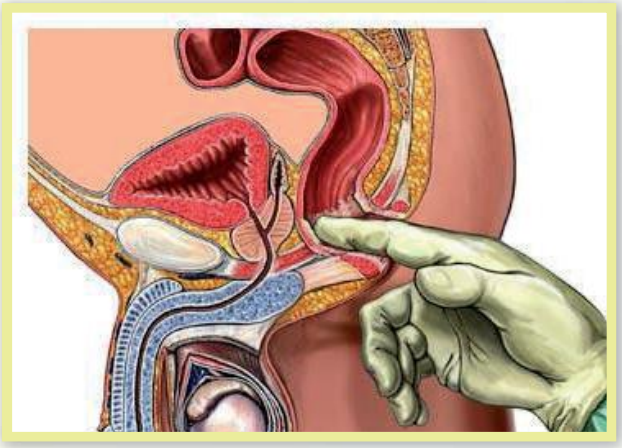

من الأعراض الشائعة أن تتضخم غدة البروستات مع تقدم العمر، ويسمى هذا التضخم حميدًا (تفريقًا له عن الورم السرطاني) Benign ProstatieHyperplacia (BPH) or Hyper Trophy، والتضخم هو في حقيقته عبارة عن فرط تكاثر خلايا الغدة.

وتمر الغدة أثناء التقدم نحو البلوغ بمرحلتين من النمو، ففي أول البلوغ يتضاعف حجم الغدة، وعندما يصل الرجل الى الخامسة والعشرين تقريبًا تبدأ الغدة بالنمو مرة أخرى، وإذا استمر هذا النمو فإنه يحدث بعد عدة سنوات تضخمًا حميدًا، وقد يستمر هذا النمو طوال حياة الرجل، ولكن نادرا ما ينجم عن تضخمها الحميد أية أعراض قبل بلوغ الأربعين من العمر، بينما يعاني أكثر من نصف الرجال في الستينات من عمرها من بعض أعراض تضخم البروستات الحميد، وفي السبعينيات والثمانينيات من العمر يعاني حوالي ٩٠ في المائة منهم من هذه الأعراض.

وأثناء تضخم الغدة، تقوم طبقة من الخلايا المحيطة بها بمنع تمددها نحو الخارج مما يجعلها تضغط على الاحليل تحتها كأنها مقبض أو ملزم محكم حول انبوب الاحليل فتضيق مجراه وتصبح جدران المثانة اكثر سمكًا وهيوجية Irriable وتبدأ بالتقلص حتى ولو كان محتواها من البول قليلاً مما يجعل التبول متكرراً، وبمضي الوقت تضعف المثانة وتفقد قدرتها على إفراغ كامل محتواها من البول، فيبقى جزء منه في المثانة مسبباً عدة مشكلات ومنها الإنتانات التي تترافق أحيانًا مع تضخم غدة البروستات وتضيق مجرى الاحليل.

مشكلات البروستات

ومن المشكلات الصحية الثانوية التي تصاب بها الغدة وصول العدوى البكتيرية إليها من المثانة نظرًا لركود البول فيها فترة طويلة وهي حالة نادرة على أي حال.

كما أن غدة البروستات قد تصاب بالسرطان أحيانًا، غير أن سرطان البروستات نادر قبل سن الخمسين، ولكن يحتمل ان تصل نسبة الاصابة به إلى ٥٠٪ عند من تتراوح أعمارهم بين ٧٠ الى ٨٠ عامًا وما بعد.

وثمة بحث جديد صادر عن جامعة كاليفورنيا في أميركا ثبت عن طريقه أن عصير الرمان له خصائص كابحة لخلايا السرطان ما يؤدي الى توقف النمو السرطاني في البروستات، وثمة تفاؤل لدى القائمين على البحث بأن عصير الرمان يمكن أن يعوض بكفاءة عن العلاج الكيميائي لسرطان البروستات.

الأعراض

كثير من أعراض التضخم الحميد للبروستات ناجم عن ضيق مجرى الاحليل جزئيًا أو انسداده كليًا، وفقدان المثانة

أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة (سابقا)

وظيفتها تدريجيًا فلا تعود تفرغ محتواها كاملًا، وتتلخص المشكلات في التبول الذي يكون ضعيف الرشق متقطعًا ومتكررًا، وخاصة في الليل، وقد تتطور الاعراض فتصل الى سلس البول Incontinence وهي حالة مرضية صعبة، وقد تتطور الحالة الى درجة يسد معها مجرى البول سدًا كاملًا فيعجز المصاب عن التبول وتسمى هذه الحالة الاحتباس الحاد للبول AcuteUrinaryRetention، وعندئذ لابد من اجراء القثطرة لتفريغ المثانة تفاديًا للتسمم، ويسبب هذا الاحتباس بعض الادوية المستخدمة لمعالجة الزكام والانفلونزا (وخاصة مضادات الاحتقان) إذ تؤثر على صمام المثانة فتمنعه من الانفتاح، وهذه إحدى أعراضها الجانبية الضارة، كما قد يسبب تعاطي الكحول احتباس البول، وكذلك فإن عدم الحركة لفترة طويلة، كما في حالات التمريض الطويل، قد يؤدي الى احتباس البول ايضًا.

وقد يؤدي احتباس البول وما يسببه من توتر واجهاد في المثانة الى التهاب المثانة واصابتها بعدوى مرضية، كما قد يؤدي في النهاية الى اتلاف المثانة والكليتين والى تشكل حصوات فيهما، وإذا وصلت الأعراض الى هذا الحد صار علاجها صعبًا، وقد لا يجدي شيئًا، ولذلك فالمفروض المبادرة بالعلاج عند أول ظهور الأعراض.

العلاج الكيميائي

يصف الأطباء عادة دواءين اثنين أو كليهما لمن يشكو من أعراض تضخم البروستاتا وهما proscar و Cardura وغالبًا ما يبدأون بالدواء Cardura بمقدار ١ و ٢ ملغ/ يوميًا، وقد يرفقونه مع دواء proscar إذا كانت الحالة تستدعي ذلك، وكلا الدواءين الكيميائيين فعال في ايقاف الغدة عند حد معين، فلا يزداد تضخمها، ولكن للدواءين تأثير جانبي سلبي على النشاط الجنسي للرجل، إذ يسبب له العنة impotence، فضلًا عن غلاء ثمن الدواءين.

وقد ثبتت فعالية كثير من الأدوية العشبية لعلاج تضخم البروستات مع رخص ثمنها وخلوها من الآثار الجانبية التي تحدثها الأدوية الكيميائية، فما هي هذه الأعشاب؟

العلاجات العشبية

لقد صار استحداث الأدوية العشبية شائعًا ومتزايدًا في معظم أنحاء العالم، وبخاصة في ألمانيا وفرنسا وحتى أميركا، وخاصة لعلاج تضخم غدة البروستات ولعلاج مشكلات المسالك البولية، سنقتصر في هذا البحث على الأدوية العشبية الأهم والمتوافرة على نطاق واسع وهي:

١- عنبات البلميط المنشاري Saw Paalmetto Berry.

٢- لحاء البايجيام Pygeum.

٣- عنبات العرعر Juniper Berry.

٤- خيوط الذرة (شباشيل الذرة) Corn Silk.

٥- جذر القراص (القريص) Nettle Root.

وقد تبين أن جذر القراص ولحاء البايجيوم فعالان لعلاج أعراض تضخم البروستات الحميد، فيمنعان نمو الخلايا وخاصة القراص وهو مبذول على حافات الأنهار والسواقي، ويخفض التضخم في نسج الغدة، ويكافح الالتهاب، وللبايجيوم (لحاء شجرة إفريقية) تأثير مضاد للالتهاب أيضًا كما أنه يقلل من تضخم الغدة، ويمكن استخدام هذين العشبين مع البلميط المنشاري لزيادة مفعول كل منهما.

وثمة شركات أميركية متخصصة في إنتاج هذه الأدوية العشبية المذكورة آنفًا وتسويقها على أساس أنها مكملات غذائية

أهمية الغذاء

ينصح الأطباء باستخدام مركبات الزنك لدعم صحة البروستات، وكذلك لدعم جهاز المناعة لدى الإنسان، ويقلل الزنك من حجم البروستات ويقلل أعراض تضخمها بزيادة فعالية (S- Alpha Reductaase) يمكن أخذ أملاح الزنك بمعدل ٢٠- ٦٠ملغ/ يوميًا ويمكن ارفاقها مع العلاجات النباتية المذكورة آنفا، كما يوصي أخصائيو التغذية باستخدام فيتامين (E) بمعدل ٢٠-٤٠ وحدة دولية يوميا لفعاليته في صحة البروستات ومنع تضخمها، إضافة لفعاليته المضادة للأكسدة، وبالتالي فهو نافع للقلب والأوعية الدموية وواق لها من مفعول الجذور الحرة (radiicaals free).

الأسبرين

أفادت دراسة بحثية حديثة أن الأسبرين قد يقلل بشكل كبير من خطورة تضخم البروستات، ووفقًا لموقع «بي بي سي أونلاين» «BBC online» الذي أورد الدراسة، فإن مرض تضخم البروستات يتسبب في صعوبة التبول أو في التبول مرارًا وخاصة في الليل.

وقالت الدراسة التي ظهرت في صحيفة أميركية متخصصة في علم الأوبئة ان العقاقير المتاحة في الأسواق والمضادة للالتهابات يمكن أن تقلص من آثار المرض لكنها غير مناسبة لكل فئات المرضى، وأوضح القائمون على الدراسة أن الأسبرين من شأنه تقليص نسبة الإصابة بمرض تضخم البروستات إلى النصف تقريبًا.

نذكر في آخر البحث أنه يمكن التثبت من صحة البروستات باللجوء، إلى الفحص المخبري ولمادة (prostate Specific Antigen (PSA إذ يجد المرء أن نسبتها قد انخفضت إلى الحدود الطبيعية بعد تطبيقه لهذه العلاجات الطبيعية.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

إكراه الخدم على الدخول في الإسلام

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من مدير العلاقات العامة والإعلام في لجنة خيرية، ونصه:

في بعض الحالات يتم إجبار الخادمات على الدخول في الإسلام من قبل كفلائهن رغمًا عن إرادتهن بالتهديد، فيشهرن إسلامهن في اللجنة مكرهات، مما قد يسبب ارتدادهن عن الإسلام، واللجنة تسأل:

١- ما الحكم الشرعي في إكراه الكفلاء خادماتهن على الدخول في الإسلام؟

٢- كيف تتصرف اللجنة في مثل هذه الحالات؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز إكراه الخادمة غير المسلمة على الدخول في الإسلام بغير رضاها لقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أكره أحد خادمته على الدخول في الإسلام بغير رضاها لم يعتد بإسلامها وعلى ذلك لا تعد مرتدة لو عادت إلى دينها السابق.

وعلى لجنتكم أن تبين الأمر قبل أن تعرض الإسلام على مثل هذه الخادمة وتحاول تحبيبها في الإسلام ببيان محاسنه. فإن استجابت فبها، وإلا فإن عليها أن تنصح الكفيل بالتريث مع ترغيبها وإرشادها إلى محاسن الإسلام بالكلمة والسلوك الإسلامي حتى تقتنع بالإسلام وترغب به طواعية من غير ضغط ولا إحراج. فإذا أبى الكفيل إلا الإكراه، فلا حرج على اللجنة في عدم تلقينها الإسلام وإشهار إسلامها. والله أعلم.

وضع شريط قرآن في بدالة التلفون

فتوى رقم (٣١٩٠)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من أبوخالد في شركة للتجارة العامة والمقاولات، ونصه:

نرجو إفادتنا عن شرعية وضع شريط قرآن بدلا من الموسيقى في بدالة التلفون، مع ملاحظة أنه في حالة الاتصالات سوف يوضع المتصل على الانتظار فيسمع للقرآن، ومن ثمّ يتم تحويله للشخص المطلوب فتقطع بذلك تلاوة القرآن، هل هذا يكون في دائرة عدم احترام القرآن الكريم من خلال هذا القطع وهكذا.

● أجابت اللجنة بما يلي:

يجب تنزيه القرآن الكريم عن كل ما من شأنه أن ينقص من قدره وسمو منزلته، كالإعراض عن استماعه أو اتخاذه لغير ما أنزل له.

وعليه فلا يجوز استعمال تسجيل القرآن الكريم على الصورة الواردة في السؤال لما فيه من الإعراض عن الاستماع والإنصات إليه، ولما في قطع الآيات من إخلال بمعانيها لاحتمال الوقف في غير الموضع الصحيح مما يخل بالنظم والمعنى. والله أعلم.

الطهارة لطواف الإفاضة في الحج

فتوى رقم (٣٢٨٦)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من عبدالعزيز، ونصه:

رجل طاف طواف الإفاضة وبعد الانتهاء من الطواف والرجوع إلى السكن تذكر أنه لم يكن على وضوء، ولم يعد الطواف.

والسؤال هو: ماحكم الحج بهذه الحالة؟ وما هو المطلوب لتصحيح

الحج؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

اختارت اللجنة المذهب الفقهي القائل: إن الطهارة ليست شرطًا لصحة طواف الإفاضة، فمن كان محدثًا ثم تذكر ذلك فعليه إعادة الطواف مادام بمكة، فإن غادرها وعاد لبلده فعليه دم، لأن الطهارة من واجبات الطواف، وترك الواجب يُجبر بدم يذبح في الحرم. والله أعلم.

سفر المعتدّة إلى الحج

فتوى رقم (٣٢٨٤)

حضر إلى اللجنة خالد وقدم الاستفتاء التالي:

إن أختي مطلقة طلقة أولى رجعية حسب إشهاد الطلاق المرفق مع الاستفتاء، وزوجها لا يرغب بمراجعتها وهي الآن تريد أن تسافر لتأدية مناسك الحج معي، وهي حجة الفرض بالنسبة لها أي الحجة الأولى، فما حكم سفرها للحج وهي الآن معتدة من الطلاق؟

● أجابت بما يلي:

لا يجوز للمطلقة طلاقًا رجعيًا الخروج إلى الحج مع أخيها مادامت في العدة، فإذا انقضت العدة أو راجعها زوجها فيها حل لها الخروج. والله أعلم.

حضور المرأة المتبرجة في الاجتماعات مع الرجال

فتوى رقم (٣٥١١)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من مبارك، ونصه:

بالنسبة لمجالس إدارات الشركات والمؤسسات المكون من رجال ونساء. هل يجوز شرعًا عقد الاجتماعات لتلك المجالس بشكل مختلط وتكون النساء في لباس غير شرعي ومكشوفات الرأس أمام الأعضاء الآخرين من الرجال؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها أو تبرز للرجال الأجانب، دون حجاب يستر جميع بدنها ولا يظهر منها غير الوجه والكفين، كما لا يجوز إعانتها على ذلك أو إقرارها عليه، وهي آثمة معرضة نفسها وغيرها للفتنة.

إلا أن الحاجة والمصلحة قد يقتضيان التعامل مع المرأة المتبرجة خاصة مع شيوع التبرج وانتشاره وعدم التزام الكثير من النساء بالحجاب الشرعي، حتى أصبح ترك التعامل مطلقًا مع المتبرجات مما يوقع في الحرج وقد يفوت الكثير من المصالح، ومن المقرر شرعا أن الأمر إذا ضاق اتسع، وأن المشقة تجلب التيسير، لذا ترى اللجنة: أنه إذا تحققت الحاجة والمصلحة الشرعيتان جاز عقد الاجتماع لتلك المجالس إذا ترتب على تركه مفسدة أعظم من مفسدة التبرج حيث تدفع أعظم المفسدتين بتحمل أخفهما، ويقيد ذلك بأمن الفتنة والبعد عن مواطن الشبه والتهم والتزام غض البصر ما أمكن ذلك، والله أعلم.

النظر إلى الموظفات المتبرجات لإنجاز المعاملة

فتوى رقم (٣٥١٨)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من صلاح، ونصه:

حث الإسلام على غض البصر بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء، لكن ما هي حدود غض البصر بالنسبة للرجل، حيث إنني أواجه في عملي وفي بعض الوزارات عند مراجعتي لها نساء متفاوتات في نوعية اللباس، منهن كاملة اللباس الشرعي، من نقاب ولباس فضفاض صفيق، ومنهن سافرات كاشفات عن رؤوسهن وعن أجسادهن، فإذا كنت أتعامل معهن لإنجاز معاملة ما، وأنظر إليهن دون شهوة (فقط لإنجاز المعاملة) فهل في ذلك إثم عليّ؟ وإن كان النظر لشهوة تتولد بعد النظر فهل هناك إثم؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

غض البصر عن عورة غير الزوج والزوجة واجب على كل مسلم ومسلمة، وهو صرفه لنظره عن التطلع إلى عورات الآخرين عن قصد، أما النظر غير المقصود وهو نظر الفجاءة فلا يحرم دفعاً للحرج، لأنه يتعسر اتقاؤه، والحرج مرفوع شرعاً، بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

إلا أنه يجب على من امتد نظره فجأة إلى عورة لا يحل النظر إليها أن يصرفه عن ذلك فورًا ولا يستمر فيه، بشهوة كان أو بغير شهوة على قدر إمكانه لقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» رواه الترمذي وحسنه.

إلا أن المسلم إذا احتاج إلى النظر في أمر ضروري أو حاجة، كنظر الطبيب إلى العورة إذا كانت محل المرض، ونظر القاضي إلى المدعي والمدعى عليه والشهود عند التقاضي، ومنه نظر الرجل إلى المرأة في حالة البيع والشراء ومتابعة المعاملات الرسمية وما أشبه ذلك، فإنه جائز في حدود الضرورة والحاجة، دفعًا للحرج المرفوع شرعًا كما تقدم، إلا أن على الناظر في هذه الحال أن يتنزه عن قصد الشهوة حال النظر، ولا يقصد التفكر فيه بعده دفعًا للشهوة، فإذا وقعت الشهوة بعد النظر بغير قصد منه، بل مع مغالبته لها، لم يأثم، لعدم القصد، ولاستفراغ الجهد في الدفع، والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

تميز بعفوك وتسامحك

العفو خلق جميل يسمو بصاحبه إلى مصاف العظماء فهو شجرة باسقة تسقى بالحلم، وجذورها من سلامة الصدر وفروعها من التسامح، إن المتميز بعفوه وتسامحه ليس لديه وقت لمقارعة الجاهلين ومدافعة السفهاء والحاقدين، إن العمر أقصر من ذلك والإساءات لن تنتهي، ولذلك أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالإعراض عن الجاهلين فقال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩) وأمره سبحانه بالصفح العام قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

قال القرطبي: وهذا وإن كان خطابًا لنبيه عليه الصلاة والسلام فهو تأديبٌ لجميع خلقه.

يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أحد مواقف عفو النبي ﷺ وصفحه فيقول: «كنت أمشي مع النبي ﷺ، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر منصور الكريزي:

سألزم نفسي الصفحَ عن كلّ مذنب
وإن كثرت منه إلي الجرائم
فما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة
شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف فضله
وأتبعُ فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن
إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا
تفضلت إن الحلم للفضل حاكم

إن العفو والتسامح تفريغ لشحنات الغضب والكراهية التي تؤذي النفس والجسم، فالمتسامح يتمتع بسعادة وطمأنينة وراحة نفسية عندما ينام وهو قرير العين مرتاح الضمير لا يحمل في صدره شيئًا لأحد ولا تحرق قلبه نار الغضب والضغائن، ولا يصرف وقته وهمته إلى التخطيط للانتقام بدلًا من الاشتغال بما ينفع، فليس هناك خير في عقل مليء بالكراهية.

ولأهمية التسامح والعفو كعلاج نفسي وسلوكي من مرض الكراهية أصبح هناك متخصصون في بعض الجامعات الغربية يعلمون التسامح ويدربون الناس عليه، نشرت صحيفة الشرق الأوسط خبرًا من جامعة «ليدز» شمال إنجلترا يذكر أن أستاذ علم النفس بالجامعة يقوم بتعليم البريطانيين التسامح، وقد سجل أكثر من سبعين شخصًا أسماءهم للالتحاق بالدورة التعليمية التي تستمر عشرين أسبوعًا وتعتبر الأولى من نوعها في العالم، كما يقولون، وقد صرح الأستاذ «كين هارت» القائم على المشروع أن الكراهية التي نشعر بها داخلنا ورمٌ خبيث. وأضاف: إن كبت الغضب يؤدي إلى أمراض مثل ارتفاع في ضغط الدم وأمراض قلبية، وأصبحت الكراهية والمرارة والرغبة في الثأر السبب الحقيقي وراء تأزمهم.

يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرنًا لعدوك فتحترق فيه أنت.

وقال الفضيل بنُ عياض- رحمه الله: «إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمِل قلبي العفوَ ولكن أنتصر كما أمرَني الله عزّ وجلّ، فقل له: إن كنتَ تحسن أن تنتَصِر، وإلاّ فارجع إلى باب العفوَ؛ فإنّه بابٌ واسع، فإنه من عفا وأَصلحَ فأجره على الله، وصاحِبُ العفو ينام على فراشه بالليّل، وصاحب الانتصار يقلّب الأمور؛ لأنّ الفُتُوّة هي العفوُ عن الإخوان».

وقال أحد الحكماء: لذة التسامح أطيب من لذة التشفي، فالأولى يلحقها حمد العاقبة والثانية يلحقها الندم.

وسطرت كتب السير والتراجم عشرات المواقف والقصص والكلمات لعظماء الإسلام في العفو والتسامح.

قام رجل يسبُّ أبا بكر الصديق ويقول: والله لأسبنّك سبًّا يدخل معك قبرك، فقال أبوبكر: بل يدخل معك قبرك أنت.

وخرج عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة ومعه شرطي، فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم به، فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، وهمّ الشرطي أن يضرب الرجل. فقال عمر: مهلًا إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

وسبّ رجلٌ الإمام الشعبي فقال الشعبي: إن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي.

وزاحم رجل سالم بن عبدالله في الطواف، وضيق عليه ثم قال له: «أنت رجل سوء».

فقال سالم: ما عرفني إلا أنت.

و قال سفيان الثوري: كان ابن عياش المتنوف يقع في عمر بن ذرّ ويشتمه، فلقيه عمر فقال: يا هذا، لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

صور من حياة المتميزين

مفتاح السعادة

وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة مهمة في حسن المعاملة مع الناس تقوم على العفو والتسامح طلبًا لعفو الله ومغفرته فقال: مفتاح السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم.

وأصدر عفوًا عامًا عن كل من أذاه فقال: أحللت كل مسلم عن إيذائه لي. وقال أيضًا: وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي.

وبرز تسامحه وعفوه في العديد من المواقف التي مر بها في حياته وروتها كتب السير والتراجم.

قال عنه أحد خصومه: ما رأيت كريمًا واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

وانطلق إليه أحد تلاميذه ذات يوم يزف إليه بفرح خبر وفاة أحد خصومه، فما كان من الإمام إلا أن زجره وأعرض عنه وقرأ ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وذهب لساعته إلى منزل المتوفى، فعزى أهله، وقال: «اعتبروني خليفة له، ونائبًا عنه، وأساعدكم في كل ما تحتاجون إليه» وتحدث معهم بلطف وإكرام بعث فيهم السرور، فبالغ في الدعاء لهم حتى تعجبوا منه.

وذات يوم تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته وأن يشير عليهم بما يراه مناسبًا للانتقام من أحد خصومه فأجابهم شيخ الإسلام بما يلي:

أنا ما أنتصر لنفسي!!

فماج الناس والجند وأكثروا عليه وألحوا في طلب الانتقام، فقال لهم:

إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حِل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني، وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتى يشاء.

ومن العجيب أن خصمه هذا هرب من ملاحقة جند السلطان فآواه الإمام ابن تيمية في بيته ثم شفع له عند السلطان فعفا عنه.

كلمات في التميز

التسامح

إذا سمعت الكلمة تؤذيك، فطأطئ لها حتى تتخطاك.

عمر بن الخطاب

إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه.

أبوقلابة الجرمي

من الجيد أن تغفر للناس زلاتهم، ولكن الأفضل من ذلك أن تنساها.

إبراهيم الفقي

من عاشر الناس بالمسامحة، دام استمتاعه بهم.

أبوحيان التوحيدي

عظمة الرجال تقاس بمدى استعدادهم للعفو والتسامح عن الذين أساءوا إليهم.

تولستوي

مسؤولية التسامح تقع على من لديهم أفق أوسع.

جورج اليوت

لكي تعرف الجميع عليك أن تسامح الجميع.

ديل كارنيغي

إعداد: هالة محمد

قيادة السيارة بنظرات العين

وضع العلماء الألمان معنى جديدًا للقول المأثور القديم «اجعل عينك على الطريق» بالاستعانة ببرنامج ثوري يسمح للسائقين بقيادة أي سيارة بنظرات العين. وبرنامج «آي درايفر» أو «القيادة بالعين» هو استخدام مماثل لقيادة نموذج لسيارة أبحاث تسمى «روح برلين» أو «سبيريت أوف برلين» باستخدام حركة العينين. والبرنامج صممه علماء كمبيوتر في جامعة برلين الحرة، بالتعاون مع شركة سينسو موتوريك إنستروميت.

ويتم التقاط حركة العينين وتحويلها إلى إشارات للتحكم في عجلة القيادة. ويتم التحكم في السرعة بشكل منفصل وهي غير متضمنة في البرنامج، أي أن الشخص يستطيع أن يقود أي سيارة فقط بحركة العينين. ويتلقى برنامج «آي درايفر» من الكمبيوتر الموضوع في السيارة أوضاع المشاهدة على فترات منتظمة عبر الشبكة ويستخدمها للتحكم في عجلة القيادة. ويمكن للسائق أن يختار بين نظامين: «القيادة الحرة» و«التوجيه». وفي نظام «القيادة الحرة» يتم ربط أوضاع المشاهدة مباشرة مع محرك عجلة القيادة. وهذا يعني أن التنسيقات السابقة لوضع المشاهدة تستخدم لحساب الوضع المرغوب لعجلة القيادة. فكلما نظر السائق إلى اليسار أو اليمين تحولت عجلة القيادة في الاتجاه الذي ينظر إليه. ويتم ضبط سرعة السيارة مسبقًا وتبقى ثابتة طالما تم التعرف على وضع النظر.

وفي نظام «التوجيه»، تسير السيارة بشكل تلقائي في معظم الوقت. وعندما يكون هناك تفرع في الطريق أو تقاطع، فإن السيارة تتوقف وتطلب من السائق اختيار التوجيه التالي.

المجال المغناطيسي للأرض يتأثر وجة الحر

حذر علماء فضاء من أن الكرة الأرضية قد تتعرض لموجة ساخنة عابرة للفضاء نتيجة لانفجار كبير شهدته الشمس خلال الأيام القليلة الماضية.

وكانت أقمار صناعية عدة قد رصدت الانفجار الشمسي خلال الفترة الأخيرة بما فيها قمر تابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا).

وهذا الانفجار الذي يماثل حجمه حجم الكرة الأرضية مرتبط بثورات أخرى شهدها سطح الشمس أخيرًا.

وذكر العلماء أن الانفجار الذي حدث في المنطقة المواجهة للأرض أرسل موجة أطلق عليها العلماء اسم «تسونامي شمسي» وامتد لمسافة ٩٣ مليون ميل عبر الفضاء، وأضافوا: إن موجة الحر التي صدرت عن الشمس ستصل إلى الأرض وأنها ستؤثر على المجال المغناطيسي للكرة الأرضية.

جزيرة جليدية جديدة تنفصل!

قال علماء أن جزيرة جليدية يزيد حجمها أربعة أمثال حجم «مانهاتن» انفصلت عن أحد النهرين الجليديين الرئيسيين في «غرينلاند» في أكبر حدث من نوعه في القطب الشمالي، وستدخل الجزيرة الجليدية التي انفصلت في مكان بعيد يسمى مضيق «ناريس» على بعد حوالي ألف كيلو متر من القطب الشمالي بين غرينلاند وكندا.

وقال أستاذ علوم المحيطات والهندسة في جامعة «ديلاوير» أندريس مونتشو: إن مساحة الجزيرة الجليدية تبلغ ٢٦٠ كيلو مترًا مربعًا ويصل سمكها إلى نصف ارتفاع مبنى «امباير» في أميركا، وأضاف: إن المياه العذبة الموجودة داخل هذه الجزيرة الجليدية يمكنها أن تحافظ على تدفق نهر «ديلاوير» أو نهر «هدسون» لأكثر من عامين كما يمكنها أن تحافظ على تدفق مياه الصنبور للشعب الأميركي بأكمله لمدة ١٢٠ يومًا.

وقال العلماء: إن الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠١٠ هي الأكثر حرارة بعدما تم تسجيلها عالميًا، وساهمت ظاهرة النينو الجوية في ارتفاع درجات الحرارة، لكن العديد من العلماء يقولون: إن المستويات المرتفعة من غازات الانبعاث الحراري الناتجة عن الإنسان تدفع درجات الحرارة إلى الارتفاع.

دراسة كندية حديثة تقول:

التفكير بالله يطمئن المؤمنين ويقلق الملحدين

أظهرت دراسة كندية جديدة أن التفكير بالله يطمئن المؤمنين ويخفف من احتمال ارتكابهم الأخطاء المتعلقة بالقلق، غير أنه قد يزيد من إرباك الملحدين ويعرضهم للأخطاء.

وذكر موقع «لايف ساينس» أن الباحثين في جامعة «تورنتو سكاربوروغ» قاموا بقياس الموجات الدماغية المتعلقة بنوع معين من ردات الفعل القلقة عندما ارتكب المشاركون أخطاء في الاختبار.

وظهر أن الأشخاص الذين استعدوا قبل الاختبار بأفكار دينية كانوا أقل عرضة لارتكاب الأخطاء مقارنة بالذين لم يستعدوا.

وأظهرت الدراسة أنه حين يفكر الناس بالله والدين، تكون ردة فعل أدمغتهم مختلفة مما يحدّ من احتمال ارتكابهم الأخطاء الناتجة عن القلق.

وقد كتب المشاركون كلمات تتعلق بالله قبل الاختبار، ثم قاس الباحثون نشاطهم الدماغي بينما كانوا يقومون باختبار على الحاسوب تم اختياره بدقة لاحتمال ارتكاب الكثير من الأخطاء فيه.

وظهر أنه حين يفكر الأشخاص المؤمنون بالله يتراجع النشاط الدماغي في منطقة معينة من الدماغ التي تنذر الإنسان حين يرتكب خطأ ما.

غير أن ردة فعل الملحد كانت مختلفة، فحين يفكر الناس بالله يمنحهم ذلك شعورًا بنظام معين في العالم وشرح الأحداث العشوائية مما يخفف شعورهم بالقلق، غير أن تفكير الملحد قد يتعارض مع المعتقد الذي يعتنقونه وهو ما قد يسبب القلق ويدفع إلى ارتكاب المزيد من الأخطاء.

لقاح جديد ضد مرض السرطان

تمكن علماء أميركيون من تطوير لقاح تبيّن أنه يستطيع مهاجمة أنواع من مرض السرطان في مراحل متقدمة. وذكر موقع «هلث دي نيوز» أن هذا اللقاح أدى خلال التجارب التي أجريت على البشر الى تعزيز ردة الفعل المناعية ضد الأورام. وقال الطبيب المساعد في مركز «فوكس تشاز كانسر» بفيلادلفيا آدم كوهن، الذي لم يشارك في الدراسة: إنه أمكن خلق ردة فعل مناعية عبر اللقاح، وهذا أمر جيد لكننا ما زلنا بحاجة للقليل من المعلومات، وأشار إلى أنه رغم ردة الفعل المناعية الواعدة التي ظهرت على الأشخاص الذين اختبر اللقاح عليهم، لكن الأمر مازال بحاجة للاختبار على عدد أكبر من المرضى لتقييم الفائدة العملية للقاح.

من هنا وهناك

■ ذكر باحثون أن الأطباء التايوانيين نجحوا في السيطرة على ورم في القوارض باستخدام العلاج بالجينات ويعتزمون إجراء اختبارات سريرية على الإنسان قريبًا.

■ طالبت المفوضية الأوروبية حكومات الدول المنتمية للاتحاد الأوروبي بسرعة التصرف للحيلولة دون حدوث نقص وشيك في النظائر المشعة. وتعد النظائر المشعة ذات أهمية بالغة بالنسبة للطب النووي الذي يستعين بهذه المواد في تشخيص مرض السرطان.

■ أظهرت دراسة أميركية جديدة أن أجزاء الدماغ وخلاياه تتفاعل وتعمل بشكل يشبه إلى حد كبير عمل شبكة الانترنت وتفاعلها وأن الدماغ أشبه بشبكة مسطحة تتواصل كل الأطراف بعضها ببعض بشكل مباشر وعادل.

■ قدم علماء من وكالة (ناسا) أدلة قاطعة على وجود كميات كبيرة من غاز الميثان في الغلاف الجوي لكوكب المريخ وهو مؤشر على نشاط بيولوجي أو جيولوجي هناك، وينتج الميثان عبر كائنات حية أو بوسائل بيولوجية أخرى منها أكسدة الحديد، ويدل اكتشافه على وجود حياة على سطح الكوكب.

■ أبدى كثير من علماء الأحياء في العالم قلقهم من جراء تعرض عشرات الأجناس من الطيور والأسماك للانقراض بسبب كارثة خليج المكسيك الناتجة عن التلوث النفطي.

■ استحدث باحثون نظام تبريد لحاسوب خارق بالمياه الساخنة بحيث تستخدم مياه حرارتها ما بين ٥٠ إلى ٦٠ درجة مئوية من أجل تبريد معالج المعلومات.

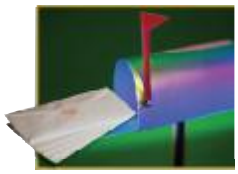

مساكين أهل الدنيا

إن محبة المخلوق لغير الله عذاب للمحب ووبال عليه، وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة. لا شيء احب الى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومحييها. فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح وسرور النفوس وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل عليه بذلك اتم من كل نعيم كما أخبر بعض المحبين عن حاله بقوله: «إنه ليمر بالقلب أوقات اقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا النعيم انهم لفي عيش طيب».

وقال ثان: «إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربًا بأنسه بالله وحبه له».

وقال ثالث: «مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقو أطيب ما فيها» وقال آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

علي سليم

السرية والكتمان عند الماسونية

الماسونية أو «البناء الحر» من أقدم وأخطر الجمعيات السرية في العالم، والتي مازالت لها شُعب وفروع في معظم البلاد المتمدنة والمتقدمة.

أما أصلها فقد اختلف الباحثون فيه، وفي المكان الأول الذي نشأت به، والهدف الذي أنشئت من أجله، ومرد هذا الاختلاف يرجع إلى الصفة السرية التي تمتاز بها هذه الجمعية واستماتة الماسون في حفظ أسرارهم وكتمانها.. هذه الأسرار التي تخفى حتى على المنتظمين فيها والمنخرطين في سلكها «إن كل شيء عندنا قد أسدل عليه ستار من السر».

وبقوة الوحدة والكتمان تتصر في المعارك الفاصلة، وإن في محاولة الماسون كتمان وحفظ أسرارهم ما يجعلنا نجزم بخطورة الأهداف الهدامة التي تضمرها هذه الجمعية وتخفيها عن الناس.

والستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من سِتْرِ

ويزعم الماسون أن سبب هذا الكتمان، هو ضبط النفس والنظام.

من أهم وظائف الماسونية كتمان السر الذي هو وليد النظام وإن الكتمان الطبيعي يدل على ضبط النفس والدقة، وعند التعاون مع غير الماسوني في صدد البحث عن الماسونية، لابد

عدُوَّان

يتصور البعض أن عدو الأمة الوحيد هو العدو الأجنبي- الخارجي- الذي يخطط ويدبر ويكيد ويكيل ويمكر ويغدر ويقول ويعمل، ما بين احتلال وغزو عسكري واقتصادي واجتماعي وثقافي وفكري وإعلامي وتعليمي وهيمنة وتبعية، وما نحن فيه من وهن وسقم سببه هذا العدو الغاشم.

نعم، إن عدونا الخارجي يتربص بنا ويجهز علينا ويقتلنا ويضع لنا دومًا السم الزعاف في عقولنا ولايريد أبدًا أن يعلو لنا شأن أو ترفع لنا هامة ويريدنا في آخر الركب أذلاء، بل يريد ألا نكون في الركب مطلقًا، نستهلك ولا ننتج، ونستورد ولا نصدر ونعيش مهمشين، لا نزرع ونأكل زرغ غيرنا، لا نصنع ونستهلك نتاج تكنولوجيا غيرنا، بلادنا أسواق مربحة جدا لغيرنا، العدو يريدنا دومًا في تشاحن وتباغض وانقسام وصراع وفوضى، كل وشأنه لا يهتم بأخيه المسلم، العدو يريدنا دوما تابعين متفرجين منبهرين بعطاء الحضارة الغربية المادي اللامع البراق.

أما آن الأوان للاستيقاظ من النوم والصحوة من الغفلة والنهوض من الكبوة.

إن عدونا الآخر الذي لا يقل ضراوة عن عدونا الخارجي هو نحن- أنفسنا- نعم، نحن القاتل والقتيل والجاني والمجني عليه والمتهم والضحية، ذلك أنه لما ضعف الإيمان في قلوبنا انعكس ذلك على حياتنا فضعفت الرؤية وضعفت المكانة وغابت الوسيلة والهدف والغاية، وكان التخبط والذل والهوان والظلام والتبعية والانقسام.

أما آن وقت الاستيقاظ السريع الذي يغير وجه الحياة ويعطيها المعنى والبهجة والأمل والعمل والهناء والرخاء.

إنه الإيمان، صانع البطولات ومحقق الأمجاد وصاحب المعجزات وقاهر الصعوبات، وهو روح الأمة وعقلها وقلبها وهو طريق الخلاص.

محمد علي الشريف

من الحرص على هذا الكتمان، وعلينا أن نقتدي بالأقدمين ونغض على السر بالنواجذ.

ونتيجة لهذه السرية التي امتازت بها الماسونية فقد جاءت أقوال الباحثين فيها مختلفة مضطربة متباعدة، ويشير الماسوني المستر البرت تشيراشو في كتاب له عن الاشارات والرموز فيقول:

أذيعت حتى الآن آراء ونظريات كثيرة متناقضة عن أصل جمعية إخوان البناء الحر «الماسونية» وعن زمان نشأتها ومكانه، وعن السبب الذي قامت من أجله، وعن الأقسام والرسوم المختلفة التي تنقسم إليها درجاتها المختلفة، بيد أن كل ما كتب عن ذلك حتى الآن ليس إلا نظريات لا تستند إلى حقيقة.

محمد الحسيني السحرتي

ولي عهد بريطانيا وبيئة الإسلام

زار ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز المركز الإسلامي باكسفورد وتناول في محاضرته البيئة في الإسلام وأثنى ثناء حسنًا على البيئة في الإسلام واستشهد بآي من القرآن وراح يصف الإسلام بما هو أهله، وذكر بأن المسلمين كان لهم عصرهم الذهبي حيث حافظوا على البيئة النقية الطاهرة وحيث كانت علومهم الزاخرة وأرجع فضل العلوم الإوروبية الحديثة إلى علوم المسلمين القديمة واختراعاتهم البشرية النافعة.

إنها محاضرة حق وكلمات صدق من ولي عهد بريطانيا وما أحوج الأنظمة والمنظمات الإسلامية إلى تتبع أمثال هذه الشخصيات العالمية والمؤثرة لجذبها بطرق مختلفة ووسائل عديدة لتقتنع بالإسلام وقضاياه.. لا نقول لتدخل الإسلام، ولكن من أجل الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين وعدم العداء لهما، وللأسف فإن الغالبية العظمى من مسؤولي الهيئات الإسلامية لا يفطنون إلى هذه الخطوة وما لها من أهمية عظمى وتأثير خطير على العالم.

الحسين محمد حميد

الإقامة في بيت الحمد

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

معنى: ثمرة فؤاده: كناية عن الولد لشدة تعلق القلب به، فصار كأنه ثمرته المقصودة.

استرجع: أي قال: الحمد لله رب العالمين، إنا لله وإنا إليه راجعون، وحفظ لسانه مما يغضبه سبحانه، ولم يفعل معصية.

من فوائد هذا الحديث، أن الله عز وجل يتكرم على أبوي الأطفال فيستقبل الأبوين بالبشر والسرور وفتح أبواب الجنة لهما تقديرًا وإكرامًا، كذلك تشييد قصر في الجنة ينتظره يسمى قصر أو بيت الحمد والشكر والثناء، وتشرف بالانتساب لمولاه عز شأنه «ابنوا لعبدي».

والخلاصة: أن من صبر ورضي بالقضاء والقدر، وطلب الأجر والثواب من الله تعالى على مصيبته، واحتسب ذلك عند الله، ولم يبدر منه كلمة فيها سوء أدب مع الله، عوضه الله خيرًا عنها في الدنيا، وغمره باللطف الإلهي في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة كبيرة وفضلًا عظيمًا في الآخرة، وهو مغفرة الذنوب والخطايا، ودخول الجنة، والإقامة في بيت الحمد.

رزقنا الله الإيمان، وربى نفوسنا على التذرع بالصبر الجميل عند كل مصيبة صغرت أم عظمت، والله المستعان، والله مع الصابرين.

فؤاد الغريب

تنويه

حصل خطأ في العدد ٥٣٩/ رجب ١٤٣١هـ حيث نشرنا مقالًا عن العلامة اللغوي محمود الملاح يرحمه الله ونسبناه للاستاذ طلال محمود النعيمي بينما الصحيح هو أن كاتبه الأستاذ محمد مصطفى الهلالي، لذا وجب التنويه ومعذرة لكاتب المقال.

التحرير

إعداد: التحرير

جُنّة العالم.. «لا أدري»

كان الإمام مالك بن أنس، رحمه الله، من المشهورين بـ «لا أدري» يُردّدها في مجالسه طولاً وعرضًا، ويقرر في ذلك قاعدة بقوله: «جُنّة العالم.. لا أدري؛ فإذا أغفلها أصيبت مقاتلُه» وقال ابن وهب: «لو شئتُ أنْ أملأ ألواحي مِنْ قول مالك: «لا أدري، لفعلت». (المدخل إلى موطأ الإمام مالك).

أجوبة مُسكتة

■ قيلَ لعلي رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العبادَ على كثرة عددهم؟!

فقال رضي الله عنه: كما يرزقهم على كثرة عددهم.

■ قيل للحسن رحمه الله: مَنْ شرّ النّاس؟

قال: الذي يرى أنّه خيرهم.

■ قال بعض الأكاسر لأحد أعوانه: ما أطيب الملك لو دام!

فقال له: لو دام لم يصل إليك.

■ قيل للمسيح عليه السلام: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟

قال: لأنّهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشّباب.

■ قال يهودي لعلي رضي الله عنه: ما إن دفنتم نبيكم حتى اختلفتم!

فقال له علي رضي الله عنه: اختلفنا عنه لا فيه، ولكن ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (الأعراف: ١٣٨) (الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت: ٣٢٢هـ).

الإمام الرّحّالة

قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في الإمام أبي داود: «أحدُ أئمة الحديث الرّحّالين الجوّالين في الآفاق والأقاليم».

ومن أبرز محطاته في طلب الحديث «هراة، بَغْلان، الرّيّ، نيسابور، أصبهان، بلاد طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق، حمص، حلب، حَرّان، الجزيرة، الرملة، طرسوس، بيروت، مصر، ثم رجع إلى خراسان، ثم إلى سجستان ثم إلى بغداد، ثم إلى البصرة وبها توفي رحمه الله. فتأمل!»

كلّ هذا يدل على ما كان يتحلى به هؤلاء العلماء من همة عالية لا تتوافر إلا لأصحاب العزائم (المدخل إلى سنن الإمام أبي داود).

من فوائد علم التاريخ والسير

قال ابن الأثير، رحمه الله، وهو يعدد فوائد التاريخ: «ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث، وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً، ويصبح لأن يقتدى به أهلا، ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم وملك عظيم بل لا أحد من البشر؛ عَلِمَ أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم». (الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية السّلفيّة لمحمد حاج عيسى الجزائري).

أقلّ درجات الأُخوّة

أَقلّ درجات الأُخوّة أَنْ يُعَامل المرء أَخَاهُ بما يُحبّ أَنْ يُعامله به، ولاشكّ أَنَّكَ تنْتظرُ مِنْ أَخِيكَ أَنْ يَستُرَ عَوْرَتك، وأَنْ يَسْكُت عن مساويك، فلو ظَهَرَ لكَ منهُ ضِدُّ ذلك، اشتدّ عليك، فكيفَ تَنْتَظِر منهُ ما لا تعزم عليه له؟ (مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت: ٧٤٢هـ).

لقاء الإخوان جلاء الأحزان

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقاء الإخوان جلاء الأحزان».

وقال خالد بن صفوان: «إنّ أعجز النّاس من قصّر في طلب الإخوان، وأعجزُ منه من ضيّع مَنْ ظفر به منهم».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: «يا بني، الغريبُ مَنْ ليس لهُ حبيب».

وقال ابن المعز: «من اتخذ إخوانًا كانوا له أعوانًا».

وقال بعض الأدباء: «أفضل الذخائر أخٌ وفي».

وقال بعض البلغاء: «صديق مساعد عضُدٌ وساعد». (أدب الدنيا والدين للماوردي).

ابتسامة

جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثًا لا أتيقن أنه قد غمسني الماء ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟

قال له: لا تصلِّ.

فقيل له: كيف قلت هذا؟

قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتى يفيق»، ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثًا ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون!

(الأذكياء ١/٣٨)

من الأمثال «رجع بخُفَّي حُنَين»

كان يوجد ببلاد «الحيرَة» إسكافيٌّ اسمه «حُنَيْن» دخل إلى دكانه أَعرابيٌّ ليشتري خُفّين، وأخذَ الأعرابي يساوم «حنينًا» مساومة شديدة، ويغلّظ له في القول؛ حتى غضب حنين، وطرده؛ فاغتاظ الأعرابي، وسبّ «حنينًا» سبًّا فاحشًا، ثمّ انصرف!!

صمّم حُنَين على الانتقام من الأعرابي؛ فأخذ الخُفين، وسبق الأعرابي من طريق مختصرة، وألقى أحد الخفّين في الطريق، ومشى مسافة، ثم ألقى الخُف الآخر، واختبأ ليرى ما سيفعله الأعرابي.

فوجئ الأعرابي بالخفّ الأول على الأرض؛ فأمسكه، وقال لنفسه: «ما أشبه هذا الخُفّ بالخفّ الذي كنت أريد أن أشتريه من حنين، ولكن هذا وحده لا نفع فيه، فرماه ومضى في طريقه، ثم عثر على الخفّ الآخر؛ فترك راحلته وعاد ليأخذ الأول، فتسلّل حُنين إلى الراحلة وأخذها بما عليها، فرجع إلى قومه.

ولما سألوه: بماذا عُدت من سفرك؟

فأجاب: عدت بخفّي حُنين!

أنا ابن الخليفة

تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أم كلثوم» بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبنت فاطمة الزهراء، وحفيدة رسول الله ﷺ، فولدت له زيدًا.

كان زيد بن عمر بن الخطاب يقول: أنا ابن الخليفتين يقصد «عمر بن الخطاب» و«علي بن أبي طالب» رضي الله عنهما. (الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة).

روائع المعاني

■ قال الشافعي رحمه الله: ما جادلت أحدًا إلا تمنيت أن يُظهر الله الحق على لسانه دوني.

■ قال السباعي رحمه الله: ما رأيت كالأب يهدم أولاده بنيانه وهو بهم فرح، وينغّصون عليه عيشه وهو منهم مسرور.

■ قال أحد الحكماء: زئير الأسد لا يكفي لقتل الفريسة.

■ قال أحد الحكماء: قد يجد الجبان ٣٦ حلًا لمشكلته، ولكنه لا يعجبه إلا حلٌّ واحدٌ وهو الفرار.

■ قال أحد العارفين: مصيبتان لم يُسمَع بمثلهما تُصيبان العبد عند موته: يؤخذ ماله كله، ويُسأل عنه كله. (روائع المعاني).

مَنْ يُصْحَبُ مِنَ النَّاس

«قيل لأحد العلماء: مَنْ يُصحَبُ منَ النّاس؟ قَالَ: مَنْ يَرْفَعُ عَنْكَ ثقَلَ التّكَلُّف، وتَسْقُطُ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مُؤْنَة التّحَفُّظ»

وقال جَعْفَرُ الصّادق: «أَثقلُ إِخْوَانِي عَلَيّ مَنْ يَتَكَلّف لي وأَتَحَفّظ مِنْه، وأَخَفُّهم على قَلبِي مَنْ أَكُون مَعَهُ كَمَا أَكُون وَحْدِي»

(الوَعظ المطلوب للقاسمي).

من عجائب الدنيا

مِنْ عجائب الدُّنيا قوم غلبت عليهم آمال فاسدة، لا يحصلون منها إلا على إتعاب النّفس عاجلًا، ثم الهمّ والإثم آجلًا، كمَنْ يتمنّى غلَاء الأقوات التي في غلائها هلاك النّاس، وكمَنْ يتمنّى بعض الأمور التي فيها ضَرر لغيره، وإن كانت له فيها منفعة، فإنّ تأميله ما يُؤمل مِنْ ذلك لا يُعجّل له ذلك قبل وقته، ولا يأتيه من ذلك بما ليس في علم الله تعالى تكوّنه، فلو تمنّى الخير والرّخاء، لتعجّل الأجر والرّاحة والفضيلة، ولم يُتعب نفسه طَرْفَة عين فما فوقها، فاعجبوا لفساد هذه الأخلاق بلا منفعة. (مداواة النفوس)

المحطة الأخيرة

العلاقات المسمومة وترياقها

ليس من الإيجابية أو النقد البناء، أو الدقة، أو الإنصاف في شيء.. التعميم في أمور لا تحتمل ذلك، كما أن أولى خطوات الوقاية، أو وصف العلاج والترياق، توصيف الداء، وبأخذ هذين الأمرين في الحسبان تستوقفك بعض العلاقات والأجواء المسمومة التي يتسبب بها أناس: زملاء عمل، معارف، أصدقاء، جيران، أو حتى داخل الأسر.. صغيرها وكبيرها. وتتأمل في كونهم يتجاورون مكانًا.. ويتباعدون كيانًا، وفكرًا، وجهدًا، وثمرًا، وتراهم يتحادثون أحيانًا، بيد أنهم منغلقون على أنفسهم بأقفال عتيدة، ولعلها قد صدئت من طول إغلاقها.

ينظرون لبعضهم البعض، بيد أن «لكلٍّ وجهة هو موليها».. توجهاتهم وقلوبهم شتى، لا يشغلهم الشأن والنفع العام، بل مشغولون دومًا بشأنهم الخاص، يلتقون وجوهًا، فإذا غاب غائب سلقوه بألسنة حداد، وسهام شداد.. غيبة ونميمة، وأحيانا بهتانًا، تعاليًا، وسخرية، واستهزاءً، وتقليلًا من شأنه، واستهجانًا.. أمور «لو مزجت بماء البحر لمزجته».

يضمر لزميله، جاره، رفيقه الحقد، و«ينهش» في الآخرين، وينفجر دونما داع غيظًا وحنقًا وتحقيرًا وإهانة، وليس نقدًا نزيهًا موضوعيًا مجردًا، يبتغي الإصلاح لا التجريح. إذا «اكتال على الناس يستوفي»، في حين يجحف حقوق غيره «فينهب منها» ما له ليس بحق: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ١-٣). لا يكترثون لضحاياهم وضحايا مطامعهم واستغلالهم.

وثمة من لا يعرف قدر نفسه، فيتطاول على قامات، أو يقذف الحجارة على علامات.. ليس بغية نيل الثمر المستطاب، بل تمردًا ونكاية، وكبرًا واستكبارًا: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

وهناك أناس يطوفون حول ذواتهم العلمية والبحثية والدراسية، ويريدون ممن حولهم طوعًا أو كرهًا «الطواف» حولهم كي تكتمل الصورة، يريدون نسخًا مكررة، وبخاصة في بعض جوانب العلم والبحث والدرس، فيتم قتل الحماسة والاستقلالية والتفرد والتميز البحثي.

يتحدثون كثيرًا، يعملون قليلًا، بينما يبدون مشغولين، يتسلقون السلم سريعًا وهم صغار، ولا يُخفون أنفسهم ويتواضعون وهم كبار، ليظهر غيرهم، بل يستبدون بزمام الأمور حتى القبور، ويستبد بهم سيل من التطلعات والرغبات غير المتوافق مع الإمكانات، فتسوقهم إلى طرق ملتوية لتحقيقها. مع ذلك تراهم كثيري الشكوى والتبرم على الرغم ما تلكون ويكنزون.

وهناك من هم أصحاب مواقف «اللاموقف»، حيث «تمييع الأمور» والطعن في الثوابت، وإجادة الأكاذيب وزخرفتها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢). وتراه لا يعترف بعيوبه ولا يراها، جاهزًا لتبرير أخطائه، بل يُنكرها.. كذبًا، وبهتانًا. هل ثمة احترام لمن تخصص في خداع الناس وتضليلهم، أو من أجج نيران الفتن الطائفية والمذهبية، أو من حاد عن الوسطية والاعتدال إلى «تدين مغشوش»؟.

وترى البعض يشتركون ظاهرًا في أمر ما، بيد أن ثمة من يعيق المسير، ويقطع السبيل، ولا ينضبط بقانون، أو ينتظم بإرشاد أو توجيه، يفعل ما يحلو له، وكأن انتظامه ونظامه انتقاص من قدره ومكانه ومكانته، إن كان له ثمة مكان ومكانة، فيقل الإنتاج، وتعم الخسائر، وتعاد الكرة إلى مربعها الأول.. رصدًا لأسباب التدهور والتأخر والتخلف، ووضع الخطط ومحاولات النهوض والاستنهاض، والتنفيذ والمتابعة والتقويم ثم تعود الكرة مرة أخرى بذات النتائج المدمرة.

إن ملامح حياة عملية وعلمية وفكرية وثقافية واجتماعية نفث فيها أمثال تلكم الشخصيات المعوقة للإنتاج، المتضخمة المعتلة الذوات، سمومهم، وحملت بصماتهم، وأعملوا فيها معاولهم مصيرها إما فناء عاجل، إذ ما أسهل الهدم، وما أصعب البناء، أو جمود دون نماء أو رقي أو ازدهار.

أ.د. ناصر أحمد سنة

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

محب الدين الخطيب

أحمد حسن الزيات

محمد ناصرالدين الألباني

محمد أبو زهرة

أبوالحسن الندوي

عبدالله النوري

ندیم الجسر

محمد حسين الذهبي

السيد سابق

عبدالفتاح أبوغدة

علي الطنطاوي

عبدالله خياط

محيى الدين عبدالحميد

عبدالحليم محمود

تقي الدين الهلالي

مالك بن نبي

عبدالعزيز المطوع

أبوالأعلى المودودي

درر المقالات الحصرية النافعة على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي» على مدى عشرات السنين لـ (٣٥) من نوابغ العلم والدعوة والأدب

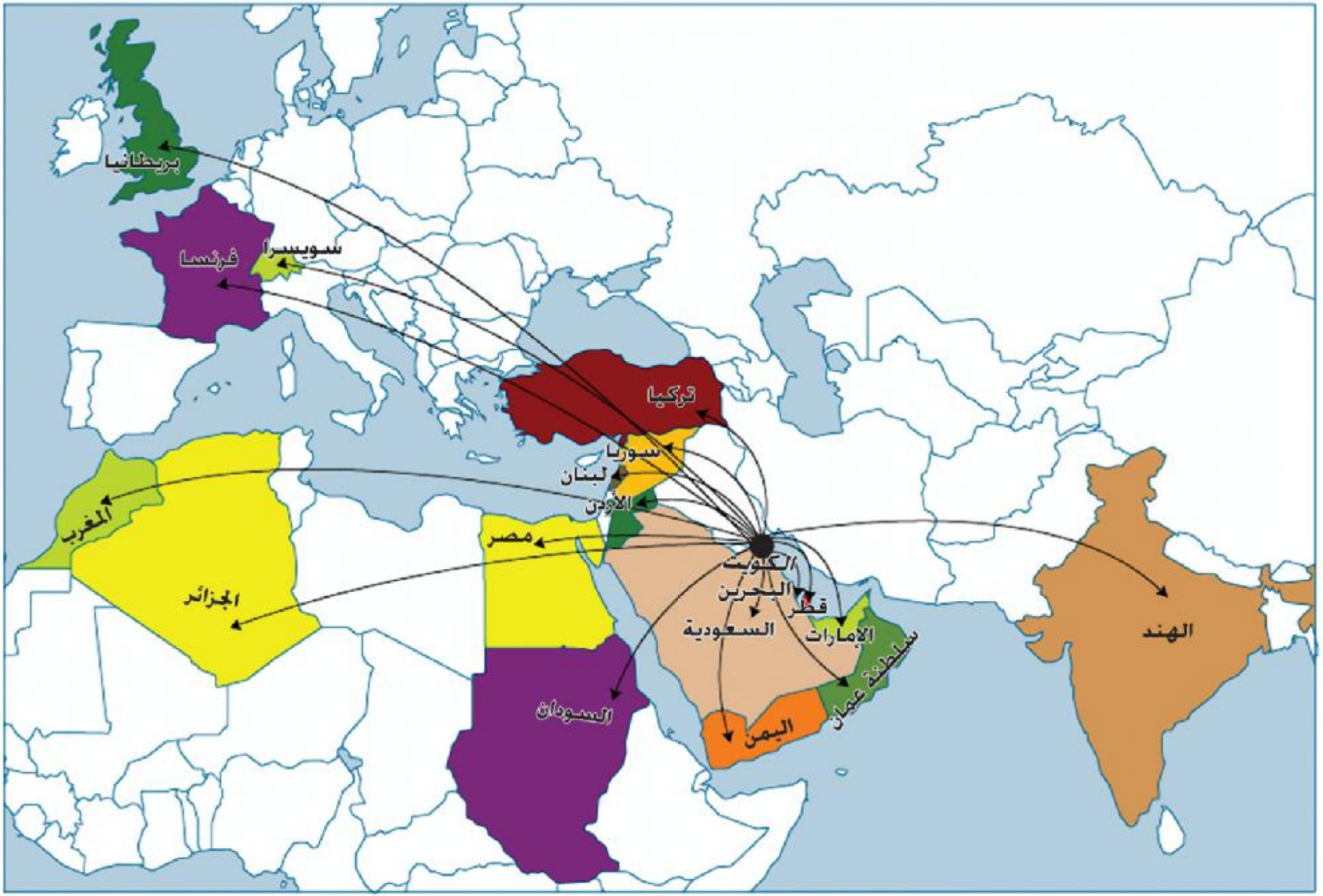

نقاط توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم